

عصر الأسرات

الأسرة الأولى (٣١٠٠ - ٢٨٩٠ ق.م)

١- الملك العقرب

يعتبر الملك العقرب من أوائل الحكام الذي تم اكتشاف آثار له تحكى بتفصيل نسي عنه. ويحلو للمؤرخين أن يضعوه في حقبة ما قبل الأسرات ليكون أحد الحكام الذين جاءوا مباشرة قبل «نعرمر» (نارمر)، وقد تم اكتشاف قطع متناثرة لدبوسه الملكي (الدبوس الملكي عبارة عن مقمعة كان يستخدمها ملوك مصر القدماء لضرب الأعداء، ولكن كانت أيضاً تنقش عليها النقوش الدينية والسياسية والحربية المهمة)، وعليها اسمه على هيئة رسم لعقرب، ونقش آخر له وهو يرتدى التاج الأبيض، والذي ارتداه حكام مصر في عصر الأسرات، وهو يرمز إلى مصر العليا (الجنوب). وقد أظهرت تلك النقوش أيضاً أن الملك العقرب كان حاكماً نشيطاً فيما يتعلق بالزراعة والرى؛ إذ بين المنظر المنقوش على مقمعته منظرًا له وهو يحمل فأساً، يستعد لشق ترعة به، وهي عادة وتقليد أصبح متبعًا لحكام مصر الفرعونية، حيث حرص الكثير من حكام عصر الأسرات على تصوير أنفسهم وهم يشقون الترع والمصارف ويحراثون الأراضي بالفتوس والمناجل، وبالتالي يساعد على جلب الخضار والحياة للأراضي القاحلة.

ونتعلم من نقوش الملك العقرب أيضاً أنه قاد احتفالاً سياسياً ودينيًا لكل أقاليم مصر التي كان لها رموز سياسية تحمل على عصيان عالية أثناء الاحتفال.

وبالتالي، يصبح من المؤكد أن الملك العقرب هو واضع حجر الأساس لكثير من الأشكال الحياتية لحكام مصر في عصر الأسرات. ومن الممكن أن نقول إن أعمال حكم الملك العقرب ما هي إلا جملة تم استخدام مفرداتها على مدار آلاف السنين، ومن هنا تظهر أهميته التاريخية.



٢- الملك نعرمر (نارمر)

أقر الغالبية العظمى من علماء الآثار أن الملك «نعرمر»، أو «نارمر» هو أول ملوك عصر الأسرات والمؤسس الحقيقي للأسرة الأولى حوالي ٣١٥٠ ق.م. وهو أيضاً الذي شاد عاصمة مصر في تلك الآونة: «من-نفر» أي الميناء الجميل، والتي أصبحت معروفة فيما بعد باسم «منف»، أو «مفيس»، وهي ميت رهينة الآن بالجيزة. كان يتسم بالشجاعة والجرأة والبنيان القوى، وقد تزوج من «نيت - حتب» أول ملكة مصرية. وقد أظهرت لنا صلاته الشهيرة التي من الممكن مشاهدتها الآن في المتحف المصري بالقاهرة كيف أن «نعرمر» قد انتصر على الشماليين الذين كانوا يقطنون أحراش الدلتا، وبالتالي وحد القطرين، وأصبح ملك مصر العليا والدنيا مرتدياً تارة التاج الأبيض الرامز لمصر العليا في الجنوب ثم تارة أخرى مرتدياً التاج الأحمر الذي يرمز لمصر الدنيا في الشمال. وقد نحت اسمه أعلى صلاته على الجانبين داخل نقش للسرخ (سرخ هي التسمية الهيروغليفية لواجهة القصر الملكي، والذي وضع فيه حكام مصر أسماءهم، وقد ابتكرت هذه الطريقة قبل الخرطوش الملكي البيضاوي الشكل).

وقد تكون اسمه من رسمين: الرسم الأول هو لسمة الـ «نعر» وهي معروفة في مصر باسم «القرموط»، وفي اللغة العربية باسم «الجرى» و«السُّلور» أما اسمها العلمي الحديث فهو *Clarias Anguillaris*، أما الرسم الثاني فهو يقبع أسفل السمكة وهو لمطرقة كانت تسمى قديماً «مر». ويعتقد بعض المؤرخين أن «نعرمر» هو «ميناء»، وذلك لوجود الاسمين بجانب بعضهما في بعض الآثار، وهي نظرية ليست ضعيفة، وقد دُفن «نعرمر» في مقبرة ب ١٧ - ١٨ في منطقة «أم الكعباب» في الجبانة الملكية بأبيدوس أهم المناطق الدينية في ذلك الوقت. وقد ذاع صيت هذا الحاكم لدرجة أن اسمه قد ذكر في العديد من الوثائق في فلسطين مما ينم عن ازدهار التجارة والعلاقات الدبلوماسية في إبان فترة حكمه.

٣- حور- عحا

اسم «حور» معناه الصقر حورس واسم «عحا» معناه «المحارب»، مما يدل على شخصية هذا الحاكم الذي اعتلى عرش مصر وأصبح مع «نعرمر»، أو «ميناء» من أهم مؤسسي الأسرة الأولى، وبالتالي عصر الأسرات كله. تم الكشف عن الكثير من أختام القارورات التي تحمل اسمه في الكثير من الجبانات والمناطق الدينية مثل سقارة وأبيدوس ونقادة، وقد اشتهر في أوساط الأثريين والمهتمين





لوحة نارمر بالمتحف المصرى بالقاهرة

بالتاريخ المصرى عندما تم الكشف عن شقافة من العاج وعليها نقوش بدائية توضح اسم الحاكم داخل سرخ (منظر لواجهة القصر) يعتليه صقر يقف شاخماً ويجانبه نقش لمركب عليها مقصورة ومناظر لمعبودات ونشاطات دينية، وقد كرس «حور - عحا» العديد من الاحتفالات والابتهالات الدينية للربة «نيت» التى كانت تعبد فى «صا - الحجر» بغرب الدلتا.



شقافة الملك «حور - عحا»

٤ - دجير

ساعد طول مدة حكم الملك القوى «دجير» (حوالى ١٩ عامًا) على صنعه لإنجازات حربية فى الجنوب، حيث أمن الحدود مع البلاد المتاخمة. ويبدو أن تحولات سياسية وتطورات فنية ومعمارية قد بدأت فى عصره، فمقبرته كانت مميزة جدًا بحجمها وبأرضيتها الخشبية، بل إن المقابر أصبحت مكانًا يحتوى على القاروروات الحجرية والنحاسية، وأثاث مصنوع من العاج والأبنوس، وطعام وأسلحة وغيرها من الأشياء التى أراد المتوفى أن تكون معه فى رحلته الأبدية والحياة الأخرى بعد البعث. ومن هنا يظهر التطور الفكرى الدينى فى عصر «دجير».

هذه الاعتقادات والطقوس عاشت في موروث المصري القديم لمدة طويلة جدًا، بحيث لا يخلو متحف رئيسي في العالم من هذه الممتلكات الجنازوية التي تم الكشف عنها في مقابر الملوك والكهنة ورجال البلاط، بل والعمال وعامة الشعب، وتم الكشف عن مقبرتين للملك «دجير»: واحدة في صحراء سقارة، والثانية في أيدوس.

٥- دجيت

اعتلى عرش مصر في حوالي ٢٩٨٠ ق.م، واسمه يعنى «الثعبان»، وقد اشتهر بلوحة نقش فيها رمز الثعبان يعتليه الصقر «حورس» رمز الملكية والقوة والشباب والعنفوان. وقد وجدها المنقب «إميل أميلينو» في نهاية القرن التاسع عشر. وهى الآن في متحف اللوفر بباريس بفرنسا، واللوحة من النوع الجنازوى، بمعنى أنها سوف تصاحب وتساعد المتوفى في الرحلة الأبدية وتقربه إلى أرباب الحياة والبعث، وهى منحوتة من الحجر الجيرى ذى النوعية الممتازة، وهى تحفة فنية رائعة الجمال، وقد حافظ الزمن عليها من عوامل التعرية، فبقيت وكأنها منحوتة البارحة. ويعتقد بعض العلماء أنه قد تزوج من «ميريت - نيت» والتي أصبحت فيما بعد ملكة مهمة جدًا في تاريخ الأسرات المبكرة؛ لأنها استطاعت أن تعتلى العرش، فأصبحت بهذا الفعل أول ملكة سيدة حاكمة في تاريخ مصر، وفي تاريخ العالم.

٦- الملك دن

اعتلى عرش مصر في حوالي ٢٩٥٠ ق.م، وهو ابن الملكة الحاكمة «ميريت - نيت»، وقد كتب ونقش اسمه بعدة طرق، فلقد أطلق عليه «أوديمو»، و«ديوين»، ويعتبر أكثر ملوك الأسرة الأولى تأثيرًا في التاريخ الفرعونى الملكى، وذلك للأسباب الآتية:

(أ) أحدث ثورة في عالم المعمار الجنازوى عندما أضاف على مقبرته في أيدوس وأيضًا في منطقة سقارة درجًا (سلام) هابطًا يؤدى إلى المقبرة. وكانت هذه السمة غير موجودة في أى مدفن قبل وقت الملك «دن».

(ب) هو أول حاكم يضيف إلى ألقابه الملكية لقب «نسو - بيتى»، ومعناه: «هو صاحب ساق النبات والنحلة»، وهو لقب مقدس حرص أغلب ملوك وراعنة مصر القديمة على نقشه بجانب اسمهم في مقابرهم ومعابدهم.



(ج) أرضية مقبرته كانت ممهدة بكتل من الجرانيت، وهي السابقة الأولى من نوعها، فأصبح الملك «دن» هو صاحب أول بناء جنازى حجري فى تاريخ مصر يتبع هذا الأسلوب الجديد المبتكر فى البناء.

(د) هو أول من ارتدى التاج الأبيض والتاج الأحمر، وهما تاجا مصر العليا والدنيا، مؤكداً أحقيته فى حكم البلاد.

(هـ) أول من احتفل بعيد تتويجه بالعدو بين علامتين، وهو احتفال سياسى ودينى عرف فيما بعد ذلك بـ«حب - سد» أى احتفال الـ «سد» أو عيد الـ «سد» والذى اتبعه غالبية حكام مصر القديمة، والعدو بين علامتين كان له سبب رمزى وسبب واقعى، فالعلامتان ترمزان لحدود البلاد التى يؤمنها الملك، أما عن السبب الواقعى فهو إثبات قوة الحاكم الجسمانية والصحية باستطاعته الجرى لمسافات طويلة، وبالتالي يصبح الملك مؤهلاً لحكم البلاد.

وقد كان لهذه العوامل الخمسة الأثر الكبير فى الديانة والسياسة والمعمار المصرى القديم. ومن هنا نستطيع أن نقول - بلا مبالغة - إن الملك «دن» ومرحلته يعتبران بمثابة الشرارة التى أشعلت شعلة الحضارية المصرية التى أنارت عصر الأسرات الفرعونية والمصرية القديمة.

٧- الملك عنيج - إيب

اعتلى العرش عام ٢٩٢٥ ق.م، وهو أول ملك مصرى يضيف إلى ألقابه لقب السيدتين، وكان يطلق عليهما بالهيو وغليفية «نيبتى»، والسيدتان هنا هما طائر العقاب وثعبان الكوبرا، أصبح ذلك اللقب ملازماً لملوك مصر من بعده.

تم اكتشاف مقبرتين فى سقارة وأبيدوس يُعتقد أنها للملك «عنيج - إيب»، ويشكل هذا الملك غموضاً تاريخياً لا يخلو من الإثارة؛ وذلك لأن اسمه قد تم محوه من فوق الأوانى الخاصة به، والتى كانت تعد لتكون ضمن ممتلكاته الجنائزية بمقبرته، وقد تزامن هذا مع اقتراب انتهاء عصر الأسرة الأولى، الأمر الذى جعل بعض الأثريين يعتقدون أن هذا الكشط لاسم «عنيج - إيب» هو نتيجة خلافات سياسية على العرش والسلطة عجلت بنهاية تلك الأسرة.

٨- الملك سمرخت

وصول «سمرخت» إلى كرسى السلطة يشوبه بعض الغموض، ويعتقد بعض المؤرخين



أنه لم يكن له شرعية؛ وذلك لعدم ذكر اسمه في قائمة الملوك بسقارة (وهي قائمة ترجع إلى عصر الملوك الرعامسة في الدولة الحديثة). ولذلك أنهم أنه هو المسئول عن نحو اسم «عنيج - إيب» لكى يغتصب عرشه. والبعض الآخر يؤكد أنه كان ملكاً معترفاً به؛ لأن اسمه جاء ضمن قائمة «حجر باليرمو» (وهي قائمة للملوك ترجع إلى الأسرة الخامسة). على أى حال يتفق الجميع على أن نهاية الأسرة الأولى وازمحلها بدأ مع فترة حكم «سمرخت»، واستمرت خلال حكم الملك «كا - عا» الذى خلفه في الحكم عام ٢٨٩٠ ق.م، ورغم وصول الكتابات الهيروغليفية إلى مستوى عال في عصر «كا - عا» إلا أن هذا لم يشفع هذه الأسرة، وطبقاً لتقسيم المؤرخ «مانيتون السمنودى» للأسرات، انتهت الأسرة الأولى، وبدأت مباشرة وبدون أى تأجيل الأسرة الثانية من ٢٨٩٠ إلى ٢٦٨٦ ق.م.



الأسرة الثانية (٢٨٩٠ - ٢٦٨٦ ق.م)

١- حتب - سخموى

هو مؤسس الأسرة الثانية التى استمرت من ٢٨٩٠ حتى ٢٦٨٦ ق.م، وهى أسرة غامضة في أحداثها رغم معرفتنا بأسماء ملوكها الذين حكموا بعد «حتب - سخموى»، وهم على التوالى «رع - نب»، ثم «نينيترى»، ثم «ونيج»، ثم «سينيدج»، ثم الملك «بر - إيب - سن».

٢- الملك بر - إيب - سن

تمكن هذا الملك المحارب من اعتلاء العرش في حوالى ٢٧٠٠ ق.م، وقد لقب نفسه «غازى الأراضى الأجنبية»، وخلال حكمه حدث تغير دينى درامى، حيث استبدل «بر - إيب - سن» الرب حورس الصقر بمعبود آخر ألا وهو الرب «ست»، والغريب في هذا التفكير أن الربين يعتبران أعداء بعضها حسب الأسطورة، ف«ست» هو قاتل أبى «حورس» (أوزوريس)، ومن المحتمل أن «بر - إيب - سن» حكم من الجنوب فقط، ولكن لم يكن هذا سبباً لوجود أى ضغائن مع الشمال، بل على العكس وجد العلماء أن الملك «سينيج» شيد هيكلًا دينيًا للملك «بر - إيب - سن» مما يدل على حالة السلام والتوافق بين القطرين القبلى والبحرى.

ولكن يبقى تغير الأرباب من «حورس» إلى «ست» هو المفاجأة التى فجرها الملك «بر - إيب



- سن» والتي ما زالت تحير المؤرخين حتى الآن. وربما كان السبب تنامي قوة كهنة معبد «ست» وتعاضم سلطاتهم هو ما جعل ملك الجنوب يرضخ لتغيير الرب المقدس لمملكته.

على أى حال «ست»، كان رباً معترفاً به في مصر القديمة، وكان يرمز إلى الصحراء، والأمطار الرعدية والكوارث، والحرب والقتال وغيرها من الصفات، ولم يتصف بالشر إلا من قبل مريدى «حورس الصقر»، في أوقات وأزمات بعينها، كان لـ «ست» احترام وتبجيل من بعض الحكام حتى إن الملك «سيتى الأول والثانى» أطلقا على أنفسهما أسماء لها علاقة وطيدة بالرب «ست». فـ«سيتى» معناها «أناست».

٣- الملك خع - سخموى

يعتبر آخر ملوك الأسرة الثانية وأهمهم على الإطلاق، وقد كان سياسياً محنكاً وديبلوماسياً ذكياً. ومن الواضح أن التغيير الدرامى الدينى الذى انتهجه «بر - إيب - سن» قد قاد البلاد إلى مرحلة من عدم الاستقرار، أقرب إلى الحرب الأهلية. ولكن شخصية «خع - سخموى» القوية والحكيمة أعادت المياه إلى مجاريها، واستطاع بذكاء وفطنة سياسية أن يعيد السلام إلى وادى النيل، حيث وضع الرئيّن «حورس» الصقر و«ست» على أعلى اسمه الذى كان ينقش داخل رمز الـ «سرخ» (واجهة القصر)، وبالتالي جعل مريدى الربين سعداء بهذا التوافق والاعتدال فى عدم تفضيل رب على الآخر. هذا الفعل أسعد الجانيين، بل إن اسم الملك نفسه معناها: «تجلى القويان»، وقد تزوج «خع - سخموى» من أكثر من زوجة، ولكن أكثرهن أهمية هى الملكة «نى - ماعت - حب» لدرجة إنها قد عُبدت كشخصية مقدسة إبان الأسرة الثالثة. وبجانب أن «خع - سخموى» هو آخر ملك للأسرة الثانية، فهو أيضاً آخر ملك دُفن فى أبيدوس بالجبانة الملكية؛ لأن الحُكم بعده انتقل من أبيدوس إلى منف، فأصبحت الجبانة الملكية فى سقارة. وقد كانت مقبرته فى أبيدوس من أكبر المقابر حجماً؛ إذ وصل طولها إلى ٧٠ متراً، وبها حوالى ٤٤ غرفة، منها واحدة لغرض الدفن، وعدد من الغرف لتخزين الهبات والقرايين الجنائزية. وقد حكم «خع - سخموى» حوالى ١٥ سنة.

وبنهاية الأسرة الثانية يكون قد أسدل التاريخ الستار على واحدة من أهم الحقب المصرية القديمة، ألا وهى حقبة التحضير والبداية... حقبة الاختبارات والتمهيد. وقد مهدت تلك المرحلة الطريق للأسرة الثالثة لتسطع فى سماء التاريخ المصرى بعد اكتمال مقادير المعادلة.



الدولة القديمة (٢٦٨٦ - ٢١٨١ ق.م)

الأسرة الثالثة (٢٦٨٦ - ٢٦١٣ ق.م)

١- الملك زوسر (جسر)

يُعتبر «جسر» هو المؤسس الحقيقي لهذه الأسرة المهمة، وقد حكم ما بين ٢٦٦٧ و٢٦٤٨ ق.م (حوالي ١٩ عامًا تقريبًا)، واسمه الصحيح «جسر» وليس «زوسر» (وهو الاسم المشهور به) لأنه ليس هناك حرف (ز) في الكتابة الهيروغليفية، أما اسمه الحورى (المرتبط بالرب حور أو حورس الصقر) فهو «نترى - غت» أى الجسد المقدس.



تمثال الملك زوسر بالمتحف المصرى بالقاهرة

وقد حدثت في عصره أحداث وإنجازات غاية في الأهمية، منها تأمين الحدود المصرية في منطقة سيناء والتحكم المصرى التام في كل مواردها مثل الفيروز والنحاس، وتحويل طريقة البناء من البناء باستخدام الطوب الأجر إلى استخدام أحجار مقطوعة بطريقة متساوية ومنظمة. وقد اختار «جسر» مع عماله الأكفاء الحجر الجيرى ليكون قاسماً مشتركاً في غالبية البناء المبهر في منطقة سقارة.

وهنا يتوقف التاريخ لبرهة ويقف مشدوها أمام عبقرية المعمارى المصرى القديم المهندس «إيموحتوب» واسمه الصحيح «إيمحتب» الذى خطط وشيد المجموعة الجنائزية للملك جسر بسقارة، وفيها الهرم المدرج وهو الأول من نوعه في تاريخ الحضارات بارتفاع يصل إلى ٦٠ متراً.

دعونى أقدم لكم هذه الشخصية الفذة التى تعلم منها العالم الكثير.

بطاقة إيموحتوب الشخصية:

الاسم بالكامل: إيموحتوب كا - نفر.

النطق الصحيح للتسمية: إيم - حتب.

معنى اسم إيم - حتب: الذى يأتى فى سلام.

تاريخ الولادة ١٦ من شهر أبيب - فصل «شمو» وهو فصل الحصاد.

سنة الولادة: ٢٦٠٠ ق.م تقريباً.

مكان الولادة: إقليم منديس - الدلتا - مصر.

اسم الأم: خردو - عنخ.

العنوان فى وقت الولادة: ضاحية عنخ تاوى.

اسم الزوجة: رنبت - نفرت.

المهنة: وزير، ومهندس، وفلكى، وطبيب، وكبير الكهنة المرتلين، وكبير القضاة، وحامل الخاتم الملكى، والمشرف على ما تأتى به السماء، وما يخرج من الأرض، وما يجلبه النيل، والمشرف على سجلات الملك.

ألقابه على قاعدة تمثال الملك «جسر»: مستشار ملك مصر السفلى، أكبر رجال ملك مصر العليا، ومدير البيت الكبير (القصر الملكى) النبيل بالوراثة وكبير كهنة أون (هليوبوليس). كان له ابن



شهير أيضًا اسمه «رع - حوتب» وكان يعمل كمهندس وحاكم إقليم. أما عن تماثيل «إيمحوتب» (رغم عدم اكتشاف مقبرة له حتى الآن) فقد وصل عددها إلى ٢١ تماثلاً في المتحف المصري، و١٤ في المتحف البريطاني، و٤٨ في متحف ويلكوم لتاريخ الطب، و٣ في متحف الأشموليان، و٧ في متحف المتروبوليتان، و٥٠ في متحف اللوفر، و٢ في متحف بومييه، و٥ في متحف تورين. والأعداد في ازدياد نتيجة الاكتشافات الجديدة.

تاريخ الوفاة: ١٧ من شهر مسرى، الشهر الرابع للصيف، ويعادل يوم أول يوليو.



هرم سقارة المدرج والذي شيده المهندس إيمحوتب للملك زوسر - الجيزة

وقد تفوق «إيمحوتب» على نفسه كعماري عندما شيّد أول هرم مدرج^(١) بهذا الحجم بسقارة، وقد أحدث استخدامه للحجر الجيري والأعمدة المحاكية لشكل سيقان البردي، وزيادة عدد المصاطب إلى ست مصاطب غير متساوية، وتشييده لمجموعة جنازية كاملة متضمنة فناء لممارسة احتفال الـ«سد» (إعادة تتويج الملك)، ومعابد وغرفاً ملكية ودهاليز وسرايب وتماثيل

(١) هرم زوسر: هو الهرم المكون من ست درجات غير متساوية من الحجر الجيري. وهو أول بناء هرمي مدرج بهذا الحجم، شيّد مستخدماً ذلك الحجر بتشكيلاته وأحجامه المختلفة عمّا قبله من بنايات. المهندس العبقري «إيمحوتب» شيده ليصل ارتفاعه حوالى ٦٠ مترًا. تحت الهرم يوجد بئر منحوت في الأرض يصل عمقه إلى ٢٨ مترًا في نهايته يوجد غرفة جرانيتية للدفن محاطة بعدد من الدهاليز والمرات.

على مساحة شاسعة محاطة بسور يبلغ طول محيطه ١٦٠٠ متر، أحدث كل هذا ثورة في عالم الهندسة والتفاعل الاجتماعى بين طبقة الفلاحين، الذين حولهم إلى بنائين، من جهة والطبقة الملكية من جهة أخرى. وأصبح «إيمحوتب» من الشخصيات النادرة في التاريخ المصرى؛ وذلك لأنه قد احترم، بل وقُدس بعد مماته، رغم أنه لم يكن يحمل الدم الملكى فى عروقه حسب التقليد المصرى القديم، بل إنه بعد ألفى عام من وفاته وأكثر قام الإغريق بتقديسه، وشبهوه بـ«أسكليبيوس» رب الطب عندهم. وهو أيضًا أول طبيب بشرى فى التاريخ، وقد ذكر اسمه فى معابد كثيرة ونصوص قديمة مثل معبد بتاح وحتحور بالكرنك، وقد بُجل بمعبد فيلة بأسوان، ومعبد إدفو، ومعبد دابود والدكة، وكلابشة وغيرها، ويعتبر «إيمحوتب» فخراً لكل مصرى فى الماضى والحاضر، وملهماً للمستقبل. ورجوعاً للملك «جسر» نجد أنه لم يكتف بالهرم المدرج بسقارة، بل شيد لنفسه مصطبة كبيرة فى منطقة بيت خلاف بجرجا، ومن أهم الآثار التى تركها لنا الملك «جسر» هو تمثاله الذى نحت من الحجر الجيرى، والذى يعتبر حتى الآن من أوائل التماثيل المكتملة المحاكية للحجم البشرى الطبيعى، التمثال يُبرز سمات الملك الجسمانية وهو جالس على كرسى العرش المصرى مرتدياً الرداء الكتانى المخصص للاحتفالات الدينية والسياسية، يصل ارتفاعه إلى ٤, ١ متر، وهو الآن موجود بالمتحف المصرى بالقاهرة داخل قاترينة زجاجية على اليسار مباشرة بعد المدخل. العينان مفقودتان، ولكن من الواضح أن التمثال كان ملوناً، ويظهر بوضوح أن الملك «جسر» كان له شارب. للأسف لم يتم اكتشاف الجسد المحنط لـ«جسر» رغم اكتشاف أكثر من تابوت وآلاف القارورات وحوائط مغطاة بالسيراميك الأزرق اللون داخل مجموعته الجنائزية. ويجب هنا أن نذكر المجهود الملحوظ لعالم الآثار الفرنسى «لويير» الذى أفنى حياته من أجل ترميم وإعادة بناء الكثير من أجزاء المجموعة الملكية.

ويبقى أن نذكر شخصيتين لعبتا دوراً كبيراً ومؤثراً فى حياة «جسر» العائلية ألا وهما زوجته المسماة «حتب - حر - نبتى» وابنته «إينتكا - إس»، والتى ذُكرت فى كثير من اللوحات الحجرية المخصصة لتحديد الحدود السياسية لمصر فى وقت «جسر»، وقد تم الكشف عنها داخل السور المحيط بالمجموعة الجنائزية للهرم المدرج بسقارة. وتلك اللوحات تقبع الآن فى العديد من المتاحف العالمية.



الأسرة الرابعة (٢٦١٣ - ٢٤٩٤ ق.م)

(حديثًا اعتبر عدد من الأثريين أن الدولة القديمة قد استمرت من الأسرة الرابعة حتى الأسرة الثامنة).

١- الملك سنفرو

حكم الملك «سنفرو» ابن «حوني» (آخر ملوك الأسرة الثالثة) من ٢٦١٣ إلى ٢٥٨٩ ق.م، وهو المؤسس لأهم أسرة حافلة بالأعلام الفرعونية الشهيرة. ورغم أن أمه «ميرسى عنخ» لم تكن تحمل الدم الملكي وغالبًا كانت محظية من محظيات «حوني»، إلا أنه استطاع أن يحتل مكانه بجدارة على عرش مصر.

قام على الفور بتأمين الحدود الجنوبية والغربية، وبعث أيضًا بالحملة إلى شبه جزيرة سيناء للاستفادة من محاجر التركواز (الفيروز)، واشتهر الملك «سنفرو» لأسباب أخرى كانت هي الأهم من وجهة نظر كاتبى التاريخ ومؤرخيه، منها أن «سنفرو» هو صاحب هرمى دهشور وهما الهرم الأحمر (وهو ثانى أكبر هرم فى تاريخ مصر بعد هرم الملك «خوفو» بهضبة الجيزة وهو الهرم الذى دُفن فيه «سنفرو»)، والهرم المنحنى، وهو أيضًا الذى أكمل مهمة والده «حوني» فى بناء هرم ميدوم الناقص. ودائمًا ما تجده - سنفرو - متفردًا. فهو الملك الوحيد الذى شيد هرمين ضخمين فى منطقة واحدة، وهى دهشور (وهى منطقة أثرية بجانب سقارة بالجيزة)^(١). وهو أيضًا أول من وضع اسمه الملكى داخل «خرطوش» (شكل بيضاوى كتب فيه الملوك والملكات أسماءهم داخله). ولكن هذا لم يجعله يغفل ذكر اسمه الحورى (المنتسب للرب حورس) «نب - ماعت».

(١) هرم دهشور: هرم الملك سنفرو يطلق عليه الهرم الأحمر أو الهرم المكتمل وذلك لأن الحجر الجيرى قد تفاعل مع اهواء فصبغ بلون بنى مائل للاحمرار. وهو يعتبر ثانى أكبر هرم فى مصر بعد خوفو. مشيد من الحجر الجيرى المحلى ولكن الطبقة الخارجية مبنية من كساء حجرى مقطوع من محاجر طرة. يصل ارتفاعه إلى ٩٩ مترًا وزاوية بناء الهرم تصل إلى حوالى ٤٣°. مدخل الهرم كائن فى الناحية الشمالية كالعادة، يؤدى المدخل إلى عمق هابط طوله ٦٠ مترًا يؤدى إلى ثلاثة حجرات تحت مستوى الأرض.

الهرم المنحنى بدهشور: هو الهرم الوحيد الذى بنى بهذه الطريقة. يصل ارتفاعه إلى ١٠١ متر وقد غير المهندس المصرى القديم زاوية بنائه الانحدارية من ٥٤° إلى ٤٣° تقريبًا على ارتفاع ٥٠ مترًا تقريبًا وذلك لأسباب دينية ومعمارية. الهرم مشيد من الحجر الجيرى. مدخله على ارتفاع ٨, ١١ مترًا ولكنه غير مصرح بدخوله حتى الآن. ويعتبر من أهم أهرامات مصر وذلك للفكرة المعمارية التى شيد بها مما جعل الكساء الخارجى يحتفظ بنفسه حتى الآن.





الاسم الملكي لـ «سنفرو» داخل خرطوش ملكى بىضاوى الشكل
حديقة المتحف المصرى بالتحرير - القاهرة



هرم دهشور المنحنى للملك سنفرو بمنطقة دهشور

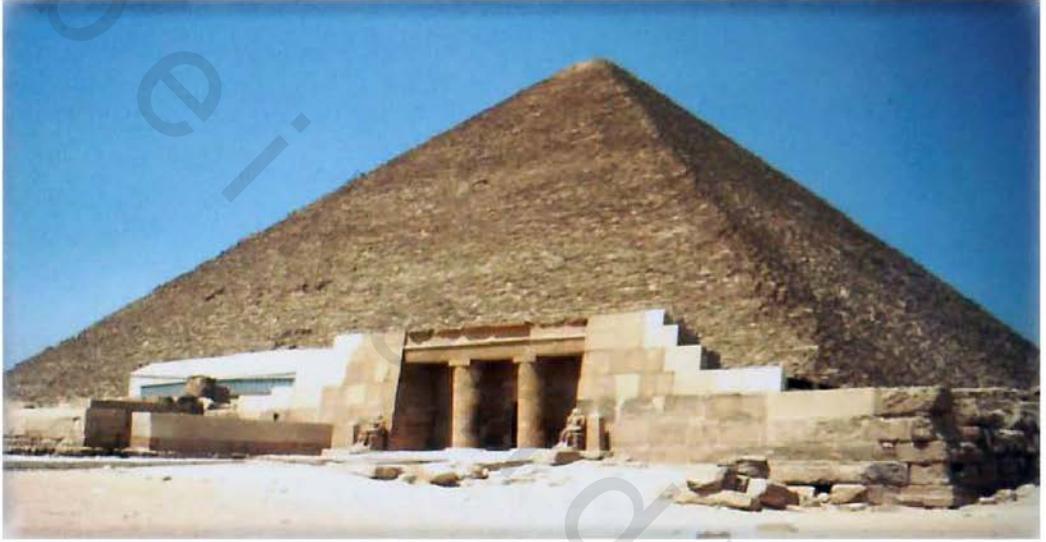
و«سنفرو» هو أبو الملك الأشهر «خوفو»، ووصفته النصوص القديمة بصفات متفردة، فقد ذكرت بعض النصوص القديمة التي ترجع إلى الدولة الوسطى (حوالي ٢٠٠٠ ق.م)، وما بعدها أن «سنفرو» كان يتصف بالقدسية وخفة الظل. وله آثار نادرة حاليًا موجودة في المتحف المصري، ولكن للأسف لم يتم العثور على موميائه حتى الآن.

٢- الملك خوفو

وهو أشهر الملوك المصريين القدماء على الإطلاق (ينافسه في هذه السمة الملك «رمسيس الثاني»)، وذلك لأنه صاحب أكبر هرم مصرى قديم بهضبة الجيزة، وهو العجيبة الوحيدة الباقية من عجائب الدنيا السبع القديمة.

الملك «خوفو» هو ثاني ملوك الأسرة الرابعة، اسمه بالكامل «خنوم - خوفو - ي»، ومعناه «خنوم (الرب المقدس الأسطوري) يحميني». وقد حكم من ٢٥٨٩ إلى ٢٥٦٦ ق.م. تزوج «ميريتوتس الأولى»، وكان له العديد من الأبناء والبنات، منهم الملك الوريث

«جيد ف-رع»^(١)، وقد وُجِدَت نقوش تحمل اسمه في الجنوب، ووادي حمامات، وبالقرب من توشكى، بل وفي مدينة جبيل بلبنان. وهذا دليل على انتعاش التجارة والعلاقات الاقتصادية بين مصر وغيرها من البلاد المجاورة إبان حكم «خوفو»، وقد كان معروفًا بولائه لأمه الملكة الشهيرة «حتب حرس» والتي اشتهرت مقبرتها بالأثاث الجنائزي الرائع والموجود حاليًا في المتحف المصرى بالقاهرة، ولكن يبقى هرم الملك «خوفو» بهضبة الجيزة هو أهم الإنجازات المعمارية في تاريخ العالم القديم، وما زال هرم «خوفو» يمثل لعلماء الآثار علامة استفهام غير مشروحة.



الجانب الجنوبي والشرقى لهرم الملك خوفو بالجيزة

ولم يستطع أى مؤرخ، أو أثرى، أو مهندس معمارى أن يفك طلاسم هذا المبنى المبهر الذى بناه مائة ألف عامل مصرى (كما ذكر المؤرخون اليونان) مقابل أجر يومية. وما كانت للعبودية أن تنجز هذا البناء بهذه الدقة المتناهية، وقد استمر العمل فى بنائه حوالى عشرين عامًا، ولم يتوصل الأثريون إلى الطريقة التى صعد بها المهندس والفنى والعامل المصرى بتلك الأحجار إلى تلك الارتفاعات العالية، وخصوصًا أن وزن تلك الأحجار يتراوح ما بين ٢ طن و ١٥ طنًا. فبعضهم يؤكد أنهم استخدموا فكرة الطرق الحلزونية الصاعدة، والبعض الآخر أكد على استحالة هذه

(١) أساء الملوك والملكات القديمة يختلف نطقها وكتابتها باختلاف طريقة الترجمة فمثلاً نجد أن «جيد ف-رع» تنطق وتكتب فى حالات أخرى «جد-ف-رع». وسوف ننوه عن هذا فى كل الحالات.

الطريقة هندسيًا. وبقيت فكرة عدم استخدام العجلة في عملية نقل الأحجار مستحوذة على تفكير الأثريين حتى فاجأنا العلامة الأثرى القدير «سليم حسن» بمعلومة قلبت الموازين التاريخية، يقول العلامة «سليم حسن» في موسوعته الشهيرة «مصر القديمة»: بأن الجامعة المصرية اكتشفت بمنطقة الجيزة قطعتين أسطوانيتين حجريتين وهو ما يثبت أن المصرى القديم عرف فكرة العجلة المستديرة قبل دخول الهكسوس بعجلتهم الحربية، ثم يضيف: «... وأن البكر كان يستعمل لرفع هذه الأحجار». وهناك من يعتقد أن المصرى القديم ابتكر فكرة الشادوف لرفع الأحجار إلى أعلى كما يفعل مع الماء، وأخيرًا خرج علينا بعض العلماء بفكرة أن الهرم شيد من الداخل أولاً كما كان يُعتقد. على أى حال ما زالت النظريات تتلاطم كالأمواج في محيط علم الآثار والهندسة.

يحتل الهرم الأكبر للملك «خوفو» مساحة تصل إلى حوالى ١٣ فدانا، وهو مبنى من ٣, ٢ ملايين من الحجر الجيرى (ويوجد من يعتقد أنهم حوالى ٤ ملايين حجر حسب آخر بحث في بريطانيا) في منظومة معمارية قوامها ٢٠٣ طبقة يصل ارتفاعها إلى ١٤٦ متراً تقريباً. الاتجاهات الأربعة للهرم متوجهة للاتجاهات الأصلية.. الشمال والجنوب والشرق والغرب، وقاعدته مربعة، ومن العجيب أن نسبة الخطأ الذى وقع فيه المعمارى المصرى القديم عندما أراد أن يصل إلى تلك الحسابات الهندسية والفلكية الصحيحة هي ٠,٠٦ ٪ (وهي تكاد تكون منعدمة تماماً، فهذه النسبة نسبة صغيرة جداً رغم عدم اكتشاف أية أدوات فلكية كافية للوصول إلى هذه الدقة المتناهية، واضعين في الاعتبار أن هذا كله كان يحدث حوالى ٢٥٠٠ ق.م). تم إحضار الحجر الجيرى من منطقة هضبة الهرم نفسها بجوار الهرم، ولكن الكساء الخارجى كان يجلب من محاجر طرة بجبل المقطم الموجود على الجانب الشرقى لنهر النيل، وذلك لأن حجر طرة أقوى في الاحتمال وأجمل في الشكل، فكان من ذكاء المصرى القديم أنه استخدمه لبناء الكساء الخارجى؛ لكى يعطى انطباعاً ساحراً ومؤثراً للناظر.

هناك العديد من الدهاليز المكتشفة وغير المكتشفة بعد داخل هرم «خوفو». المدخل الوحيد للهرم الآن يقع في الناحية الشمالية على ارتفاع ١٦ متراً فوق مستوى الأرض، وهو يؤدى إلى دهاليز صاعدة تصل في النهاية إلى غرفة الدفن.

لا توجد أى نصوص هيروغليفية على الجدران الأربعة لغرفة الدفن، ولكن توجد فتحات تؤدى إلى السطح الخارجى للهرم. وقد فسر الأثريون هذه الفتحات تارة بأنها فتحات للتهوية، وتارة أخرى بأنها تؤدى إلى اتجاهات فلكية لها علاقة بنجوم وتجمعات للأجرام السماوية التى كان يؤمن



بها المصري القديم، وبالعلاقاتها المؤثرة بالحياة الأخرى الأبدية، ولكن التابوت الجرانيتي داخل غرفة الدفن به شيء غريب، فهو بوصة واحدة أعرض من مدخل الغرفة، فكيف إذن أدخله عمال البناء من خلال الباب الوحيد لغرفة الدفن؟ والطريقة الوحيدة التي كان من الممكن وضعه في الغرفة هي أن العمال قد وضعوه ثم بنوا الهرم من حوله، وهي طريقة ذكية لحل مشكلة طول وعرض التابوت.

التابوت موجود حاليًا، ولكن الغطاء مفقود، والمومياء مفقودة أيضًا.

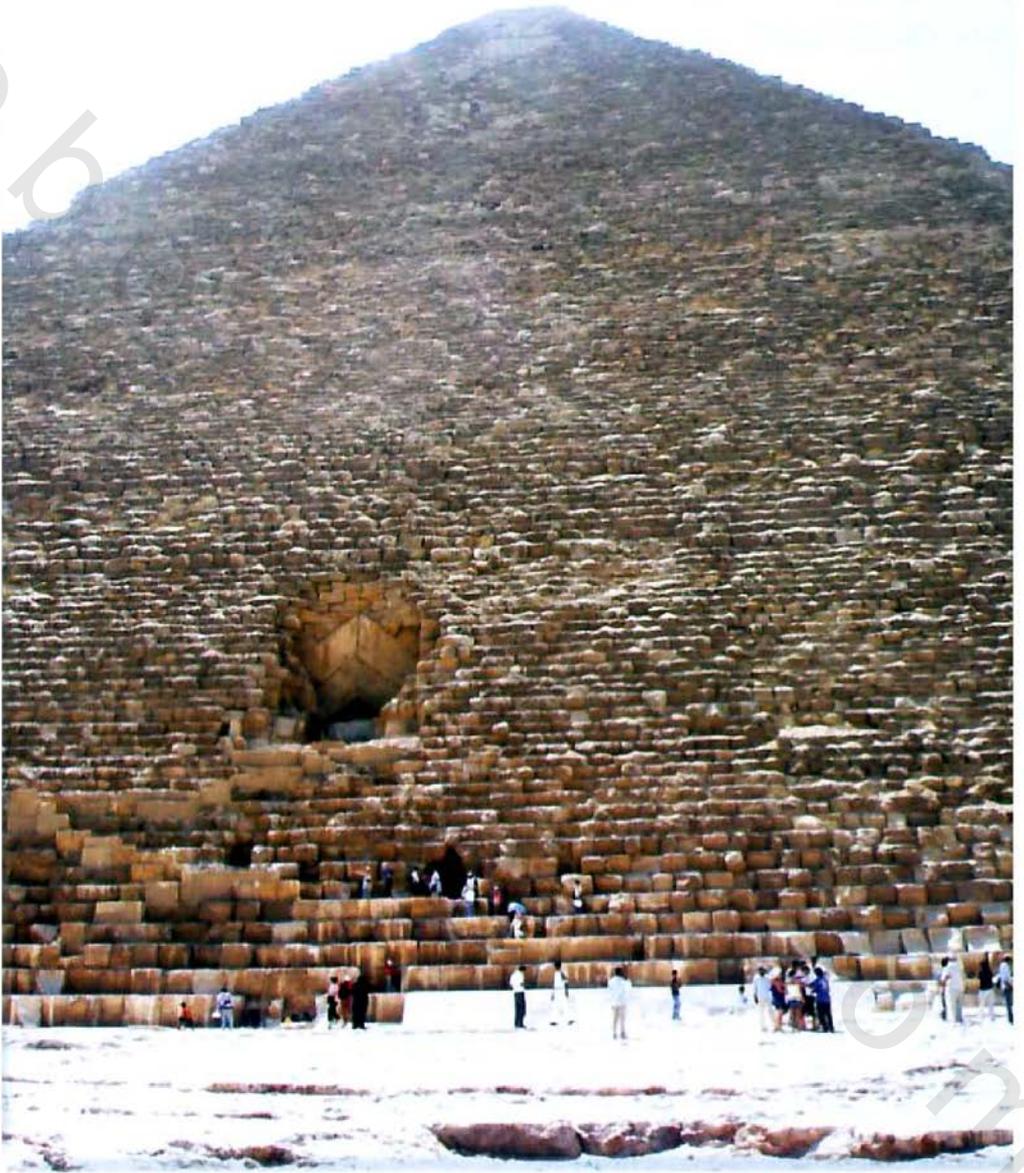
وقد تم بناء هرم «خوفو» على خط عرض ٣٠ بدقة بالغة، ولكن تبقى نظرية غريبة حتى الآن لا يستطيع أحد أن يفك طلاسمها، ألا وهي أنه إذا افترضنا أن بالهرم ٣, ٢ ملايين من الأحجار تم بناؤها في ٢٠ عامًا عن طريق ١٠٠,٠٠٠ عامل يعملون حوالي ١٠ ساعات يوميًا لمدة ٣٦٥ يومًا في العام، لكان لزامًا عليهم أن يضعوا ٣١ حجرًا في مكانها في الهرم كل ساعة، وهذا شبه مستحيل إذا لم يكن المستحيل نفسه، وقد أطلق المصري القديم على الهرم لقب «مر» بالهيروغليفية، ولما جاء الإغريق أطلقوا على الأهرامات «بيramidس» لأنها كانت تشبه كعكة الخبز المصنوعة من القمح في شكلها المثلث المدبب عندهم في اليونان، ومن هنا جاءت تسمية الهرم «بيramid» بالإنجليزية الآن.

وقد تم اكتشاف اسم «خوفو» داخل خرطوش ملكي في أكثر من موضع داخل وخارج الهرم على أحجار منفصلة، وعلى جدران قديمة، ومقابر مجاورة للهرم، ومنها المنحوت ومنها المكتوب.

وقد فجر عالم اللغويات الفرنسي «شامبليون» مفاجأة كبيرة عندما أكد: «... الأهرام بلا شك، مهما كان المجهود الذي بذل في بنائها، عمرها سبعة آلاف سنة أو أكثر والدليل في بردية».

ولو صح كلام «شامبليون» لأصبح عمر الأهرامات أقدم مما نعتقد الآن، وهو ما يعد انقلابًا في تأريخ عصر الأسرات الفرعونية، الأمر الذي يُعطي تاريخ مصر عمقًا أكبر.

لم يكن هناك سُخرة أو عُبودية للعامل المصري الذي نقل الأحجار بعد تقطيعها، فقد تم الكشف عن مقابر لعمال في منطقة هضبة الهرم، وهي دليل قاطع على احترام العامل المصري الذي كان يعمل ٨ أيام في الأسبوع (وهذا، لأن الأسبوع المصري كان قوامه ١٠ أيام)، وهذا معناه أن العامل كان يرتاح لمدة يومين في الأسبوع، وهذا دليل على حضارة تقدر وتحترم العامل وتقدم له راحة يومين حتى يرجع لعمله وهو في قمة النشاط والحيوية، بل إنه كان للعامل نظام تأمين



الجيزة - الهرم خوفو - الجانب الشمالي

صحى من قبل الحاكم، وكان يتم صرف وجبات غذائية ومشروبات ومرتبات للعمال، وقد تم الكشف عن تمثال صغير للملك «خوفو» (وهو الوحيد من نوعه الموجود الآن في المتحف المصرى بالقاهرة) عام ١٩٠٣ عن طريق العالم الأثرى الإنجليزي «بترى». طول التمثال ٧,٥ سم وهو من العاج، وقد تم اكتشافه فى معبد الرب الأسطورى «ختى - أمتيو» بمنطقة أيدوس. وهنا يبقى السؤال: هل هناك تماثيل أخرى ما زالت تحتضنها رمال صحراء مصر الذهبية لهذا الملك صاحب أكبر إنجاز معمارى؟

لقد بقى هرم «خوفو» أعلى بناء شيده الإنسان حتى عام ١٨٨٩م، عندما تم بناء برج إيفل ليكون الأعلى فى وقته.

هرم «خوفو» وتاريخ صاحبه لا يزالان علامة استفهام كبرى فى تاريخ الحضارات.

٣- الملك خفرع

ابن «خوفو»، اعتلى العرش بعد «چيد ف - رع»، وهو رابع ملوك الأسرة الرابعة. والنطق الصحيح لاسمه «خع - إف - رع» والذى نحت داخل الخراطيش الملكية المنحوتة على تماثيله البديعة والتي منها تلك التحفة الفنية الرائعة المنحوتة من حجر الديوريت الأسود الذى يتخلله عروق بيضاء، وهو الآن بالمتحف المصرى بالقاهرة، وقد اكتشفه «مارييت» عالم الآثار فى عام ١٨٦٠ فى بئر خفر فى أرضية معبد الوادى، وقد وُجد فى الوضع مقلوبًا ...

وقد حكم بين عامى ٢٥٥٨ و ٢٥٣٢ ق.م أى ٢٦ عامًا أنجز خلالها العديد من الأعمال، ومنها الهرم الثانى بهضبة الجيزة، وتمثال أبى الهول، ومعبد الوادى. ورغم تعدد النظريات عن تلك الأبنية إلا أن الأثريين الكلاسيكيين يؤكدون أن «خفرع» هو الذى شاد كل تلك الإنجازات المعمارية.

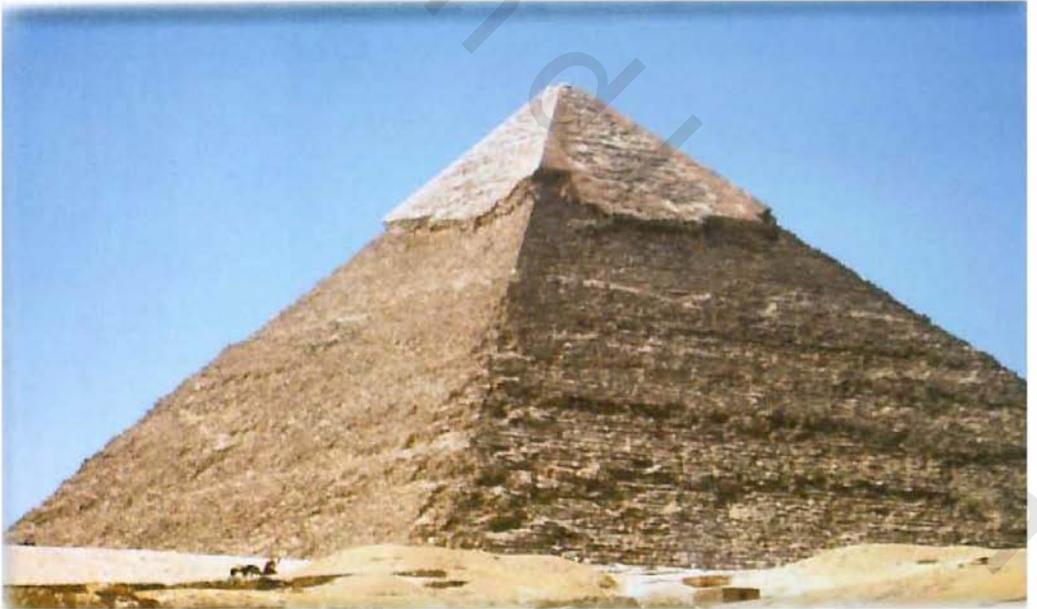
ينفرد هرم «خفرع» بوجود بقايا للكساء الخارجى الحجرى بأعلى الهرم، تم اكتشاف دهاليز الهرم الداخلى وغرفة الدفن، ولكن لم يتم العثور على مومياء الملك حتى الآن (كما هو الحال مع «سنفرو وخوفو ومنكاورع» وغيرهم من ملوك الدولة القديمة).

ومن أشهر أعمال «خفرع» النحتية، تمثال أبى الهول الرابض فى الجانب الغربى لهضبة الأهرام مواجهًا الشرق لكى يُحِى قرص الشمس كل صباح، وهناك العديد من النظريات والكتابات التى أحاطت بتاريخ أبى الهول، ويجدر بنا ذكر المعلومات الآتية:





التمثال الديوريتى للملك خفرع بالمتحف المصرى - ميدان التحرير - القاهرة



هرم خفرع ويظهر بأعلى الهرم بقايا الكساء الخارجى الأسمى - الجيزة



تمثال الملك خفرع الديورتي، ويظهر الصقر حورس الحامى يفرد جناحيه، وهو منحوت من نفس القطعة الحجرية للتمثال



هرم خفرع من زاوية نادرة





معبد أبي الهول ومن خلفه التمثال الرابض، وفي الخلفية هرم خفرع ومنكاورع - الجيزة

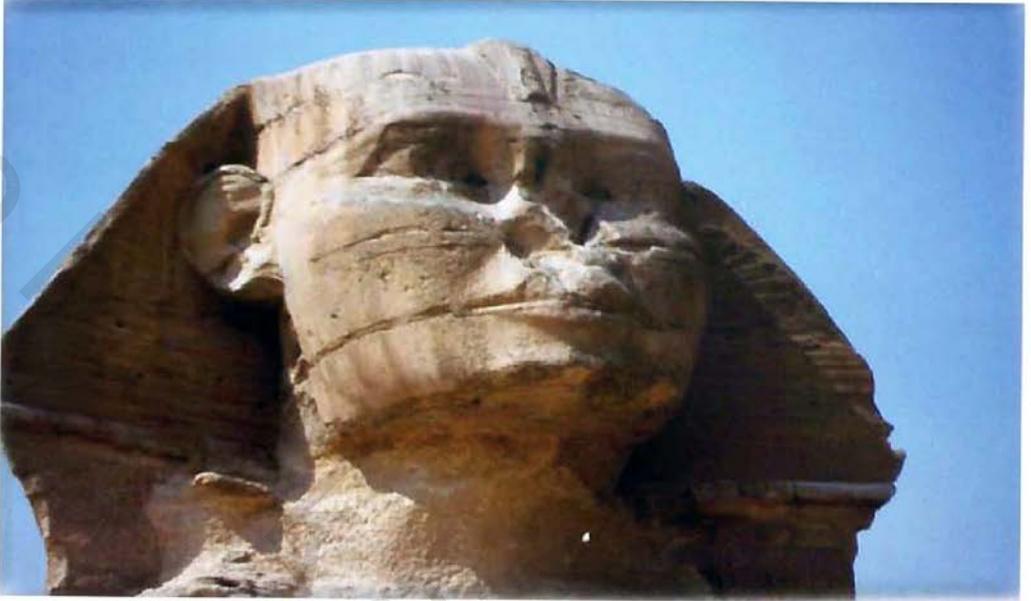
تمثال أبي الهول

تسميته الهيروغليفية هي «حر - إم - آخت» أي حورس في الأفق. وحورس هو الرب الصقر الأسطوري الذي يخلق في الأفق لغرض الحماية، فهو في المقام الأول تمثال نُحت من الصخرة الأم ليكون رمزًا للحماية وتجسيدًا لفكرة القوة والحماية.

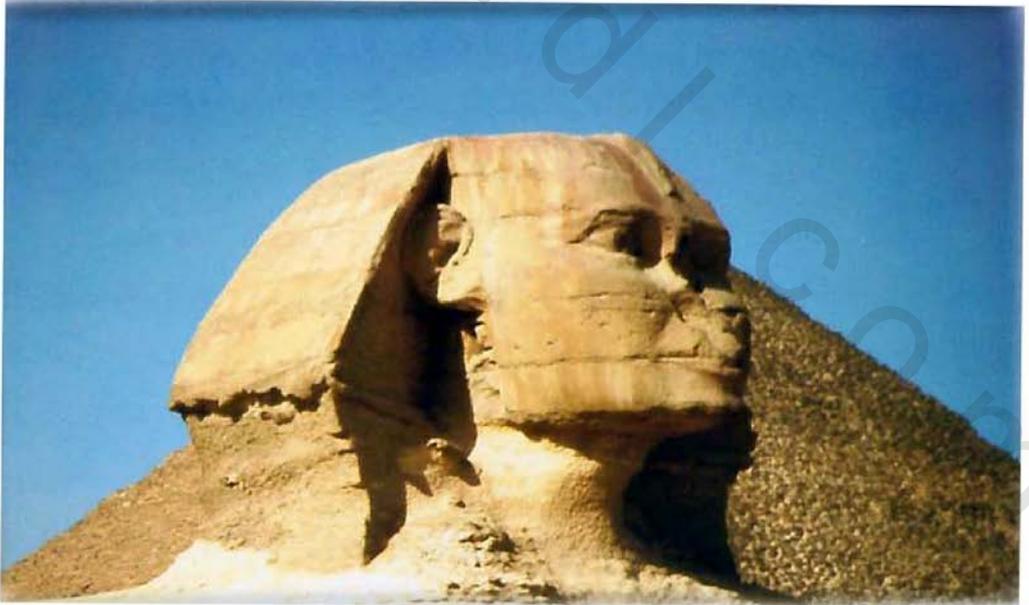
التمثال يتكون من شكلين متصلين في الجسد منفصلين في طبيعتهما، والجزء الأعلى هو لرأس الملك نفسه وهو يرتدي غطاء الرأس «نمس» كما أُطلق عليه بالهيروغليفية. الفم يصل اتساعه إلى ٧ أقدام و٧ بوصات، والأنف ٥ أقدام و٧ بوصات، والأذن تبلغ ٤ أقدام و٦ بوصات، والعينان مصريتان واسعتان ذات تحديد فرعونى، وبقايا اللون الأحمر ما زالت تظهر بوضوح على الوجنة اليمنى.

أما عن الأنف والذقن المستعارين فهما غير موجودين... الذقن جزء منها موجود في المتحف المصرى والجزء الآخر موجود في المتحف البريطانى بلندن في فاترينة زجاجية ليست ببعيدة عن حجر رشيد، أما عن الأنف فلها قصة مثيرة جدًا، فقد أتهم «المقرىزى» شخصًا يدعى «صائم



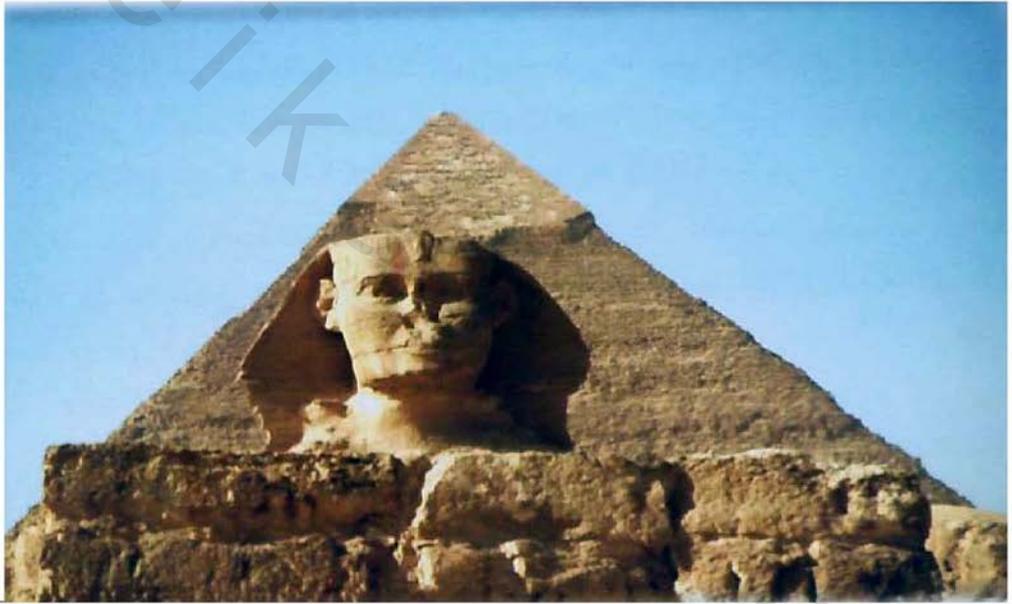


رأس أبي الهول ويظهر بوضوح مكان ثعبان الكوبرا على الجبهة، ويظهر الأنف والذقن المستعمارة محطمة وغير موجودة



رأس أبي الهول ويظهر الجانب الجنوبي منه بوضوح

الدهر» بأنه المسئول عن تحطيم الأنف، وهى قصة من الخيال غير جدية بالتصديق واتهم آخرون الفرنسيين بتدميرها، وقد وَجِدَتْ أن معركة الأهرام (كما سماها الفرنسيون) وقعت في منطقة إمبابة، وبالتالي فهى بعيدة جدًا عن تمثال أبى الهول، ومن المستحيل أن يكون قد صوب الفرنسيون مدافعهم صوب الأنف وأصابوه من هذه المسافة البعيدة، بل إن هناك ملاحًا دانمركيًا يدعى «فردريك نوردن» قد رسم لوحات لأبى الهول في عام ١٧٣٧م وتم نشرها بعد وفاته عام ١٧٤٤م، وقد ظهر في اللوحات أن أنف التمثال مدمر وغير موجود. ومن المعروف أن الحملة الفرنسية وصلت إلى مصر في عام ١٧٩٨م، وهذا يعنى أن أنف أبى الهول كان مدمرًا قبل وصول الحملة الفرنسية بعدة سنين. ويبقى الشخص المسئول عن تدمير أنف أبى الهول مجهولاً في نظر التاريخ.



وجه أبى الهول يطل خلف معبد أبى الهول. ويظهر خلفه هرم خفرع - الجيزة

الجسد واليدان الأماميتان هما لأسد رابض، والأسد هنا بجانب تجسيده لقوة الشكيمة، فقد كان من أوائل المعبودات المصرية القديمة، وقد شبه ملوك مصر القديمة أنفسهم بالأسد في قوته، وقد كان هناك رب أرضى وقديم جدًا اسمه «آكر»، وكان يُنحت على جدران المعابد على شكل أسدين، ومن هنا جاءت فكرة الازدواجية والتأهلية الثنائية على أرض الواقع، فتجد دائماً وأبداً أسدين أو تمثالين لأبى الهول يجرسان الطرق المؤدية إلى المعابد المختلفة. وقد اتفق العلماء الأثريون على أن عمر الصخرة السجولولوجى التى نحت منها تمثال أبى الهول يصل إلى ٥٠ مليون عام

مضت، مما يثبت أنها صخرة حديثة وضعيفة، وهذا يشرح حالة الدمار الناتج عن عوامل التعرية، والرياح والمياه الجوفية، والتلوث بل والاهتزازات الأرضية، وقد تم ترميمه أكثر من مرة، وهو ما زال يرمم إلى الآن.

ورغم عدم اتفاق علماء المصريات على تحديد زمن وتاريخ لنحت أبي الهول، إلا أن العالم «شتادلمان» يرجعه إلى عصر «خوفو» وليس «خفرع»، وأعتقد أن هذه المباراة التاريخية سوف تستمر طويلاً، حيث إنه لا يوجد أى نقوش هيروغليفية باقية على جسد أبي الهول ذى الابتسامة الغامضة.

٤- الملك منكاورع

هو ابن «خفرع» وحفيد «خوفو»، تولى العرش عام ٢٥٣٢ إلى عام ٢٥٠٣ ق.م، وكان معروفاً بولائه وإخلاصه لوالديه، حيث أكمل بناء مقابرهما. وهو صاحب الهرم الثالث بهضبة الجيزة ورغم أنه أصغر الأهرامات إلا أنه يعتبر من أعلى الأبنية على هضبة الجيزة، لكسوته بطبقة من الأحجار الجرانيتية الباهظة التكاليف، ولم يتبق منها غير ١٦ طبقة الآن.

وقد كان له ولزوجته المفضلة «خاميرير نبتى» الثانية تمثال بديع تم الكشف عنه فى هضبة الأهرام. ولـ«منكاورع» مجموعة تماثيل ثلاثية تعتبر من أفخم وأجمل التماثيل البديعة فى التاريخ المصرى، ويظهر فيها الملك مع عدد من الأرباب والربات، والشخصيات المقدسة فى أقاليم مصرية مختلفة. وهى الآن فى المتحف المصرى بالقاهرة.

وقد كانت هناك حادثة غريبة تستحق الذكر، وهى متعلقة بأحد التوابيت التى تم اكتشافها داخل هرم الملك «منكاورع»، فقد نقل الكولونيل «هاورد فايس» تابوتاً من البازلت الأسود البديع من غرفة الدفن إلى مركب تجارى اسمها «بيتريش - Beatrice» لأخذه إلى إنجلترا، وقد كان لهذا التابوت صفات جمالية وسماة نحتية غاية فى الدقة تظهر رمز بوابة وواجهة القصر الملكى المسمى بـ«السرخ»، وربما يكون هذا ما أغرى ذلك المغامر المتهور «فايس» بأن يقوم بهذه السرقة فى مغامرة غير محسوبة العواقب، وفى أثناء إبحار سفينة الشحن «بيتريش» إلى إنجلترا غرقت فى «الجهرون» وقبعت السفينة وبها التابوت فى قاع البحر، وهى ما زالت هناك حتى الآن. حادثة الغرق هذه كانت فى يوم ١٢ أكتوبر من عام ١٨٣٨ م. وقد أثارت تلك الحادثة الغربية العديد من الأقاويل حول لعنة التابوت المسروق، وقد أثبتت الاكتشافات العديدة فى غرف ودهاليز هرم الملك «منكاورع» أنه قد تم دخوله عن طريق بعض الناس فى فترات لاحقة، مثل الفترة الصاوية ثم القبطية؛ وذلك لوجود آثار ترجع إلى تلك الفترات الزمنية ٦٦٤ - ٥٢٥ ق.م.





التمثال الثلاثي للملك منكاورع - المتحف المصري

الأسرة الخامسة (٢٤٩٤ - ٢٣٤٥ ق.م)

١- الملك ساحورع

ثانى ملوك الأسرة، وقد حكم من ٢٤٤٤ إلى ٢٤٣٣ ق.م. وهو باني الهرم الشهير في منطقة أبى صير القريبة من سقارة بالجيزة. وقد اشتهر حكمه بالحملات السلمية إلى بلاد بونت بإفريقيا وإلى آسيا أيضًا مستخدمًا أساطيل بحرية مصنوعة من الخشب متبعًا ما فعله الملك «سنفرو» من قبله، وقد كون «ساحورع» جيشًا قويًا لمواجهة قبائل البدو الرحل والقبائل الليبية، وقد استمر في نفس الاتجاه الدينى الذى بدأه الملك المؤسس للأسرة الخامسة «أوسر كاف»، ألا وهو الاتجاه لإعلاء شأن الرب الأسطورى «رع»، وقد تم إنشاء العديد من المجموعات الإنشائية الدينية المكرسة لـ«رع» مثل المسلات والأهرامات والمعابد. وقد وصل ارتفاع هرم الملك «ساحورع» بأبى صير إلى ارتفاع ٤٩ مترًا. ومن المبهر أن مسلة «ساحورع» قد وصلت إلى ٢٠ مترًا ارتفاعًا. وقد ازدهر الطب فى عصره، وقد تم الكشف عن مقبرة الطيب «نى - عنخ - سخمت» فى سقارة، وقد بجله الملك وقدره.

٢- الملك نو - سو - رع

تولى عرش مصر لمدة تقرب من الثلاثين عامًا، وقد تلا ملوكًا مؤثرين مثل «نفر إركارع» و«شبسس كارع»، و«نفر - ف - رع». وكعادة ملوك مصر القديمة ترك لنا مناظر كثيرة تظهره كمحارب مقدم ومنتصر فى كل الحالات مثل تلك النقوش التى تم الكشف عنها فى وادى مغارة، حيث يظهر وهو يهزم الجيوش الآسيوية، وغيرها بمعابده بأبى صير، حيث يظهر منتصرًا على السوريين والليبيين. وقد ازدهرت الفنون والعمارة فى عصره، وقد خدم هذا الازدهار الإنشاءات الدينية، وقد ظهر هذا جليًا فى مصطبة الكاهن الشهير «تى» بسقارة، ولكن يبقى المنظر المنقوش على جدار معبد هرمه بأبى صير هو أهم النقوش؛ لأنه يبين ولأول مرة احتفالية «حب - سد» الملكية لأول مرة فى تاريخ مصر الفرعونية على جدار. وكلمة «حب» معناها احتفالية أو عيد، و«سد» تعنى اليوبيل أو ذلك الاحتفال الذى يقام للملك عند وصول سنين حكمه لثلاثين عامًا، أو عند وصوله هو إلى ٣٠ عامًا





هرم أبى صير بالجيزة

من العمر. ويتضمن الاحتفال ممارسة الملك لرياضة الجرى والصيد كرمز لتجديد شبابه وعنفوانه مثبتاً أنه على قدر هائل من القوة والسيطرة على مقاليد الأمور، وبالتالي فهو سوف يستمر في الحكم كملك لمصر العليا والسفلى، وقد استمرت هذه الاحتفالية على مدار مئات السنين.

٣- الملك ونيس

الملك «نيس» هو آخر ملوك الأسرة الخامسة، و«نيس» هو اسمه الهيروغليفي الأصلي، ثم تحول إلى «أوناس» فيما بعد. وقد حكم مصر العليا والسفلى من عام ٢٣٧٥ إلى عام ٢٣٤٥ ق.م. وقد شيد هذا الملك هرمًا بجانب هرم «جسر» أو «زوسر» المدرج بسقارة، وتم نقش نصوص هيروغليفية غاية في الجمال والأهمية على حوائط دهاليز وغرف دفن الهرم. وقد عُرفت تلك النصوص باسم «متون الأهرام» أو «نصوص الأهرام» وهى عبارة عن حوالى ٨٠٠ تعويذة كلامية أو مقولات سحرية كانت لها علاقة بالديانة والأعمال الطقسية للمتوفى، ولها علاقة أيضًا بالبعث والحياة الأخرى الأبدية، وكان لهذه النصوص الأثر الأكبر في نصوص أخرى جاءت فيما بعد، وهى نصوص التوابيت والنصوص المسماة بكتاب الموتى .. وقد كانت لترجمة متون الأهرام الأثر الكبير في فهم أعمق لعقيدة المصرى القديم، وقد نقشت على شكل عبارات هيروغليفية داخل تسعة أهرامات: أولها كان هرم «نيس»، واستمرت حتى عصر الانتقال الأول (٢١٨١ - ٢٠٥٥ ق.م). ونعرض هنا مثالاً لتلك المقولات والتعاويد فمثلاً المقولة رقم ٣٣٣ تقول: «لقد طهرت نفسى على تل الأرض حيث طهر «رع» نفسه، لقد وضعت الدرج، لقد شيدت السلم، وهؤلاء الذين يقطنون الغرب يجذبون يدي». وكلمات الدرج والسلم هنا يقصد بها الأدوات التى سوف يستخدمها صاحب المتن للصعود إلى السماء، أما الذين يقطنون الغرب فهم الأموات؛ لأن الشمس تغرب فرمز لها المصرى القديم بأن رحلتها تنتهى عند الغروب لتبدأ رحلة ما بعد الغروب - الموت - لتصل إلى البعث من جديد عند الشروق. وهكذا سيكون الحال مع الإنسان، سوف يترك هذه الحياة الدنيا ليذهب في رحلة إلى الحياة الأبدية، التى تبدأ عند شروقه في الحياة الثانية مثل الشمس تمامًا. وهذا يشرح لنا لماذا حفر وبنى المصرى القديم مقابره مثل مقابر وادى الملوك، ووادى النبلاء، بل والأهرامات نفسها في البر الغربى لنهر النيل.



الأسرة السادسة (٢٣٤٥ - ٢١٨١ ق.م)

١- الملك تتي

ويطلق عليه في العربية «تيتي»، وهو مؤسس الأسرة السادسة. وقد حكم في الفترة ما بين ٢٣٤٥ حتى عام ٢٣٢٣ ق.م. وله هرم في سقارة مكون في نواته من خمس درجات. أما سقف صالة الدخول وغرفة الدفن فلها شكل جمالوني بديع، وقد نُقش على الجدران الداخلية لهرم «تيتي» الكثير من «متون الأهرام»، وللأسف تم سرقة محتويات الهرم من صندوق الأواني الكانوية (التي تحتوي على بعض أعضاء الجسد المحنط الداخلية، وكان يتم حفظ تلك الأعضاء في داخل الأواني لإيوان المصرى القديم أنه سوف يستخدمها مرة أخرى في الحياة الثانية)، وتم نهب الأثاث الجنائزى، أما تابوت الملك، فقد كان منحوتاً من حجر البازلت.

ولم يكن للملك «تيتي» أصل أو دم ملكى في عائلته، فأبوه هو «شيسى بوبتاح»، وأمه كانت «سششت»، وقد تزوج هو من ابنة الملك «ونيس» المسماة «إيبوت» لكى يتمكن من الوصول إلى العرش، وقد زوج ابنته الكبرى من الوزير «ميريروكا» وكبير كهنة معبده الجنائزى، ولهذا الوزير مقبرة على شكل مصطبة على مستوى عالٍ جداً من الفن والعمارة، وهى ما زالت محتفظة بمناظر الحياة اليومية والنشاطات المهنية والحرفية مثل الصيد والرعى، وصُنع الذهب، وجمع الضرائب، ونقل المحاصيل، بل واللعب التى كانت يلعبها ويلهو بها الأطفال مثل شد الحبل وغيرها من المناظر المثيرة. وتقع هذه المقبرة أمام هرم «تيتي» في سقارة.

وكان الملك «تيتي» هو أول ملك يستعمل لقب «من يصلح بين القطرين»، وهذا اللقب يعطى الانطباع بأن مصر في تلك الفترة كانت تعاني من بعض الاضطرابات السياسية بين الشمال والجنوب. وقد نجح «تيتي» في الإصلاح وإعادة السلام بين القطرين، ومن هنا جاء اللقب الحورى «من يصلح بين القطرين»، وهو باهيو وغليفية ينطق «سحيتب - تاوى»، وقد كانت نهاية حياة الملك «تيتي» نهاية أليمة حيث لقي مصرعه مقتولاً على أيدي حراسه الشخصيين، كما ذكر لنا المؤرخ «مانيتون السمنودى».



٢- الملك بيبي الثاني

وهو خامس ملوك الأسرة واسمه الأصلي «بيي». وقد اعتلى العرش بعد الملوك «أوسر كارع» و«بيبي الأول» و«ميرن رع». وهو الملك قبل الأخير لهذه الأسرة المؤثرة في تاريخ مصر؛ لأن «مانيتون» المؤرخ اعتبرها آخر أسرة في الدولة القديمة.

ويطلق على هذا الملك الآن «بيبي الثاني» وقد حكم من عام ٢٢٧٨ إلى ٢١٨٤ ق.م أى ٩٤ عامًا، وهى أطول مدة حكم في تاريخ مصر كله. وقد اعتلى العرش وهو فى السادسة من عمره، وتوفى فى عامه المائة. ورغم استمرار البعثات بالرحلات التجارية إلى الجنوب وسيناء مما يدل على الانتعاش الاقتصادى للبلاد إلا أننا نستشعر بعض الوهن الداخلى؛ وذلك عندما قرأنا ألقاب حكام الأقاليم مثل لقب «ملك مصر العليا». مما يدل على تحكم وقوة هؤلاء الحكام متعادلين بذلك مع سلطة الملك نفسه، ومن هنا يتضح سبب إعطاء الملك «بيبي الثاني» الكثير من المزايا والإعفاءات الضريبية لهؤلاء المحافظين، والعُمد، والنبلء، الذين استأثروا بالحكم لأنفسهم فى مدنهم، ولكى يكسب الملك ودهم زودهم بالمزيد من الهبات والصلاحيات حتى يضمن ولاءهم له. وشيد الملك «بيبي الثاني» مجموعة هرمية بسقارة متضمنة هرمه والطريق المؤدى بين معبد الوادى والمعبد الجنائزى للملك، وبجانب تلك المجموعة المعمارية للملك تم الكشف عن ثلاث مجموعات هرمية، ولكنها أصغر فى الحجم بعض الشيء، وهى لزوجات الملك «نيت»، و«إيبوت الثانية»، و«وجبتين»، ولكن أكثر الآثار المكتشفة إثارة كانت لعالم الآثار «جيكيه»، وهى حفرة بها ستة عشر مركبًا خشبيًا. وهذه النماذج كانت تعتبر مرتبطة بالطقوس والتراتيل الجنائزية، وقد عُثر على هذه الحفرة بجانب هرم الملكة «نيت».

وتبقى مجموعات الملك «بيبي الثاني» المعمارية الأهم؛ لأنها آخر منشآت جنائزية وهرمية بنيت على حسب التقاليد التى اتبعتها الهندسة الملكية فى أسرات الدولة القديمة (من الأسرة الثالثة حتى الأسرة السادسة). وقد اعتمد عليها بناء الأهرامات بعد ذلك، وخصوصًا فى زمن الدولة الوسطى.





تمثال الملك بيبي بمتحف بروكلين - نيويورك



عصر الانتقال الأول (الفترة الوسيطة) (٢١٨١ - ٢٠٥٥ ق.م)

أرخ المهتمون بالتاريخ المصرى تلك الفترة من الأسرة السابعة وحتى أواخر الأسرة العاشرة وبداية الأسرة الحادية عشرة من عام ٢١٨١ إلى ٢٠٥٥ ق.م. وهى بالضبط بعد نهاية حكم الملكة «نيت إيقرتى» آخر حكام الأسرة السادسة وحتى بداية الملك «أمونحوتب الثانى» فى الأسرة الحادية عشرة.

ومن دراسة عمارة الملوك تلك الفترة نجد أن من المؤكد أن مصر أصابها فى تلك الفترة الوهن والضعف وتغير الحكام المطرد والسريع لدرجة أن أحد المؤرخين يقول: إن مصر قد حكمها ٢٥ ملكًا خلال ٣٠ عامًا.

ولكن تمكن هؤلاء الملوك من الاحتفاظ بالألقاب الملكية رغم عدم أحقيتهم فى بعض الحالات بهذا الشرف.

انعدمت السلطة الملكية والعسكرية، وتدهور الأمن بشكل سيئ. وجاء حُكام من «هيراكليوبوليس الكبرى» (إهناسيا) مثل «خيتى» ٢١٦٠ ق.م، وقد تناحر هؤلاء مع حكام طيبة مثل «إيتنف» فى زمن الأسرة الحادية عشرة. وقد ترك لنا حكام الأقاليم والمدن المختلفة العديد من النصوص والوثائق التى تشرح ولاءهم ولأى جهة كان وفاؤهم وتعاضدهم لأحد الجانبين، وبقي الحال على ما هو عليه من الاضطراب وعدم الاستقرار حتى جاء الملك البطل «مونتوحتب الثانى» من الجنوب واستطاع أن يفرض سيطرته على منطقة نفوذ حكام «هيراكليوبوليس» وساد النظام والسلام مرة أخرى على الأراضى المصرية، وأصبح «مونتوحتب الثانى» فى نظر العديد من المؤرخين هو المؤسس الحقيقى للدولة الوسطى، التى بدأت مع بزوغ شمس الأسرة الحادية عشرة.





الدولة الوسطى

الأسرة الحادية عشرة (٢٠٥٥ - ١٩٨٥ ق.م)

١- الملك منتوحتب الثانى

اسمه «نب - حبت - رع» منتوحتب الثانى، وهو مؤسس الأسرة الحادية عشرة ومعبد الوحدة بين القطرين القبل والبحرى، مكرراً ما صنعه «نارمر»، أو «مينا» من قبل. وقد وصل الفن والمعمار فى زمنه إلى أوج نشاطه، فقد شيد معبداً بغرب الأقصر (وبقايهاه الآن ملاصقة لمعبد الدير البحرى للملكة «حتشبسوت»). وقد أضاف إليه هرمًا مديبا رامتاً إلى الحجر الذى كون التل الأزلى حسب العقيدة الدينية، والذى أشرقت فى أعلاه الشمس، وأرسلت أشعتها بالحياة فى البداية، ولكن للأسف دمر هذا الهرم ونسبة كبيرة من المعبد فلم يتبق منه الكثير، وربما تكون الملكة «حتشبسوت»، ومهندسوها قد نقلوا من معبد «منتوحتب الثانى» بعض الأفكار الهندسية والجمالية عند تشييدهم لمعبيها.

ولقد اهتم الملك أيضاً بإرسال البعثات التجارية إلى بلاد كثيرة مثل سوريا، ولبنان، وبونت فى إفريقيا، بل وبعث بالمحميين والفنانين إلى معابد مصرية عدة لكى يقوموا بترميمها مما يدل على أن تلك المعابد قد تركت ليد الإهمال والتجاهل فى الفترة الوسيطة الأولى قبيل قدومه إلى عرش مصر الموحدة. ولقد ترك لنا هذا الملك تمثالاً بديعاً له، وهو الآن فى المتحف المصرى بالقاهرة.

تمثال منتوحتب الثانى

يرجع هذا التمثال إلى فترة حكم الملك، والتى استمرت من عام ٢٠٦٥ إلى عام ٢٠١٤ ق.م، وهو منحوت من قطعة واحدة من الحجر الرملى، ويمثل الملك وهو جالس على عرش مصر مرتدياً التاج الأحمر، وهو التاج الملكى المخصص لمصر السفلى (أما التاج الأبيض فهو المخصص لمصر العليا).





تمثال مونتوحتب الثاني وهو يرتدى التاج الأحمر متقمصًا الشكل الأوزيري، وتظهر رجلاه وقدماه متنفختين - المتحف المصري

التمثال كان بالحجم الطبيعي، ويظهر الملك وهو يرتدى رداء لونه أبيض، وربما كان في الأصل مصنوعًا من الكتان الخفيف، وتظهر الذقن المستعارة رمز الملكية والقدسية الذاتية. الجسد لونه أسود (ربما يكون هذا اللون ذا دلالة مهمة تثبت أصل الملك الجنوبي)، ومن الملفت للنظر أن

الرجلين والقدمين قد نحتا بشكل يظهر انتفاخًا كبيرًا مما يشير إلى فرضية أن «مونتو حتب الثاني» كان مصابًا بداء الفيل، وهو مرض كان منتشرًا في إفريقيا آن ذاك. أما عن احتمال أن يكون هذا الحجم الكبير للرجلين والقدمين هو نتيجة خطأ في مقاسات النحات، أو ضعف مستوى الفنان الذى نقر ونحت هذا التمثال، فهذه نظرية ضعيفة في وجهة نظرنا؛ لأن من المنطقي أن النحات كان سوف يزيل الزوائد لو رأى الملك أو كهنته أنها تُظهر الملك بهذا الشكل غير الطبيعي، وكان هذا بالشىء اليسير على النحات، ولكن ترك التمثال هكذا ودفنه على هذه الشاكلة بعد تلوينه يؤكد أن الملك كان بالفعل شكله هكذا، وكان يريد تمثاله هكذا.

تم اكتشاف هذا التمثال الفريد في عام ١٩٠٠ على يد «هاورد كارتر» الإنجليزي (وهو الذى زاعت شهرته عندما دخل مقبرة توت عنخ آمون في عام ١٩٢٢ بوادى الملوك ووجدها كاملة)، وقد تم العثور على هذا التمثال بقاع بئر تقع في القسم الشمالى الشرقى من فناء المعبد الجنائزى للملك فى الدير البحرى، وقد تلاه فى حكم مصر الملك «متوحب الثالث سعنج كارع»، ثم «متوحب الرابع بنتاوى رع».



الأسرة الثانية عشرة (١٩٨٥ - ١٧٩٥ ق.م)

١- الملك أمنمحات الأول

هو أول ملوك الأسرة ومؤسسها الحقيقى رغم عدم وجود دم ملكى أو صلة رسمية للملك السابق. ولكنه استطاع الوصول إلى عرش مصر بذكاء فى عام ١٩٩١ ق.م، ومكث على العرش حتى عام ١٩٦٢ ق.م عندما تم اغتياله نتيجة مؤامرة حيكمت ضده فى جنبات القصر الملكى، وقد هبت رياح تلك المؤامرة من جهة القسم الذى كانت تقطنه الحريم، وقد كان «أمنمحات الأول» وزيرًا فى أيام حكم آخر ملوك الأسرة الحادية عشرة «مونتوحب الرابع». وقد نجح فى جلب الكثير من الاستقرار والقوة فى فترة عصيبة فى تاريخ الأسرات.

كانت الاضطرابات قد استمرت فى البلاد وانتشرت المشاكل فى الأقاليم والمدن المختلفة.



وعندما جاء «أمْنَمَحَات الأول» نقل العاصمة إلى «إثت - تاوى» (اللشت الآن) وشيد الأسوار والحصون على حدود مصر لحمايتها من غزوات الجنوب والشرق والغرب.

أكد لنا اسمه أن عبارة آمون (الرب الشمسى الأسطورى) قد كانت هى الأهم فى معابده، فـ «إمن» معناها آمون وحرّف «الميم» الذى يتلوها معناه «فى»، أما «حات» فهى كلمة هيروغليفية معناها المقدمة. إذن، اسم الملك يترجم هكذا: «آمون فى المقدمة».

٢- سنوسرت الأول

وهو معروف أيضًا باسم «سيزوستريس». اعتلى هذا الملك العرش فى ظروف صعبة وحساسة، فقد تم اغتيال والده الملك «أمْنَمَحَات الأول»، ولكنه أحكم قبضته على مقاليد الأمور، ثم أمّن البلاد وحدودها بالبعث بالفرق العسكرية إلى الواحات الغربية والدلتا والنوبة، ولكن حسه الفنى وشغفه بالتشييد والمعمار بدا واضحًا حتى قبل اعتلائه العرش إبان مشاركته الحكم مع والده. فقد أضاف الكثير من البنايات لمعبد الكرنك، وعمل على تجديد وترميم معابد كثيرة. وشيد هرمه فى منطقة الليشت (على بعد كيلو ونصف متر من هرم والده)، وأطلق عليه اسم «سنوسرت يشرف على الأرضين»، والمقصود هنا بالأرضين مصر العليا والدنيا. وقد تميزت المجموعة الهرمية لهذا الملك بوجود معبد الوادى، وأهرامات الملكات وأميرات، ومعبد جنازى، وأسوار، وجدران قديمة ترجع إلى عصر الملك «سنوسرت الأول» والذى امتدت مدة حكمه من عام ١٩٦٥ إلى ١٦٢٠ ق.م وقد أبدى نشاطًا ملحوظًا أيضًا فى تجديد معابد منطقة هليوبوليس.

ولكن من الضرورى هنا أن ننوه على أهم وأجل ما تم اكتشافه لهذه الحقبة، ألا وهى مجموعة تماثيل للملك التى تم الكشف عنها فى عام ١٨٨٤ م عن طريق العالم «جوتير» أسفل فناء الهرم، بلغ عددها عشرة تماثيل منحوتة من الحجر الجيرى، تمثل «سنوسرت الأول»، وهو جالس بالحجم الطبيعى، وعلى جانبى المقعد الذى يجلس عليه تمثال الملك، نُحتت مناظر غاية فى الدقة منها منظر توحيد القطرين الشمالى والجنوبى عن طريق الربين «حورس» وعمه «ست» وغرابة الأمر هنا أنها كانا غريمين لدودين طبقًا للأسطورة التى تقول بأن «ست» قد قتل والد «حورس» الرب «أوزوريس». وهو منظر نادر مهم. هذه التماثيل موجودة الآن فى المتحف المصرى.

٣- الملك أمنمحات الثانى

وهو ثانى ملك فى هذه الأسرة يحمل هذا الاسم الذى حمله أربعة ملوك أثروا إيجابًا فى تاريخ



الدولة الوسطى. حكم مصر في الفترة ما بين عامي ١٩٢٢ إلى ١٨٧٨ ق.م، وقد شارك والده الحكم لمدة عامين، ولكن من أهم ما يميز حكم ذلك الملك المحب للسلام أنه مد يد التعارف والتعاون إلى الممالك القريبة وازدهرت في أيامه التجارة والاقتصاد مع سوريا وفلسطين حتى إنه تم اكتشاف تماثيل كثيرة لبناته والمسئولين في بلاطه هناك، مما يدل على حالة الوفاق التي كانت سائدة في عصره. وقد أمر الملك «أمنمحات الثاني» بتشييد هرمه ليكون مقبرته بمنطقة دهشور بالجيزة، والذي تم بناؤه من الطوب اللبن، وبجانب الهرم تم الكشف عن مقابر أفراد أسرته المليئة بالأثاث الجنائزي، وبقايا توابيت خشبية، وأوانٍ من حجر الألباستر، ومجموعة نادرة من المجوهرات المعروضة الآن بالمتحف المصري.

٤- الملك سنوسرت الثاني

رغم قصر مدة حكم هذا الملك والتي امتدت قرابة الست سنوات (١٨٨٠ - ١٨٧٤ ق.م) إلا أنها تميزت بالإنجازات الكبيرة، فقد اهتم بوضع خطط لنظام رى متقدم في منطقة الفيوم لتحويل مساحات شاسعة إلى أراض زراعية مفيدة، ومد أواصر الصداقة إلى الممالك المجاورة مما ساعد على ازدهار العلاقات التجارية والاجتماعية، وقد بدأ هذا جلياً عند قدوم مجموعة من البدو المرتدين الملابس المزركشة والملونة إلى مصر؛ لتقديم عدد من الأواني المملوءة بمواد التزيين والتجميل، هذا المنظر الملون موجود بمقبرة «خنوم حتب» بنى حسن بمحافظة المنيا، وقد شيّد هذا الملك مجموعته الهرمية بمنطقة اللاهون، ومن الغرابة أن مدخل الهرم كان متجهاً قليلاً إلى ناحية الجنوب وليس الشمال كما هو معتاد دينياً.

وهذا يثبت أن جزءاً مهماً من العقيدة السماوية للمصري القديم قد تغيرت أو عُدلت في أيام هذا الملك، أو ربما كانت هذه هي رؤيته الخاصة وعقيدته التي تفرد بها. على أي حال كان قرار تغيير اتجاه مدخل الهرم من الناحية الشمالية (ناحية نجم الشعري اليمانية الشمالية والتي اتخذها المصري القديم كرمز ديني مهم) إلى الناحية الجنوبية، قراراً غير تقليدي.

٥- الملك سنوسرت الثالث

اعتلى هذا الملك الذي أثر تأثيراً عظيماً في مسيرة الحضارة المصرية القديمة عرش مصر عام ١٧٨٨ ق.م. وقد استمر حكمه للبلاد شمالاً وجنوباً متضمناً جزءاً كبيراً من بلاد النوبة مدة تصل إلى حوالي ٣٥ عامًا.



يعتبر «سنوسرت الثالث» علامة فاصلة و مضيئة في عصر الأسرات، وتم إضافة العديد من الألقاب الجديدة للوظائف الإدارية في بلاطه الملكي، الشيء الذي أعطى الانطباع أنه قد وضع نظامًا جديدًا لإدارة البلاد.

تم أيضًا بناء أكثر من قلعة حربية لحماية مصر، كعادة ملوك الدولة الوسطى، برع «سنوسرت الثالث» في شق القنوات، والمصارف المائية؛ لأغراض الملاحة وتيسير إبحار السفن المصرية عبر الشلالات النوبية (كان هناك ستة شلالات تعوق الملاحة، أولها في أسوان الحالية، وآخرها يقع شمال الخرطوم الحالية). يعتبر الشلال عائقًا ومانعًا طبيعيًا مكونًا من الصخور الصلدة يمنع مرور السفن التجارية منها والحربية)، ولكن نجاح هذا الملك في شق قناة عبر الشلال الأول ساعد الجيش المصرى في ضم الجزء الأسفل من أراضي النوبة الخلاب، وقد كان محبوبًا ومبجلًا، بل لا نبالغ إذا قلنا إنه قد تم تقديسه لسنوات عديدة بعد موته، ومن الناحية المعمارية فقد ترك لنا هرمه ومجموعته الملاصقة له في منطقة دهشور بالجيزة مثالاً على ازدهار الفكر المعماري والهندسي إبان فترة حكمه.

أما عن تماثيله المنحوتة فقد تميزت بالواقعية الشديدة، حيث أظهره النحات المصرى بوجه له قسماط طبيعية، تظهر به التجاعيد الخفيفة التي تؤكد عمره عندما نحت له التمثال، ظهرت وبوضوح الانتفاخات الموجودة تحت العيون والأذن الكبيرة بعض الشيء.

وقد كان «سنوسرت الثالث» من الملوك الذين كانوا يستقبلهم الشعب المصرى في مدنه المختلفة بالحفاوة البالغة، والفرحة الشديدة المصاحبة بالأغاني والأناشيد، وقد تم الكشف عن بردية بمنطقة اللاهون بالفيوم مكتوب عليها ستة أناشيد مكرسة للملك، ومن الممكن أن نستنبط من أبيات هذه الأشعار والأهازيج حب كاتبها ومغنيها للملك وتقديره للنشاط السياسى والعسكرى والدينى الذى يقوم به الملك. تقول بعض أبيات الأناشيد: «لكم تبتهج الأرباب فقد أمددتها بالقرايين ... لكم يبتهج (شعبك) فقد رسمت حدوده، لكم يبتهج المصريون لقوتك فقد حميت ما كان موجودًا فيما مضى، لكم يبتهج الناس لأنهم تحت إمارتك، فقد سيطرت قوتك على الدهماء لكم تبتهج الأرضان (يقصد هنا مصر العليا والدنيا) ببأسك، فقد حميت أسوارهما إنه الرجل الشاب الأوحد والربانى الذى يجارب دفاعًا عن حدوده، الذى لا يسمح لشعبه بأن يصيبه الإنهاك، والذى يعمل (يقصد هنا الملك) على أن ينام الناس حتى مطلع النهار، وفى إمكان مجنديه أن يناموا، فقلبه يؤمن الحماية لهم. لقد حددت مراسيمه حدود بلاده، ولمت كلماته شمل الضفتين».



وهكذا نستطيع أن نضع هذا الملك الشجاع في مصاف الملوك المصريين ذوى التأثير الإيجابي الشديد على مسيرة الحضارة المصرية القديمة إبان عصر الأسرات.

٦- الملك أمنمحات الثالث

اسم هذا الملك مقسم إلى ثلاثة أجزاء ذات ثلاثة معانٍ مكتملة شارحة الوضع الدينى في البلاد في وقته، و«إمن» تعنى الرب الشمسى «آمون»، و«م» تعنى «في»، وكلمة «حات» بالهيروغليفية تعنى «المقدمة»، وهذا ما يؤكد ازدهار ديانة الرب «آمون» إبان فترة حكمه وقوة كهنة معابد «آمون» فاسمه مجملًا يعنى «آمون في المقدمة».



الملك أمنمحات الثالث بملامحه النبوية الجميلة

وهو سادس ملوك الأسرة الثانية عشرة، ويعتبر «أمنمحات الثالث» آخر الملوك المؤثرين الأقوياء في هذه الأسرة، وقد حكم من عام ١٨٤٣ ق.م. حتى ١٧٩٦ ق.م، وهى مثل أغلب الملوك الأقوياء لهذه الأسرة تعتبر مدة طويلة تصل لحوالى ٤٧ عامًا، قضى في أولها بعض الوقت كمشارك في حكم البلاد مع والده الملك «سنوسرت الثالث».

بلغت الأمور الاقتصادية والأحوال المعيشية في زمن هذا الملك إلى أوجها. فقد ازدهرت التجارة الخارجية مع النوبة في الجنوب ومع لبنان. وأحسن الملك وعمال محاجره استغلال محاجر الفيروز بسيناء، وتم تقطيع الأحجار الجيرية من طرة، والجرانيت من أسوان، والأحجار الصلدة من محاجر وادى الحمامات، وقد شيد لنفسه هرمين، بدأ في بناء أولهما بمنطقة دهشور، وكان هذا في العام الأول من اعتلائه العرش، ويطلق عليه «الهرم الأسود»؛ لأنه مبنى من الطوب اللين المجفف، ورغم تحطم بعض الأجزاء من جسد هذا الهرم الغريب إلا أن قطعة من أهم أجزائه نجت وبقيت في حالة ممتازة حتى يومنا هذا، ألا وهى الـ «بن بن» (الهرم الذى يعتلى الهرم).

هرم الـ «بن بن»

هو ذلك الحجر الهرمى الشكل الذى يعتلى الهرم والمسلة، وهو أهم حجر في الهرم، حيث يرمز إلى اكتمال البناء من الناحية العملية والدينية. «بن بن» - من وجهة النظر المصرية القديمة - هو رمز التل الأزلى المقدس عند الكاهن المصرى، وهو أيضاً جزء من إفرزات الرب الشمسى الأسطورى «رع - أتوم».

والـ «بن بن» كان له علاقة بالخلق، ويعتقد أن أول «بن بن» من الحجر كان مشيداً في معبد في هليوبوليس، وترجع مراسيم عبادته كأول نقطة سقطت عليها أول أشعة للشمس المشرقة الجالبة للحياة والاستمرارية للأسرة الأولى - حوالى ٣٢٠٠ ق.م.

وقد كسا الفنان المصرى الجهات الأربعة للـ «بن بن» برفائق الإلكترولوم وهو معدن مكون من خليط من معدنى الذهب والفضة غالى الثمن وقليل الاستخدام. ومن الممكن أن تتخيل المنظر البديع لأشعة الشمس المنعكسة من الـ «بن بن» بأعلى الهرم أو المسلة.

وقد وجد بن بن الملك «أمنمحات الثالث» بجانب هرمه بدهشور في حالة ممتازة عام ١٩٠٠م، وهو الآن بالمتحف المصرى الكائن بميدان التحرير بالقاهرة، وهو منحوت من حجر الجرانيت الأسود المائل للرمادى الغامق، يبلغ ارتفاعه ٣,١ متر. ويتميز «بن بن» هذا الملك بالرسومات

والعبارات الهيروغليفية المنحوتة على جوانبه الأربعة. فقد تم نحت الخراطيش الملكية وبداخلها الأسماء وخارجها الألقاب المقدسة، مثل «نيسو بيتي»، وهو اللقب الذى ينسب للملك لإثبات أحقيته فى حكم البلاد بوجهيها البحرى والقبلى، ثم هناك لقب «سا - رع» ومعناه «ابن رع»، وهناك أيضًا عبارات تمنى الحياة الأبدية للملك، وقد نحت أيضًا منظر لقرص الشمس المجنح، وعينى الرؤيا ورموز الجمال البديع.

ويعتبر هذا الـ «بن بن» تحفة فريدة تزين الدور الأرضى بالمتحف.

وقد واجه عمال الملك «أمنمحات الثالث» بعض المشاكل المعمارية واهندسية أثناء بناء هرمه بدهشور، فقرروا التوقف فى بنائه فى العام الخامس عشر من اعتلاء الملك للعرش، وتم التوجه إلى «هواره» حيث شرعوا فى بناء هرم الملك الثانى، والذى تم الكشف بجانبه عن بقايا من معبد هائل ليس له مثيل لدرجة أن الكثير من الذين زاروه فى العصور اليونانية وما بعدها أطلقوا عليه لقب «اللابيرينث» أى «قصر المتاهة»، أو «قصر التيه»؛ وذلك لكبره وضخامة مبانيه؛ ولكثرة عدد غرفه ودهاليزه. للأسف لم يدم هذا المعبد الهائل إلى يومنا هذا، ولكن تاريخه الغامض ما زال يداعب خيال العلماء حتى إن «سترابون» المؤرخ الشهير اعتقد أن عدد الصالات التى كانت موجودة فى «اللابيرينث» وصل إلى ٤٢ صالة بعدد أقاليم مصر القديمة. على أى حال كان قصر التيه - إذا جاز التعبير - ذا مساحة شاسعة، ويعتقد البعض أنها وصلت إلى ٢٨ ألف متر مربع، ويبقى هذا المبنى يكتنفه الغموض ينضم إلى قائمة الأسرار المصرية القديمة، وما أكثرها.

ويتهى عصر «أمنمحات الثالث» القوي؛ ليكون بذلك آخر ملوك تلك الأسرة المؤثرين المبهرين ويبدأ نجم هذه الأسرة فى الأفول، ومثل والده شارك «أمنمحات الرابع» فى حكم البلاد قبل سنين قليلة من وفاة والده.

٧- أمنمحات الرابع

حكم لمدة قصيرة نسبيًا إذا قورنت بالملوك السابقين، فقد استمر حكمه لمدة اثني عشر عامًا، تم خلالها بناء عدد من المعابد بمنطقة الفيوم، المنطقة المفضلة لهذه الأسرة. ويعتقد بعض الأثريين أن هرم هذا الملك هو الهرم الجنوبي فى منطقة «مزغونة» الآن، ولكن البعض الآخر يعتقد أنه لزوجته الملكة «سويك - نفرو».



تعتبر هذه الملكة هي آخر حكام الأسرة الثانية عشرة والدولة الوسطى، وقد اعتلت العرش في وقت شديد الحساسية والأهمية في تاريخ مصر القديمة، وقد اتفق كل العلماء الأثريين على أنها أول ملكة حاكمة في التاريخ المصري، رغم أن القليل يعتقد أن «نيت إيقرتي»، و«ختن كاوس» قد حكمتا أو على الأقل شاركتا في الحكم. حكمت «سوبك - نفرو» لمدة ثلاث سنوات، وقد أكملت بناء المعابد و«اللابيرنث». اسمها يعني «جمال سوبك» وسوبك هذا كان الرب بمنطقة الفيوم، وبموتها أسدل الستار على الدولة الوسطى بتاريخها العريق.

النصوص الأدبية في الدولة الوسطى

تعتبر النصوص الأدبية والدينية التي خطها أدباء وحكماء وشعراء وقصاصو وكهنة الدولة الوسطى من أهم ما تركه لنا المصري القديم من النصوص الدينية المهمة. قدمت لنا الدولة الوسطى «متون التوابيت» وهي مجموعة من المقولات التي اعتمدت على «متون الأهرام» التي نحتها المصري القديم على جدران بعض أهرامات الدولة القديمة، مثل هرم «ونيس» وهرم «تيتي» وغيرهما، وقد أخذ منها كتاب الموتى في الدولة الحديثة الكثير. هذه النصوص كانت تزين التوابيت في زمن الدولة الوسطى لكي تضمن للمتوفى في الحياة الأبدية الثانية، والتي لا يموت فيها مرة أخرى كما اعتقد صاحب النص، وتشرح أيضاً بالتفصيل رحلة المتوفى عبر السماء مصاحباً للرب الشمسي الأسطوري «رع»، وفي أحيان أخرى رحلة المتوفى مع «أوزوريس» عبر ما هو كائن في العالم السفلي.

أما عن النصوص الأدبية، فقد تميزت بالثراء والبلاغة، والنحو المنظم، واللغة الراقية، والتأنق في الاستعارة والكناية، وتعتبر بلا شك العصر الذهبي للأدب والقصة، فقد نتج عن عبقرية الكاتب المصري إبان الدولة الوسطى قصص رائعة، مثل قصة سنوحى، والبحار الغريق، وشكاوى الفلاح الفصيح، التي تؤكد عودة العدل والنظام في الدولة الوسطى بعد عصر الانتقال الأول غير المستقر نظامياً، وقد ازدهرت أيضاً فكرة كتابة التعاليم والحكم وتوريث الخبرات. وفي الحقيقة، تعتبر النبوءة لـ «نفرتي» والذي يرجع غالباً إلى الأسرة الثانية عشرة حوالي ٢٠٠٠ ق.م



من أهم النصوص، والتي من الممكن الاستعانة بها لتحديد هوية أهم ملوك الدولة الوسطى، ونص النبوءة كان يُسرد عن طريق شخص غالبًا ما يكون موجودًا بعد حدوث الحدث، ولكنه يسرد الحاضر والمستقبل، وكأنه عالم بالغيب. وهى نصوص تخدم القصر الملكى، وتؤكد أحقية الملك فى العرش، ولكن المهم فى نص «نفرتى» هو أنه ذكر ماهية أحد الملوك قائلًا: «... سوف يأتى من الجنوب ملك يدعى «أمينى» (صادق القول) وهو ابن امرأة تنحدر من الإقليم الأول من أقاليم الجنوب، وقد ولدت فى الوجه القبلى. وسوف يتسلم التاج ويلبس التاج الأحمر، وهكذا يوحد القوتين ... وشعب مصر سيتهج فى عصره».

و«أمينى» هذا هو «أمنمحات الأول»، وكونه جنوبيًا وأمه كذلك، فهذا دليل على أن الدم النوبى الأصيل يسرى فى عروقه، وهو ما يشرح الشكل والقسمات النوبية التى تظهر فى تماثيله، وتماثيل ملوك آخرين جاءوا بعده إبان الدولة الوسطى. وقد ظهرت هذه القسّمات أيضًا فى الأشعة السينية التى أجريت على موميائاتهم.

ومن المؤكد تاريخيًا أن بعض القصص الأدبية التى دونها كُتّاب فترة الدولة الوسطى قد عاشت فى مصر القديمة لمدة طويلة متخطية زمن الأسرة الثانية عشرة حتى وصلت إلى الأسرة العشرين، وهذا ما يدل على إعجاب المصريين بها وتعلقهم الشديد بدراستها وحفظها.

وأجمل مثال لهذا هى قصة «سنوهى» الشهيرة، التى دونت على العديد من قطع الأحجار الصغيرة: أوستراكا (شقافات حجرية)، والتى هى محفوظة الآن بمتحف الأشموليان بأكسفورد - إنجلترا. وهناك أيضًا بردية موجودة بمتحف برلين، وهى من معبد الرامسيوم الجنازى، والذى بناه الملك «رمسيس الثانى» فى البر الغربى بمدينة الأقصر، وهو يرجع إلى الأسرة التاسعة عشرة.



الأسرة الثالثة عشرة (١٧٩٥ - ١٦٥٠ ق.م)

من الممكن أن نصف هذه الأسرة بأنها أسرة الانتقال من حاكم إلى آخر بسرعة مريبة مما يؤكد وجود حالة وهن وضعف للسلطة الملكية انعكست على حالة البلاد الاجتماعية والاقتصادية، بل والعسكرية والأمنية بالسلب. فيذكر بعض المؤرخين أن هناك ما يقرب من سبعين حاكمًا تمكنوا



من الوصول إلى عرش مصر في مدة وجيزة لم تتجاوز ٥٥ عامًا (بين ١٧٩٥ إلى ١٦٥٠ ق.م)، وكان منهم القواد العسكريون وبعض العامة، ولم تكن هذه الأسرة أسرة بالمعنى المتعارف عليه؛ إذ إنه ندر أن يكون هناك دم ملكي يسرى في عروق عدد من الحكام المتوالين مكونين أسرة مترابطة وقوية. وقد حاول بعض هؤلاء الحكام أن يؤكدوا أحقيتهم في الحكم عن طريق تسمية أنفسهم بأسماء مصرية ملكية للملوك الدولة الوسطى الأقوياء، فنجد أسماء مثل «أمنمحات»، وقد كان من ضمن هؤلاء الحكام أشخاص ليسوا من أصل مصري، بل ينحدرون من السلالات الآسيوية.

ومن أهم حكام الأسرة الثالثة عشرة الملك «حور»، والملك «خينجر» و«سوبك حوتب (الثالث والرابع والخامس)»، ولكن هؤلاء الحكام الأجانب الآسيويين هم الذين سوف يمهدون فيها بعد لدخول حكام الأراضي العالية الأجنبية الملقبين بالـ«حكا - سوت» أو الهكسوس.



الأسرة الرابعة عشرة (١٧٥٠ - ١٦٥٠ ق.م)

يعتقد بعض المؤرخين أن هذه الأسرة قد حكمت في زمن متواز مع زمن حكم الأسرة الثالثة عشرة، ولكن من مكان مختلف. اتخذ حكام هاتين الأسرتين مدناً مثل (سخا) في غرب الدلتا، ومدينة غير معروفة لنا الآن في شرقها كعواصم لمالكهم.

وتناوب العديد من الملوك على عرش مصر، وانتشر الأجانب في الدلتا، وهو ما مهد لانتشار الهكسوس فيما بعد. ورغم أنه لم تكتشف مقبرة أو هرم لملوك تلك الفترة إلا أن الملك «نحسى» هو الاسم الوحيد المؤكد لدى الأثريين من مجموع الذين حكموا في هذه الأسرة الغامضة.



عصر الانتقال الثاني

الأسرة الخامسة عشرة (١٦٥٠ - ١٥٥٠ ق.م)

نجح الحكام الأجانب الذين أتوا من البلاد العالية الصحراوية الجبلية الآسيوية: «هكسوس» في إحكام قبضتهم على الدلتا، وتمركزوا على ما يبدو في منطقة «تل الضبعة» بجانب «فاقوس» بمحافظة الشرقية، وبدأ حكمهم للبلاد يتمدد في الوقت والمساحة حتى استطاعوا الوصول إلى منطقة جبلين في مصر العليا، وهي منطقة ليست بعيدة عن طيبة.

وكانت الأسرة الرابعة عشرة هي التي شيدت قاعدة صلبة هؤلاء الأجانب في الدلتا حتى إنهم لم يجدوا صعوبة بالغة في احتلال الدلتا وحكم مصر السفلى منها. ويعتقد البعض أنهم حكموا من الدلتا لمدة تزيد عن القرن الواحد بقليل حتى استطاع أمراء طيبة الأقوياء والمخلصون شيئاً فشيئاً أن يتخلصوا من هذا «الطاعون» الهكسوسى كما أطلق عليه المصريون القدماء. ويعتقد بعض الأثاريين أن الهكسوس يأتوا من أصل «هندو - لأوروبي»

واعتبر العلماء التقليديون أن بداية الأسرة الخامسة عشرة هي أول فترة الانتقال أو الفترة الوسيطة الثانية، والتي استمرت من عام ١٦٥٠ حتى ١٥٥٠ ق.م. وقد أطلق في اهيروغليفية اسم «حكا - خاسوت» على هؤلاء الآسيويين الذين أتوا من بلاد سوريا وفلسطين، وقد ترجمها المتخصصون لـ «حكام الأراضي الأجنبية»، أو «حكام الأراضي الصحراوية»، ولكن من المعروف أن حرف «الواو» أو الـ «و» هي صيغة الجمع في الكتابة المقدسة اهيروغليفية، وبالتالي فإن صحيح ترجمة الاسم الأول هو حاكم وليس حكاماً، والدليل على هذا أنه قد تم اكتشاف جزء من باب في منطقة تل الضبعة بالشرقية وعليها اسم «سوكر - حر» وهو أحد ملوك الهكسوس، وكان لقبه المكتوب هو «حكا - خاسوت» أى حاكم واحد فقط وليس حكاماً، أى بصيغة المفرد، وليس الجمع.

ومن أشهر ملوك الهكسوس - والذين أطلق عليهم أيضاً الملوك الرعاة الملك «خيان» و«إيبى» ورغم عدم وجود أية بنايات مبهرة أو أهرامات هكسوسية إلا أنهم قد تبنا فكرة عبادة الرب



الأسطوري «ست» المصرى القديم، وقد يعتقد البعض أن السبب في هذا أن «ست» هو رب الشر والكرهية، ولكن هذا ليس صحيحًا لأن «ست» كان أيضًا رمزًا للصحراء والكوارث والأمطار الشديدة، ومن المحتمل أن يكون المصريون الذين طردوا الهكسوس إبان الأسرة السابعة عشرة هم الذين قاموا بتدمير آثار ومعابد وتماثيل هؤلاء الغزاة المعتدين.

وعلى الرغم من أن الاعتقاد السائد أن الهكسوس قد قدموا إلى مصر ومعهم بعض الاختراعات التي لم يكن قد عرفها أو تعرف عليها المصرى مثل الحصان، والعجلة الخربية، والسيف المقوس، ولكن علينا أن نتذكر أن حفريات الجامعة المصرية بمنطقة الجيزة بجانب الأهرامات قد نجحت في العثور على بكرتين من الممكن أن يرجع تاريخهما إلى عصر بناء الأهرامات، وهو ما يدل على شيئين مهمين: أولهما أن من الممكن أن يكون هذا الكشف الذى حدث فى القرن العشرين إثباتاً بيئياً على أن المصريين القدماء قد عرفوا بل وابتكروا فكرة البكر، أو العجل، أو الأشكال الأسطوانية التى تساعد فى نقل الأشياء، والأحجار، والناس من مكان إلى آخر، وثانيهما أنه لم يكن الفضل للهكسوس فى تعريف المصرى بالعجلة، فقد عرفها قبل دخول الهكسوس بمئات السنين.

وقد فضل العلماء الدارسون لتاريخ الهكسوس فى مصر أن يؤرخوا لبدايته بعام ١٦٥٠ ق.م، وهو تقريباً وقت احتلال الهكسوس لمدينة منف المهمة، وكانت ومازالت ذكرى الغزو والاحتلال الهكسوسى علامة فاصلة فى تاريخ مصر، أثرت فى تاريخ الأسرات، وأفرزت العديد من البطولات والأسماء المصرية التى قادت معارك التحرير، ومازالت ذكراهم وتاريخهم يُدرس ويُدرس حتى الآن.



الأسرة السادسة عشرة

والأسرة السابعة عشرة (١٦٥٠ - ١٥٥٠ ق.م)

قويت شوكة الهكسوس بعد احتلالهم لأغلب المدن المهمة والاسراتيجية بالدلتا، ثم امتدت سيادتهم إلى مصر العليا والوسطى لبعض الوقت، ولقلة الآثار التى تم الكشف عنها حتى يومنا هذا، لم تتمكن من حصر تسلسل مؤكداً لأسماء ملوكهم، فأصبحت الاجتهادات الشخصية هى الحل لهذه المعضلة.



ملوك طيبة فى وقت الاحتلال

أول ملك عرف فى الأسرة السادسة عشرة والتي أعقبت الأسرة الخامسة عشرة كان «جحتى»، وهو مسمى على اسم رب الحكمة «جحتى» الفرعونى، والذي كان يُرمز إليه بطائر أبى منجل أحياناً وحيوان القرد أحياناً أخرى، ثم توالت الأسماء مثل «سوبك - حتب الثامن» و«نفر - حتب الثالث» ثم عشرة ملوك منتهين بآخر ملك واسمه «سنوسرت الرابع» (وهو بالطبع غير الملك الذى حكم فى الدولة الوسطى بنفس الاسم).

ثم جاءت الأسرة السابعة عشرة والتي أسسها «رع حوتب»، وتلاه الأنافة، وهم الملوك: «أينوتف الخامس والسادس والسابع» منتهياً بـ «سوبك - أم - سا - ف الثانى».

وقد تم دراسة هؤلاء الملوك فى تلك الأسر عن طريق الأسماء والنصوص التي تم اكتشافها منحوتة على لوحات حجرية بالدير البحرى، وتوابيت وأوانٍ كانوية لحفظ أحشاء المتوفى، والمعابد الباقية من عصر هذه الفترة التي اتصفت بالغرابة. فلأول مرة فى تاريخ مصر تنقسم البلاد إلى قسمين بهذه الطريقة، يحكم الشمال منها الهكسوس الغزاة، ويحكم الجنوبى منها أمراء وملوط طيبة، حتى جاء ملوك الأسرة السابعة عشرة الأواخر لىسطروا فصول البطولات والكفاح ضد الهكسوس.

وتعتبر الأسرة السابعة عشرة هى أولى الأسرات المؤسسة لما أطلق عليه فيما بعد: «الدولة الحديثة»، والتي استمرت حتى الأسرة العشرين، ولكن يفضل بعض المؤرخين أن يبدأ الدولة الحديثة بالأسرة الثامنة عشرة. وفى الحقيقة كان للأسرة السابعة عشرة التأثير الكبير على مجريات الأمور السياسية والعسكرية. وقد انتشرت فى الدولة الحديثة ألقاب ملكية مقدسة جديدة، بل لقد تم إضفاء صبغة وصيغة الألوهية على بعض الملوك والملكات، كما سنرى.

وصلت الحضارة المصرية إلى أوجها إبان حكم ملوك فترة الدولة الحديثة، فقد وصلت جيوش مصر وأساطيلها إلى أقوى فتراتهما، وعلا شأن الفن والنحت والتشييد والعمارة، حيث تم بناء معابد مثل الكرنك والأقصر، والرمسيوم ومدينة هابو، وأبى سمبل، والدير البحرى وغيرها. نما الاقتصاد وانتعشت البلاد، وزادت الرحلات التجارية مع بلاد أجنبية وراجت عملية التبادل التجارى مع آسيا وإفريقيا، بل ومع جزر البحر المتوسط. باختصار وصلت الإمبراطورية المصرية إلى أعلى شأن لها فى العالم، وأصبحت بلا منازع هى الأقوى والأكثر تحكماً.



١- الملك سقنن - رع تاعا الثانى

وقد بزغ اسم الملك المحارب «سقنن - رع تاعا الثانى»، والذي قاد حرباً عسكرية ونفسية ضد الغزاة الهكسوس، والذين كانوا قد استقروا فى الدلتا.

وقد تميزت سنوات حكم هذا الملك (حوالى ١٥٥٠ ق.م) برجوع حالة الاستنفار ورفض الاحتلال لدى المصرى الشجاع، وقد كان الهكسوس بقيادة «أبو بيبى» يبعثون بالرسائل المهينة والمسيئة لملك طيبة فى الجنوب، وقد وصلت بعض هذه العبارات فى نص يرجع إلى عصر الرعامسة مثل «إن أصوات أفراس النهر تزعجنى»، وهى تحمل نوعاً من التهكم والسخرية والتهديد فى آن واحد. وقد تزوج الملك «سقنن - رع تاعا الثانى» من السيدة الشجاعة «إيعح - حتب»، وهى أم الملك الشهير «أحمس الأول»، ورغم عدم قدرته على طرد الهكسوس نهائياً من الدلتا إلا أن الملك الشجاع «سقنن - رع تاعا الثانى» قد أطلق العنان للجيش المصرى لكى تثبت أحقيتها فى الزود عن أراضيها ضد المستعمر المغتصب، وقد انتهت حياته نهاية مأساوية، فقد تم قتله، حيث تظهر موميأؤه القابعة بهدوء فى غرفة الموميأوات بالمتحف المصرى بالقاهرة أنه مات نتيجة تلقى ضربات فى رأسه ووجهه وجبهته أدت إلى حدوث أكثر من شح، أثبتت الدراسات أنها من المحتمل أن تكون عن طريق فأس أو بلطة آسيوية الصنع مما يوضح أن القتلة كانوا هم الهكسوس. وقد تم تحنيط الملك بدون تورية أو إرادة إخفاء الجروح والشجوج، بل وتظهر علامات الألم والمعاناة على قسماات الوجه والفم مما يثبت أن هذا البطل المصرى قد لقي حتفه بعد معاناة جسدية شعر بها لمدة زمنية محدودة نتيجة تلقيه كل تلك الضربات القاتلة. انتهت حينئذ حياة «سقنن رع تاعا الثانى»، ولكنه ترك زوجة شجاعة وأخاً جريئاً مقداماً وابناً منتصراً متحمساً.

الزوجة هى الملكة المحاربة «إيعح - حتب»، وهى التى لعبت دوراً إيجابياً فى لم شمل البلاد، ووحدت الجهود وقربت وجهات النظر من أجل هدف واحد ألا وهو تكملة ما بدأه زوجها المقتول فى ميدان المعركة، ومن الممكن القول إنه لولا جهود تلك الملكة لضاعت مصر مرة أخرى على يد الغزاة الرعاة «الهكسوس»، وقد كرمها أولادها وأهدوها قلادة الخمس ذبابات، وهو أعلى وسام عسكري فى مصر القديمة، وقد تم العثور على ثلاث ذبابات ذهبية فى سلسلة حول رقبة مومياء الملكة، والتى وُجدت فى مقبرتها بمنطقة دراع أبى النجا بالأقصر.

ومن أجمل نصوص التكريم التى تم الكشف عنها فى مصر القديمة هى تلك التى يتكلم فيها الملك «أحمس الأول» عن أمه مكرماً ومبجلاً إياها قائلاً: «قدموا المديح لسيدة البلاد، وسيدة



جزر «بحر إيجه»^(١)، فاسمها رفيع الشأن في كل بلد أجنبي، فهي التي تضع الخطة للجهاير، زوج الملك، وأخته الملكة لها الحياة والسعادة والصحة، وهي أخت الملك، وأم الملك الفاخرة، الحاذقة التي تهتم وتضطلع بشئون مصر، ولقد جمعت هؤلاء، فأعادت اهاريين، وجمعت شتات الذين هاجروا، وهدأت روع الوجه القبلي، وأخضعت عصاته، الزوجة الملكة، «إيعح - حتب» التي تعيش». هكذا قرظ الابن أمه المقدامة في لوحة وجدت بمعبد الكرنك بمدينة الأقصر، ثم يعود ليذكر الناس بقدر أمه ومكانتها وسط البلاد.

«امدحوا سيدة البلاد، وملكة شواطئ المناطق النائية، إن اسمها يرفرف على كافة البلاد الجبلية، وهي التي تتخذ القرارات الخاصة بشعبها، إنها زوجة الملك، وأخت الملك، فليتمتعها الرب بالحياة والصحة والقوة. إنها ابنة الملك، وأم الملك المبجلة، وهي على بينة بكل الشئون في أنحاء مصر. لقد جمعت بين النبلاء، وعملت على تضامنهم معاً. لقد أعادت اهاريين، وجمعت المشفقين، لقد جعلت السلام يسود مصر العليا، ودمرت التمردين «إيعح - حتب».

هذا النص يؤكد أن الملكة كانت هي الحاكمة الفعلية للبلاد، ومن الممكن أن نضيف اسمها إلى قائمة السيدات اللاتي حكمن مصر، مثل «نيت - إيقرتي وسوبك - نفرو، وحتشبسوت، وتاوسرت» وغيرهن.

٢- الملك كامس

يعتبره بعض العلماء أخا الملك الأصغر سنًا «أحمس الأول» ويعتقد البعض الآخر أنه أخو الملك المقتول «سقنن - رع - تاعا الثاني»، وقد حكم هذا القائد العسكري المقدم من عام ١٥٤١ ق.م حتى ١٥٣٩ ق.م، وقد اعتلى عرش مصر في وقت حرج للغاية، فقد كان الهكسوس متمكنين من مقاليد الأمور في الدلتا، وقد نجحوا في إقصاء «سقنن - رع - تاعا الثاني» بقتله. وكذا كان لزامًا على «كامس» أن يعيد الأمور إلى نصابها بتنظيم الجيش وتحرير مصر، وقد كان «كامس» يحارب في جبهتين، الجبهة الشمالية في الدلتا والتي نجح فيها في تحرير مدينة «نفروسي» والاقتراب من منطقة «أفارس» بتل الضبعة بالشرقية، وهي التي كانت معقل الهكسوس الرئيسي، هذا من جانب، ومن الجانب الآخر كان يهدده من الجنوب جيش أمير بلاد كوش الجنوبية الذي وجد أن انشغال «كامس» بالهكسوس في الشمال فرصة له للانقضاض عليه والانتقام منه، وذلك لاستيلاء

(١) هذا يوحي بأن النفوذ المصري امتد حتى جزر إيجه في شمال البحر المتوسط.



«كاس» على بعض الأراضي والقلاع التي كانت تحت حكم أمير كوش. وقد اعتُبر «كاس» آخر ملوك الأسرة السابعة عشرة، ولكن كان على التاريخ أن ينتظر حتى بزوغ نجم الملك «إياح - مس» (أحمس الأول)؛ لكي تتخلص مصر نهائيًا من هذا الطاعون: «الهكسوس».

٣- الملك أحمس الأول

هو «أحمس» ابن القمر كما يعنى اسمه بالكتابة المصرية القديمة. محرر مصر الشجاع، هزم الهكسوس في معركة حاسمة بمنطقة «شاروهين» بجنوب فلسطين بعد حصار دام ٣ سنوات، وقد حكم الملك «أحمس الأول» مصر لمدة تناهز الخمسة والعشرين عامًا (١٥٥٠ - ١٥٢٥ ق.م)، وكان الجيش في عصره قد تمكن من ترويض الحصان واستخدامه في الأغراض العسكرية، وتمكن أيضًا من التدريب على استعمال العجلة الحربية، والتي تفوق بها الهكسوس في بداية الاحتلال. ويعتبر «أحمس الأول» هو مؤسس الأسرة الثامنة عشرة، والتي تعتبر من أهم الأسرات جمعاء. وقد استفاد التاريخ من النص النادر الذى نحت على جدران مقبرة القائد البحرى العسكرى المقدم «أحمس بن أبانا» قائد فيالق الملك «أحمس الأول». ففى طيات هذا النص المسهب شرح مفصل لحروب التحرير، وقد تم العثور على هذه المقبرة القيمة فى منطقة الكاب بجنوب مصر، وقد كرمه الملك بإهدائه القلائد الذهبية سبع مرات، وهو ما يدل على شجاعته وإقدامه، وخصص له الأراضى كهبة ملكية.

وقد أثبت بسالته فى المعركة التى دارت فى الماء فى قناة «بجد - كو» فى أواريس العاصمة الهكسوسية بتل الضبعة بالشرقية، وعاد منتصرًا محملاً بالغانائم.

«أحمس بن أبانا» صاحب الملك «أحمس» فى كل حروبه وتوسعاته فى آسيا والجنوب، حيث قضى على أمير كوش الذى كان يريد استغلال فرصة انشغال المصريين بالحروب الهكسوسية ليستولى على بعض الأراضى، وقد ذكر فى نص مقبرته بالكاب بجنوب مصر: «كنت أنا على رأس جيشنا، وحاربت أكثر مما يمكن تصوره، واستطاع جلالته (يقصد الملك أحمس) أن يلاحظ بسالتي»، وقد استمر «ابن أبانا» فى إنجازاته العسكرية حتى فى أيام حكم الملك «تتمس الأول».

وبعد أن تخلص «أحمس» من الهكسوس، أعاد الاستقرار للبلاد، وشرع فى استعادة العلاقات الدبلوماسية والتجارية مع البلاد المجاورة والأجنبية، كما أعاد استغلال المناجم والمحاجر، وقد أضاف بعض البنايات الدينية بمعبد الكرنك، وقد تم الكشف عن موميائه ضمن مجموعة المومياوات التى تم العثور عليها بخيئة الدير البحرى، والتى اكتشفتها عائلة عبد الرسول الأقصرية عام ١٨٧٠ م، ثم تم نقل مومياوات الملوك المكتشفة عام ١٨٨١ م إلى القاهرة.



هل هو طارد الهكسوس؟ جرى العرف على أن تُعرف الملك المصرى الشجاع «أحمس الأول» على أنه طارد الهكسوس، فهل هذه المقولة صحيحة؟ من الناحية اللغوية والفعالية، نستطيع أن نؤكد أنه بعد طرد الملك «كاموس» للغزاة الهكسوس من الدلتا، طارد فلوهم الملك «أحمس»، وأكمل المهمة حتى حاصرهم في بلدة في قبيلة «سيمون» تسمى «شاروهين»، وهى تقع جنوبى «يوده». وقد استسلم الهكسوس بعد حصار استمر ثلاث سنوات كاملة، وقد فحص المؤرخون جغرافيًا تلك الأماكن وجنح البعض للاعتقاد بأنه من المحتمل أن تكون هى بلدة «تل الفارا» حاليًا، ولكن تبقى أغلوطة أن «أحمس» هو طارد الهكسوس. والتحليل الصحيح هو أن «سقن رع تاعا الثانى» هو مفجر شرارة الدفاع العسكرى عن مصر والدلتا وبادئ الحملات العسكرية المحررة، ثم تلاه «كاموس»، والذى نجح فى طرد الهكسوس - حكام الأقاليم الصحراوية - من الدلتا، ثم حاصرهم «أحمس الأول» فى «شاروهين»، ولكن لم يُجتز الهكسوس من جذورهم بالكامل إلا فى أيام حكم الملك «أمونحوتب الثانى» الذى أكمل وأتم إنجاز أبيه الملك المقدم المنتصر «تحتمس الثالث»، وأكد هذه الحقيقة بعض الأثريين معتمدين على أن هذين الملكين قد حملتا لقبًا واحدًا من ضمن ألقابهم الملكية ألا وهو ضارب الهكسوس الذين هاجموا «حوى حقا» و«خاسوت بحسو». وقد كان لانتشار هؤلاء القوم فى أراض كثيرة أسباب كثيرة، منها: الهجرات المتعددة التى قاموا بها، والأصول المختلفة والجذور المتعددة لقبائلهم. فقد تم الكشف عن آثار للهكسوس فى مصر وفلسطين وبلاد ما بين النهرين، والى أثبتت أنه من المحتمل أن يكونوا قد تكونوا من خليط من الأصول السامية والختية والخورانية والهنود الإيرانيين. وقد كانت لديهم القدرة على التجمع بعد هزيمتهم النكراء على أيدي المصريين تحت قيادة قائد «قادش» فى إحدى الفترات ليحاربوا الجيوش المصرية مرة أخرى، ولكنهم مُنوا بالهزيمة مرة أخرى أيضًا.

وقد استحق الملك «أحمس الأول» (من وجهة نظره ونظر كهنته) كل الألقاب التى خلعتها هو على نفسه وأكدها الكهنة فى معابده، ومنها: «قوى الساعد ... المنتقم له (لرع) الذى جعله على الأرض، والذى يضىء دهورًا، رب الانشراح، الشديد البأس .. معطى الحياة، ومقيم العدالة، ملك الملوك على كل أرض .. الملك الذى يضم الأرضين، عظيم الاحترام القوى فى شبابه، ومن قدر لتاجه أعجوبة مزدوجة فى كل ساعة، رفيع الريشتين .. مثل القمر فى وسط النجوم، يسير فى رقة، ويخطو فى تودة، ويقدم ثابتة، ونعل طائع، وتبهر العينان برؤية هذا الملك والقلوب تنبض بحبه، وهو مثل قرص الشمس عندما يسطع، ومثل شمس الظهيرة عندما تضىء العينين، إنه مالك للحب أكثر من كل الملوك».



وقد توفي الملك «أحمس الأول» ما بين الأربعين أو الخمسين من عمره، وقد عثر على موميائه في خبيئة الدير البحري ضمن عدد من أشهر الأسماء الملكية. وقد تميز وجهه بالطفولية البريئة رغم إقدامه كقائد جيش، وكان شعره كثيفاً ويتميز بتواء في فكاه الأعلى.

تقديس ملكات الدولة الحديثة

كان للأثر الإيجابي الذي تركته الملكات الشهيرات للأسرتين السابعة عشرة والثامنة عشرة إبان الدولة الحديثة فعل السحر لدى المصري القديم، فقرر كهنة معابد مصر القديمة والشخصيات الملكية المهيمنة على الأمور أن يعتبروهن شخصيات مقدسة لهن صفات ربانية، ووصفهن بالألقاب العديدة المقدسة، وتم عمل الاحتفالات المعبدية لهن، وتم تكريس الصلوات والابتهالات لذكراهن، ومن أمثلتهن الملكة «إيعاح حتب» والملكة القديرة «أحمس نفرتارى» زوجة «أحمس الأول»، ولكن من هي الملكة «أحمس نفرتارى»؟ وما هي الشخصية الحقيقية وراء القناع التاريخي الذي ألبسه إياها العلماء والمؤرخون الكلاسيكون؟

الملكة أحمس نفرتارى

هي الملكة التي قدسها المصريون القدماء بعد وفاتها، وقد كانت زوجة الملك وأخته و بنت الملك «سقن رع تاعا الثانى». موميائها الآن في المتحف المصرى بالقاهرة، والنطق الصحيح لاسمها هو «إيعح - مس نفرت - إيرى». وعند دراسة الخرطوش الملكى لها بتمعن وتأن، نجد أن حرف الألف الهيروغليفى غير موجود فى اسم «نفرتارى»، ولكن يوجد بدلاً منه حرف الياء، وبالتالي يجب علينا نطق وكتابة الأسم «نفرت - إيرى» وليس «نفرتارى». وقد لاحظت أيضاً أن كل المناظر الملونة القديمة لتلك الملكة المبجلة تظهرها سمراء جنوبية ذات لون بشرة نوبى جميل، مثل ذلك المنظر الموجود الآن فى المتحف البريطانى، ولكن يعتقد العلماء التقليديون أن اللون الأسود هنا هو لون رب البعث الأسود، ولكن وجود بروز فى الفك الأعلى للقم الظاهر بوضوح بالمومياء يؤكد وجهة النظر الأولى، إضافة إلى أنه لو كان اللون الأسود هو رمز الرب الأسطورى «أوزوريس»، رب الحياة الثانية الأبدية ورب البعث المقدس، فلماذا لم نجد تماثيل الملوك الآخرين مثل «رمسيس الثانى» وغيرهم وهم ملونون باللون الأسود، وهم يؤدون دور الملك وهو على شاكلة «أوزوريس»؟، وقد تجد أنه هناك أكثر من ملك وملكة بل وأقاربهم فى الأسرة الثامنة عشرة لهم نفس الصفات التشريحية والبروز بالفك الأعلى مما يؤكد جريان الدم النوبى وتغلب السجينات النوبية على شكلهم التشريحي.





الملكة «ياح» - مس نفر - تيرى « بالمتحف البريطانى - لندن

وقد عاشت «إيعح - مس - نفرت - إيري» من عام ١٥٧٠ ق.م حتى ١٧٠٥ ق.م حياة مليئة بالإنجازات مما تسبب في اعتبارها أهم شخصيات الدولة الحديثة النسائية السياسية والاجتماعية بل والدينية، حيث حصلت على لقب هو المماثل والمقابل للقب الكاهن الأعلى للبلاد، وهذا ليس بغريب لو علمنا أصلها وجذورها، فهي حفيدة الملكة «تيتي - شيري»، وأمها الملكة المقاتلة المحررة «إيعح - حتب»، وقد عاشت سنين عديدة بعد وفاة زوجها «أحمس الأول»، والذي كان يجبها ويحترمها ويستفيد بمشورتها في أمور الحكم والتشيد والبناء. وقد بجلها النبلاء ورجال البلاط والرجال المهمون لدرجة أنهم ذكروا اسمها في أكثر من خمسين مقبرة خاصة بطيبة.



الدولة الحديثة (١٥٥٠ - ١٠٦٩ ق.م)

الأسرة الثامنة عشرة (١٥٥٠ - ١٢٩٥ ق.م)

الملك أمونحوتب الأول

عندما اعتلى هذا الملك عرش مصر كان مازال حديث السن، ولم يكن باستطاعته إدارة دفة الأمور؛ ولذلك قررت أمه الملكة «إمح - مس - نفرت - إيرى» أن تؤدى دور الوصية على العرش حتى يصل إلى السن المناسب للحكم الرشيد، وهى عادة مصرية قديمة لم تستحدثها الأسرة الثامنة عشرة، وقد حكم «أمونحوتب الأول» (ينطق ويكتب اسمه «إيمن - حتب» ومعنى الاسم الرب آمون الشمسى الأسطورى سعيد) من عام ١٥٢٥ ق.م حتى ١٥٠٤ ق.م. وقد كانت له إنجازات عسكرية فى بلاد كوش الجنوبية وغيرها، ولكن من الواضح أن تلك البلاد فى تلك الفترة كانت قد بدأت التقاط أنفاسها بعد كابوس الهكسوس، فبدأت الزراعة والاقتصاد فى الانتعاش مرة أخرى، وقد أحبه وبجله أمراؤه وعماله إلى حد التقديس بعد وفاته. ولم يتفق حتى الآن على مكان مقبرته، ولكن مومياءه بقيت لمدة طويلة غير مفكوكة الأربطة، ومكثت لفائفها كما كانت منذ عملية التحنيط القديمة. وهذا الوضع محبب لقلوب الكثير من العامة والمتخصصين، ومنهم كاتب هذا المخطوط، حيث يفضل أن يترك هؤلاء القدماء كما أرادوا هم أجسادهم ملفوفة فى كتانها داخل توابيتهم بمقابرهم مسجىن فى سلام وأمان وراحة أبدية كما تمنوا هم، وأجد أن هذا الفعل هو أقل ما يجب أن نفعله تجاه القدماء الذين آمنوا بأن هناك لعنة سوف تحل على الذين يخترقون حاجز الهدوء الأبدى الذى يتمتع المتوفى به والذين ينبشون القبور أيضاً، ورغم وجود نص اللعنة المنحوت على الجدران والمكتوب على البرديات إلا أن كاتب هذا القرطاس لا يؤمن البتة بما يسمى بلعنة الفرعنة، ولكنه يؤمن بأن علينا وبسرعة إعادة المومياءات إلى أماكنها الأصلية مع الحرص على حمايتها من الدمار والسرقة بوضعها فى ظروف



مناخية صحية ومؤمنة ومحروسة، وذلك باستخدام التكنولوجيا الحديثة التي من الممكن أن نسخرها لهذا الغرض.

الملك تحتمس الأول

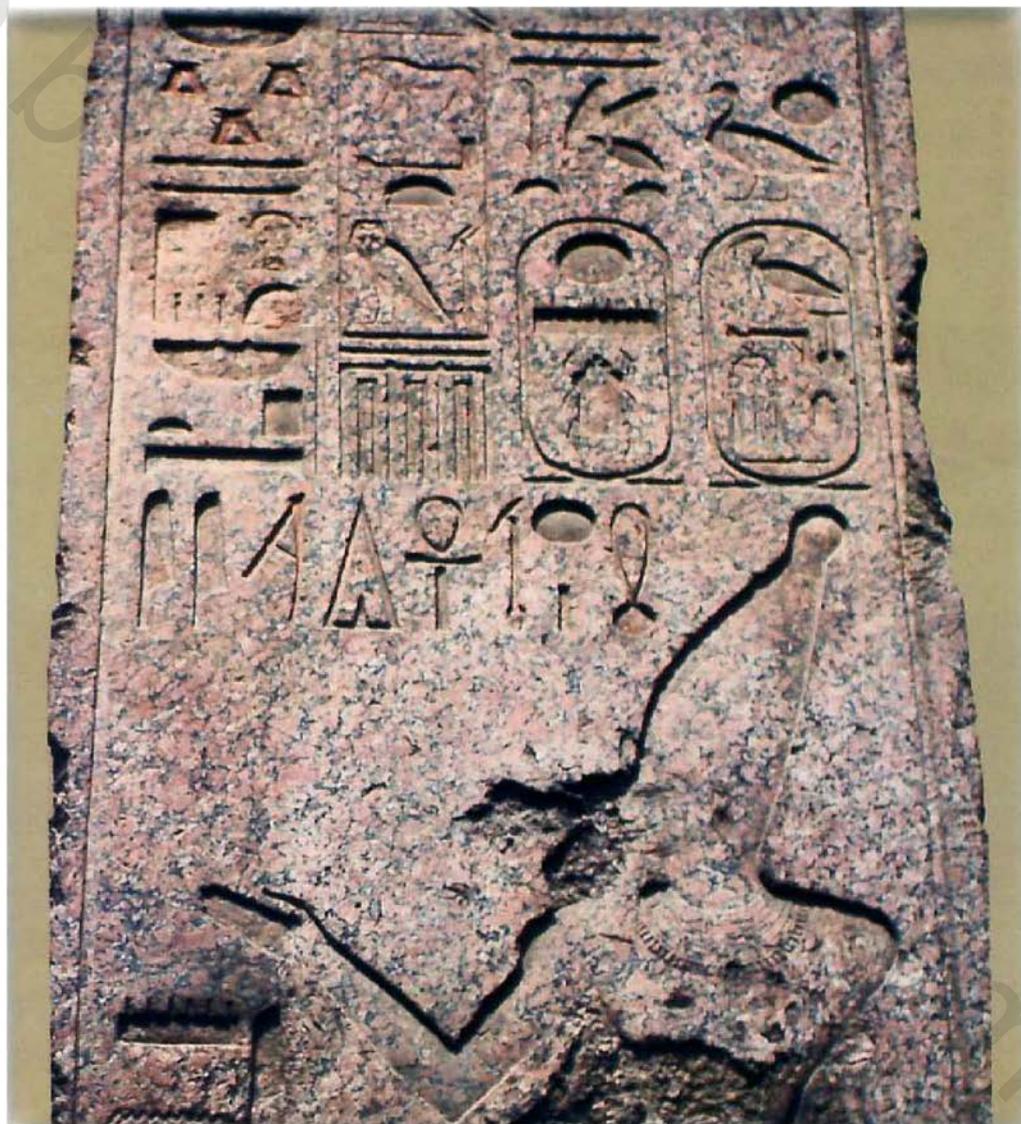
ثالث ملوك الأسرة الثامنة عشرة، حكم لمدة ١٢ عامًا، واسمه «جحوت-مس»، معناه «حوت قد وُلد»، وهو أول الملوك الأربعة الذين لقبوا بالـ«تحامسة» (نسبة للاسم «تحتمس»)، وقد حكم من عام ١٥٠٤ ق.م حتى ١٤٩٢ ق.م. ورغم أن الحالة التجارية للبلاد قد ازدهرت في عصره إلا أن هذا كان يرجع للقوة العسكرية التي أظهرها الملك «تحتمس الأول» حتى وصل النفوذ المصرى إلى البلاد الميتانية في آسيا وحتى الشلال الرابع في الجنوب، كاتبًا بهذه الانتصارات أول فصول الفتوحات والإنجازات العسكرية لهذه الأسرة، وقد تميزت الفترة القصيرة لحكم الملك «تحتمس الأول» بالإنجازات الإنشائية والمعمارية، فقام ببناء المعابد والمقاصير، وأصدر أوامره بإقامة التماثيل للأرباب العديدة، وله مسلة شهيرة في معبد الكرنك وزنها يصل إلى ١٤٣ طنًا. وقد اهتم بترميم المعابد، واهتم بأبيدوس ومعبد «أوزوريس»، يؤكد هذا النص الهيروغليفي: «لقد عمل جلالتي كل هذا لأجل «أوسير» (أوزوريس رب أبيدوس) لأنى أحبه أكثر من كل الأرباب الأخرى ليبقى اسمى، وتدوم آثارى في بيت والدى «ختتى أمتى» رب العرابة (أبيدوس) مخلدة أبدًا». ويحتل الملك «تحتمس الأول» المركز الأول في قائمة ملوك الأسرات الذين دفنوا في وادى الملوك، فهو أول من اختار تلك المنطقة بغرب الأقصر لتكون مثواه الأخير، وقد أوكل لكبير بنائيه المدعو «إننى» بهذه الوظيفة المهمة فيقول «إننى (واصفا): ... وأشرفت على كيفية حفر قبر جلالته، وكنت وحيدًا ولم يره إنسان، ولم يسمع به أحد ... ووضعت ملاطًا من الطين على جدران مقابره ليرسم عليها ..». وقد أثبتت الأبحاث الحديثة أن المومياء التي اعتقد البعض أنها للملك كانت لشخص آخر.

الملك تحتمس الثانى

هو ابن الملك «تحتمس الأول» وقد اعتلى عرش مصر منذ عام ١٤٩٢ ق.م حتى ١٤٧٩ ق.م، وقد تزوج من أخته الملكة الشهيرة «حتشبسوت». ورغم أن قامته الطويلة وانتصاراته على الجنوب الثائر أعطيا الانطباع أنه كان رجلًا حاسمًا قاسيًا إلا أن اهتمامه بشكله وتأنقه يؤكد أنه كان إنسانًا



مرهف الحس. وقد أنجبت له الملكة الشهيرة بنتاً اسمها «نفرو- رع» وأخرى تدعى «مريت رع حتشبسوت» بيد أن الملك القادم والوريث الشرعي كان من المفترض أن يكون «تحتمس الثالث»، وهو ابن زوجة ثانوية اسمها «إيست» (أى إيزيس). وقد شيد «تحتمس الثاني» معبدًا جنازياً بغرب الأقصر مكرسًا إياه لعبادة الأرباب المقدسة؛ ليثبت تدينه ووجهه للأرباب.



منظر منحوت للملك تحتمس الثالث - حديقة المتحف المصرى. القاهرة

الملك تحتمس الثالث والملكة حتشبسوت

أراد الملك الأب «تحتمس الثاني» لابنه «تحتمس الثالث» الذي أنجبته زوجة ثانوية أن يكون الوريث الشرعي للعرش، بل إنه من المحتمل أن يكون قد جعله مشاركًا للحكم في أواخر أيامه. ولكن كان الملك الجديد صغير السن عند وفاة أبيه، فقد كان يبلغ الحادية عشرة تقريبًا، ولكن كانت هناك «حتشبسوت» تريد حكم البلاد منفردة، وقد كانت شخصية تلك السيدة القوية والمتسلطة ظاهرة في أيام الملك «تحتمس الثاني» نفسه، إذ إن هناك من يعتقد أنها كانت الحاكم الفعلي للبلاد، اعتيادًا على نص المهندس المشيد «إمهي» الذي يقول ويؤكد: «الزوجة الملكية «حتشبسوت» كانت هي التي تدير شئون الأرضين حسب آرائها هي، وقد كانت مصر تعمل مطأطئة الرأس لها، وهي صاحبة الأمر...».



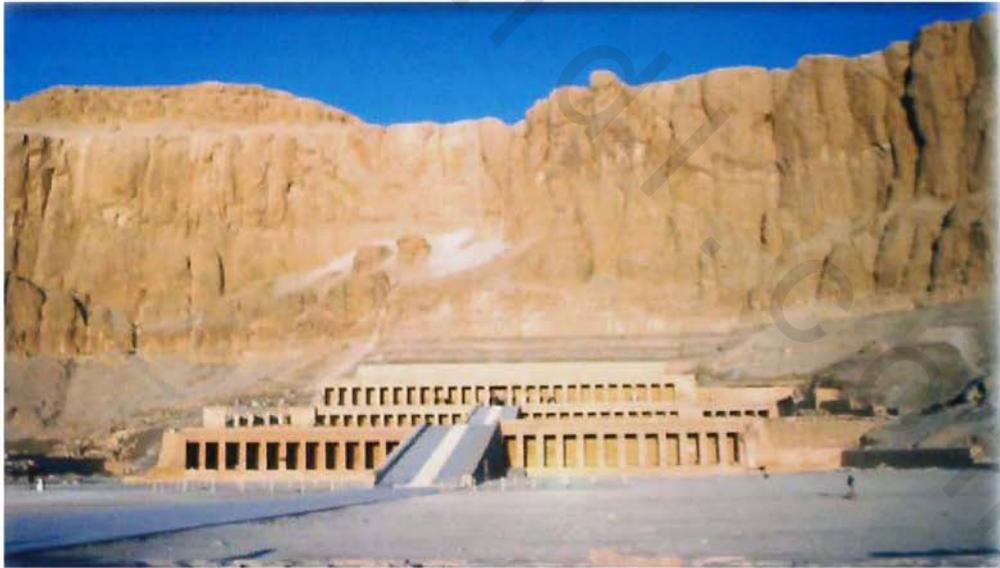
تمثال غير مألوف للملكة الحاكمة
حتشبسوت، حيث تظهر بشكلها الأنثوي
على غير عاداتها التي كانت تفضلها
متحف المتروبوليتان - نيويورك



رأس الملكة حتشبسوت وتظهر مرتدية للذقن الملكية
المستعارة
المتحف المصري - القاهرة

ولفظ مطاطشة هنا في هذا النص هو لفظ غريب، ولكنه يثبت أن الغيرة والكره اللذين ظهرا من «تحتمس الثالث» تجاه زوجة أبيه «حتشبسوت» كان لها أسبابها، وقد أقنعت «حتشبسوت» الكهنة ورجال البلاط بطريقة أو بأخرى بأن يضعوها على العرش منفردة، فأصبحت هي «ملك مصر العليا والدنيا»، وبنّت المقاصير والمعابد المنحوتة، مثل معبدها الشهير بالدير البحري بغرب الأقصر، وصنعت لها التماثيل التي تظهرها بشكل جميل وأنثوى (مثل تلك المجموعة الموجودة الآن في متحف مترو بوليتان بنيويورك).

ونحتت لها مجموعة أخرى تظهر فيها الملكة على شكل ذكوري وبدون صدر أنثوى، بل وترتدى في هذه التماثيل الذقن الملكي المستعار، وقد نجحت «حتشبسوت» (والذي يعنى اسمها هي التي في مقدمة النبيلات) في تأسيس قاعدة متينة من الكهنة ورجال السياسة المحنكين يُعضدونها ويُعينونها على إدارة دفة الأمور، وصبغ حكمها بالصبغة الشرعية، فتم عمل مناظر ملونة على جدران معبدها بالدير البحري للولادة الربانية وزواج أم «حتشبسوت» من الرب الأسطوري «آمون» الرب الشمسي، وبالتالي أصبحت ملكة مصر هي الابنة المقدسة لـ«آمون» أهم الأرباب وأقواهم.



معبد الدير البحري المرمم ويظهر في يسار الصورة بقايا معبد منتوحتب - البر الغربي - الأقصر

ورغم أن التأثر المعماري قد بدا واضحًا في معبد «حتشبسوت» بمعبد الملك «نب - حبت - متوحب» (الأسرة الحادية عشرة) والذي يقع بقاياها في الناحية الجنوبية من معبد «حتشبسوت»، إلا أن الترميم المصري - البولندي الذي استمر لربع قرن من العمل المثمر أبقى على معبدها ورونته إلى يومنا هذا في حالة أقرب إلى الشكل الذي تمته الملكة نفسها. ومن أشهر إنجازات «حتشبسوت»، سيدة كل النبيلات رحلتها السلمية إلى بلاد بونت. ورغم أنها لم تكن الرحلة الأولى للمصريين، فقد ذُكرت بلاد بونت في الأسرة الخامسة في عهد الملك «ساحو رع» ثم الملك «أسوسى» إلا أن تدوين مناظر مفصلة لبونت على جدران معبدها وبقاء تلك المناظر إلى يومنا هذا جعل اسم «حتشبسوت» الأكثر التصاقًا بهذه الرحلة التجارية السلمية، وقد جلبت البعثة المصرية من بونت المراهم والدهانات العطرية ذات الرائحة الجميلة النفاذة - وكان لهذه الدهانات استخدامات يومية للكهنة والنساء بل وللرجال أيضًا - وقد اشتركت في خليط طبي لعلاج بعض الأمراض والأوجاع، وأيضًا تم جلب البخور والمر لما لهما من استخدامات في أثناء الطقوس الدينية للأرباب المقدسة الأسطورية، ومن ضمن البضائع التي وردت من بلاد بونت إلى الأراضى المصرية كان هناك القروود، والفهود، والزراف، والكلاب، والعاج، وخشب القرقة والأبنوس، أما عن أشجار الحنة فقد أعجبت بها الملكة المصرية لدرجة أنها زرعتها حول معبدها. أما عن بلاد بونت نفسها فقد أولى علماء التاريخ والجغرافيا اهتمامًا كبيرًا بها، فأين هي بلاد بونت الآن؟

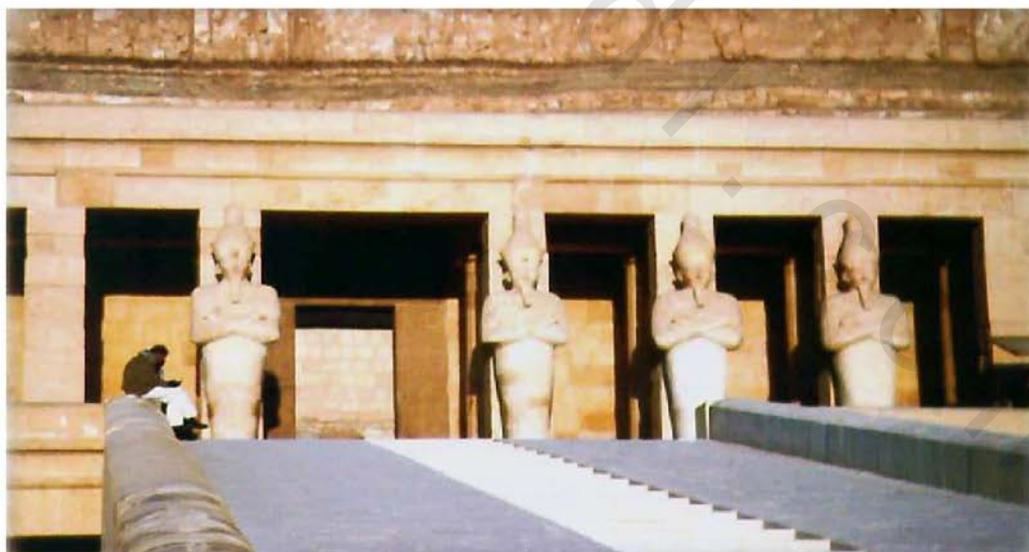
بعض المؤرخين يؤكدون أن بونت كان مكانًا يُطلق عليه الآن (جيبوتي)، ويعتقد البعض الآخر أنها كانت تقع في منطقة ساحلية بأريتريا ولكن هناك مجموعة تفضل (أثيوبيا). ورأينا الخاص أن المنظر المنحوت على جدران معبد «حتشبسوت» هو الدليل الدامغ على المكان الأصلي لبونت. نجد في المنظر الملون أن أهالى (بونت) كانوا يعيشون في أكواخ من جريد النخيل، وأخشابها يشيدونها بأيديهم على أعمدة من الخشب؛ لترتفع عن سطح الأرض المغمورة بالمياه، ويصلوا إلى مداخل أكواخهم عن طريق سلم يصعدونه. وتحت هذا المنظر يوجد منظر آخر يبين الأنواع المختلفة للأسماك والأحياء المائية التي كانت تعيش في (بونت)، ونجد أن هناك سمك مياه عذبة ومالحة، وتوجد سلاحف مائية أيضًا مما يؤكد أنها خليط بين أسماك بحرية ونيلية، الشيء الذى يخلص منه أن (بوينيت) أصل التسمية بالكتابة الهيروغليفية كان مكانًا يطل على ملتقى البحر بالنهر، وذلك يؤكد وجود النوعين المتباينين من الأحياء المائية. وعلى ذلك فهو مكان بين البحر الأحمر وأقرب فروع نهر النيل إليه، وتحديدًا في جنوب شرق السودان أو الصومال، ونضيف إلى هذا أن جبل (بونت)، المحتوى على العديد من مناجم الذهب، كان على مقربة من بلاد (كوش)



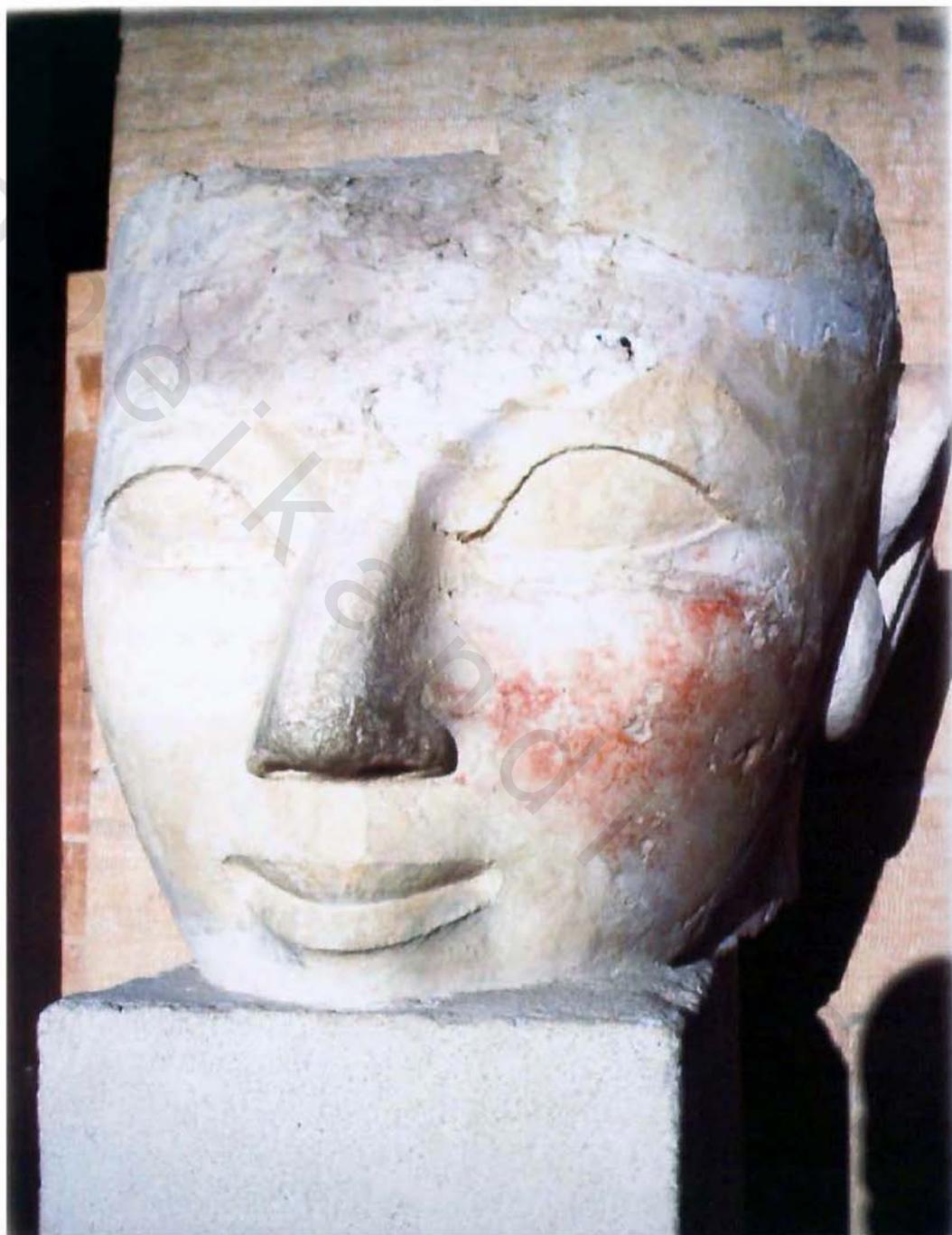
الواقعة في وادي النيل النوبي، وقد أضافت الملكة لإنجازاتها تشييد مسلتين أشهرهما تلك التي تقف منتصبه بشموخ في وسط معبد الكرنك، وقد تم نحت نصوص هيروغليفية على جوانبها تظهر الخراطيش الملكية لـ«حتشبسوت»، وهى من الخراطيش القليلة التي نجت من التدمير على يد المعترضين على طريقة اغتصابها لعرش مصر، وقد وقعت كل هذه التدميرات بعد وفاتها بعد ٢٢ عامًا من الحكم. ويصل وزن مسلة «حتشبسوت» بمعبد الكرنك بالبر الشرقى بالأقصر إلى حوالي ٣٢٠ طنًا من الجرانيت الوردى، في حين يصل ارتفاعها إلى حوالي ٥, ٢٧ مترًا. وقد بينت المناظر المنحوتة على جدران الجزء الأسفل لمعبدها بالدير البحري بالبر الغربي للأقصر أن نقل المسلتين قد تم من أسوان إلى الأقصر، وقد أكدت النصوص أن قطع الأحجار من محاجر أسوان ونقلها وتشييدها بالكرنك استغرق ٧ أشهر، وقد كان من عادة المصريين القدماء كسوقمة المسلة المدببة والهرمية الشكل بمعدن الألكترولوم (مزيج من الذهب والفضة). وقد أطلق على هذا الهرم لقب «بن بن»، ولوجود هرم الـ«بن بن» أصل وأهمية في العقيدة الدينية المصرية القديمة، وقد تم ذكره في متون الأهرام - أقدم النصوص الدينية المنقوشة على جدران غرف أهرامات سقارة، مثل هرم «تيتي» وهرم «ونيس» (أوناس)، يقول النص: «آتوم الجعران، لقد سعدت عاليًا من مياه المحيط الأزلى المسمى «نون» مثل البن - بن في معبد طائر العنقاء في أون (هليوبوليس)». ويشرح هذا النص كيف جاء آتوم (وهو الرب الخالق الأسطوري من وجهة نظر الكاهن المصرى القديم) إلى عالم البشر على شكل حجر مقدس هرمنى الملامح، وصعد من مياه المحيط الذى آمن المصرى القديم أنه كان محيطًا من المياه الغامضة. ومن هنا كان لهرم الـ «بن - بن» علاقة وثيقة بإتمام عملية الخلق، وأن للـ«بن - بن» علاقة أيضًا وطيدة بأشعة الشمس وعبادتها؛ لأن أول ظهور له كان في مدينة ومعبد الشمس بهليوبوليس. ومن الممكن تصور انعكاس أشعة الشمس من على الأسطح الأربعة المعدنية للأربعة جوانب هرم الـ «بن - بن» أعلى المسلة، من المؤكد أنه كان منظرًا خلابًا يتمتع به القريب من المسلة والبعيد عنها أيضًا، وذلك لارتفاعها الشاهق. وقد أكدت «حتشبسوت» ماهية وكيونة المسلتين قائلة: «أيها الناس الذين سوف ترون هذا الأثر بعد سنوات وسوف تتكلمون عن ذلك الذى صنعته، حذارى من قول (لست أدري لماذا صُنع؟)، لقد صنعتها لأنى أرغب فى أن تكون هدية إلى والدى «آمون»؛ ولكى أعطيهم بالألكترولوم». ولقد سُيدت بعد وفاتها بناية غطت على النصف الأسفل من مسلتها القائمة بمعبد الكرنك، وهو ما ساعد على الحفاظ على هذا الجزء، وعلى النصوص الهيروغليفية المحفورة عليه. ويظهر اختلاف لون حجر الجرانيت، المقطوعة منه المسلة



- نظرًا لتعرض النصف العلوى منها لأشعة الشمس فبهت اللون الوردى الأصلي للحجر بعض الشيء، ومال للاصفرار أو اللون البرتقالى الفاتح، فى حين احتفظ الجزء الأسفل باللون الأصلي. لقد اتهم بعض الأثريين الملك «تحتمس الثالث» بأنه المسئول عن هذه البناية التى أحاطت بالنصف الأسفل من المسلة لغرض طمس ذكرى الملكة التى اغتصبت منه عرش مصر، ولكن لا يوجد - فى الحقيقة - دليل دامغ على صحة هذا الاتهام. الإدانة هنا ما زالت مشكوكًا فى أمرها. ومن أهم الأسماء التى لمعت فى عصر حكم «حتشبسوت» مدير بيت آمون والمستهول عن تربية ابنتها «نفرو-رع» والشخصية الأكثر تأثيرًا فى بلاطها الملكى المدعو: «سنموت» (سنوت فى قراءة أخرى). ولقد وجد لهذا الرجل أكثر من تمثال وهو يرعى ابنة الملكة وهى جالسة على حجره. وقد تم الكشف عن مقبرتين لـ «سنموت»: واحدة أعلى جبل منطقة القرنة بالبر الغربى بالأقصر وهى غير مكتملة، أما الثانية فهى بجانب معبد الدير البحرى وبها أقدم وأجمل منظر فلكى للأجرام والنجوم السماوية. كل هذه الاكتشافات مهدت الطريق أمام بعض المؤرخين لكى يقرروا أهمية هذا الرجل الذى جاء من عائلة متواضعة، بل إن بعضهم أثار قصة غير موثقة بأنه كان المحبوب من قبل الملكة بعد الوفاة المبكرة لزوجها، وخصوصًا أنه لا يظهر لـ «سنموت» أى أولاد فى المناظر أو التماثيل التى تركها لإتلك التماثيل التى تظهره وهو مع الأميرة الملكية صغيرة السن «نفرو-رع» بنت الملكة «ماعت - كا - رع حتشبسوت».



معبد الدير البحرى - البر الغربى - الأقصر



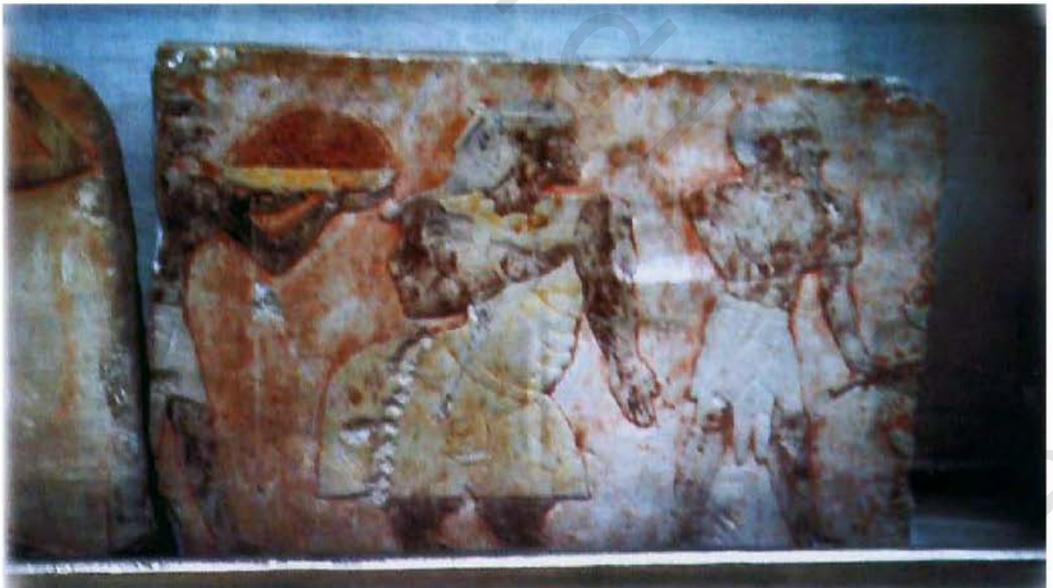
صورة تفصيلية لرأس أحد التماثيل داخل معبد حتشبسوت - البر الغربي - الأقصر

ويتهى عصر «حتشبسوت» بعد ٢٢ عامًا من الحكم، ولكن تبقى لنا عدة تساؤلات ما زالت تعيش في طي الغموض، ولم يمط عنها اللثام بعد:

١- كيف استطاعت أن تقنع الكهنة ورجال السياسة بتعويضها والوقوف بجانبها ووضعها على عرش مصر رغم غرابة الحركة الانقلابية التي قامت بها عندما قررت إزاحة الوريث الشرعى للعرش الأمير «تحتمس الثالث»؟

٢- من قام بتحطيم معبدها وتهشيم تماثيلها وقشط أسماها الملكية؟ هل كان بالفعل الملك المنتقم «تحتمس الثالث»؟ أم رجاله الأوفياء؟ واضعين في الاعتبار أن سمعة «حتشبسوت» المغتصبة للعرش استمرت ولمدة زمنية طويلة، حتى إن الملك الشهير «سيتى» باني معبد أبيدوس لم يذكرها في قائمة الملوك المنحوتة على جدران معبده، والتي تضمنت ٧٦ اسماً لملوك مصر القديمة، مما يؤكد عدم اعترافه بها؟

٣- هل كانت مناظرها المنحوتة وتماثيلها التي تظهرها على هيئة ذكر لأنها أرادت أن تتشبه بالرجال لأسباب سياسية أم دينية أم شخصية؟، ولا نعتقد أنها كانت تريد أن تثبت أحقيتها أو جديتها للحكم لأنها قد سبقتها ملكات حاكمات أخريات مثل «نيت - إيقرتى» و«سوبك - نفرو»، ولكنهما لم تحكما لمدة طويلة مثلها؟



زوجة عمدة «بونت» المصابة بداء الفيل - المتحف المصرى - القاهرة

٤- في المنظر الشهير لبلاد بونت على جدار معبد الدير البحري، ظهر حاكم بونت المدعو «باريهو» وزوجته «آتي» ويظهر جليًا الشكل الجسماني لـ«آتي»، فهي ممتلئة الوزن بشكل كبير لم يظهر كثيرًا في أى منظر مصرى قديم، والتساؤل هنا: هل وضع «آتي» هنا ما هو إلا نحت كاريكاتورى للشخصية الأجنبية؟ أم أنها كانت تعاني من المرض المعروف باسم «داء الفيل»؟ أو «مرض ديركم - Dercums disease»؟ وبالتالي يصبح منظر «آتي» هنا هو محاولة ناجحة من الفنان المصرى القديم لمحاكاة الحقيقة غير المجاملة أو المزيفة للواقع؟

تحتمس الثالث

هو الملك المحارب المنتصر المقدم «من - خبر - رع تحتمس الثالث»، والذي امتدت مدة حكمه الطويلة من عام ١٤٧٩ ق.م وحتى ١٤٢٥ ق.م، ويفضل بعض المؤرخين إضافة السنين الأربعة عشرة التي شاركته «حتشبسوت» الحكم فيها كوصية لصغر سنه (ولكنها في الحقيقة كانت قد انفردت بالحكم لمدة ليست قصيرة).

وقد استهل حكمه المنفرد بعد وفاة منافسته على العرش بانتصار مدوّ في معركة «مجدو» ضد الخلفاء في سوريا تحت قيادة حاكم «قادش»^(١) (كانت تلك الأراضي المعادية لمصر قد استعادت ترابطها وبأسها لما أبدته «حتشبسوت» من هدوء وسلام إبان فترة حكمها، وكان يطلق المصريون على تلك الرقعة من الأرض ساهى أو زاهى، وقد ذكرها «تحتمس الثالث» في حروبه السبعة عشر بالكرنك، حيث قال: «إن الرب «أمون» قد وجهه على كل الممالك المتحالفة في أرض زاهى، فحاصرها جميعًا في بلدة واحدة...». وقد برع «تحتمس الثالث» في النزال والقتال، وكان يتميز بالدهاء العسكرى والحكمة السياسية والولاء الدينى، وبالتالي اجتمعت فيه صفات الحاكم المثالية، وكان هذه الانتصارات العسكرية المتوالية الأثر الأكبر في انتعاش البلاد اقتصاديًا، فتجلى هذا الثراء في المعابد الفخمة والاحتفالات المعبدية والشعبية المكلفة، والتي دونها في قاعة الأعياد بمعبد الكرنك، وقد توسعت السيطرة المصرية في أيام «تحتمس الثالث» كما لم تتوسع من قبل، فقد وثق لنا انتصاراته في ممالك آشور ورتنو (سوريا) والسواحل، والموانئ الفينيقية وميتانى وبلاد ما بين النهرين وكوش الجنوبية، حتى إنه دون انتصاراته في منطقة جبل بركال في قلب المملكة الكوشية. وقد كانت نجاحات الملك «تحتمس الثالث» العسكرية برية وبحرية ونهرية،

(١) مدينة صغيرة للقوافل التجارية بسوريا.

وقد ظهر هذا جلياً في معركة «قرقميش». وذكر لنا في حوليات معاركه بمعبد الكرنك أيضاً معارك بلاد سنجار «بابل» وبلاد خيتا وبلاد بونت وبلاد واوات وقبرص. ومن أجمل وأهم الآثار التي أفرزت في عصره نتيجة لهذه الانتصارات واستقرار الحكم وتمركزه هي معابده ومسلاته ومقابره بوادى الملوك، بل ومقابر موظفيه المهمة. ويقول العلماء المتخصصون في تاريخ المسلات: إن الملك «تحتمس الثالث» قد قام بتشييد - على الأقل - سبع مسلات بمعابد الكرنك، اثنتين في هليوبوليس، وقد كرس تشييدها للأرباب المقدسة في وقت احتفالاته الدينية والملكية. وقد أعيد تشييد عدد كبير من هذه المسلات بعد نقلها إلى مدن أوروبية وغربية كثيرة، فنجد مسلة لـ «تحتمس الثالث» الآن في إسطنبول، ويبلغ ارتفاعها حوالى ٢٩ متراً، وثانية في نيويورك بارتفاع ٢١ متراً، وثالثة بلندن بارتفاع ٢٠ متراً. أما عن مسلته في روما فهي أهم المسلات الثلاثة عشرة التي تزين ميادين تلك المدينة الإيطالية، وقد احتفل بها بعد وضعها في ميدان سان جيوفانى في لا تيرانو في يوم ١٠ أغسطس من عام ١٥٨٨م. وقد وصل ارتفاع هذه المسلة العملاقة إلى ٣٢ متراً، وهو ما جعلها من أعلى المسلات المصرية القديمة، الأمر الذى أغرى الكثير من المؤرخين أن يقترحوا أن مشروع المسلة الناقصة بأسوان كان من أعمال «تحتمس الثالث»، ولكنه لم يتم لظهور بعض التشققات بالحجر في وقت تقطيعه، ولكننا لا نستطيع أن نجزم بمن هو صاحب أو صاحبة هذا المشروع الطموح لتشييد مسلة يصل ارتفاعها إلى أكثر من ٤٠ متراً ووزنها يربو على الألف طن!. وكما انتعش البناء والتشييد في عصره، ازدهرت أيضاً الفنون والموسيقى والنحت، وقد ظهرت كل هذه الإبداعات في المناظر البديعة، والتي ما زالت تحافظ على ألوانها حتى الآن في مقبرة وزيره والقائم على أعمال كثيرة ومسئوليات جمة المدعو «رخيرع» الكائنة بقرية القرنة في مكان يطلق عليه وادى النبلاء. وقد وثق «رخيرع» صفاته التي من أجلها اختاره الملك «تحتمس الثالث» لهذه المناصب المهمة قائلاً: «كنت قلب الرب، وأذن وعيون ملكى، كنت بحاره، ولم أعرف النوم بالليل أو بالنهار... وحكمت على الغنى والفقير بالمثل (بالعدل)، وأنقذت الضعيف من القوى... ودافعت عن الأرملة، وقد أسست الآن ووريثه على مقعد أبيه... حكمت في أمور جنائم، ولم أكن أصم للذى يده فارغة، ولم أتقبل رشوة أحد».

ومن المناظر التي تؤكد سيطرة جيوش الملك «تحتمس الثالث» على الاراضى الأجنبية لوحة تظهر الجبابا والهبات، والجزيات، والهدايا التي جلبها الجنوبيون والسوريون والكريتون وأهالى بحر إيجه إلى الأراضى المصرية، وكان «رخيرع» الوزير الوفى في استقبالها، وكان المسئول عن توثيقها مثل القارورات والغازات وحيوانات مثل الزراف والدب وسن الفيل والذهب، ومن الموظفين المهمين



أيضاً والذين خدموا في بلاط الملك «تحتمس الثالث» كان المدعو «بويم-رع» والكاهن الأعلى لآمون «من-خبر-رع سونب» والمدعو «يامونيد جح»، والذين من مقابرهم عرفنا أنهم جميعاً اشتركوا في تشييد مسلات الملك، سواء أكان في وقت تقطيعها أو نقلها أو الاحتفال بإقامتها في المكان المختار لها، وكما فعلت الملكة «حتشبسوت» فعل الملك «تحتمس الثالث» بخصوص تثبيت الحق الشرعي للحكم واعتلاء العرش عن طريق توثيق علاقته بالرب المقدس في ذلك الوقت ألا وهو «آمون». ويقول في النص الهيروغليفي: إنه (أى آمون) قد اختاره «تحتمس الثالث»، ليكون حاكم البلاد وهو يعبر بالموكب الرسمي لتمثال الرب في بهو الأساطين بمعبد الكرنك، فهو «... ابنه محبوب جلالته..» وهو ابنه الذى أمر أن يبقى على عرشه.. وقد.. نصبنى رع شخصياً حسب ما جاء في النص الملكى.

وقد نقب وكشف الأثرى الفرنسى فيكتور لوريه عن مقبرة «تحتمس الثالث» بوادى الملوك في عام ١٨٩٨م وهى في مكان شاهق الارتفاع، صعبة الوصول إليها، وتميزت النصوص والرسومات التى وجدت مكتوبة ومرسومة على جدرانها بأنها واضحة، ولكنها سريعة ومختصرة في تفاصيلها، وكان كل جدران المقبرة عبارة عن ورقة من لفائف البردى المليئة بالكتابات، وهى طريقة نادرة في وادى الملوك التى كانت تتميز رسوماته ونصوصه بالتفاصيل المتأنية والوضوح الصافى. مومياء الملك لم تكن موجودة في مقبرتها، ولكنها كانت ضمن الخبيثة.



تمثال تحتمس الثالث الفريد. أجمل إنجازا للنحات المصرى القديم - متحف الأقصر

ويبقى أخيراً أن نتكلم عن أجمل أثر تركه لنا ذلك الملك ألا وهو تمثاله البديع الموجود حالياً بمتحف الأقصر، والذي أفتتح عام ١٩٧٥ م. وبدون مبالغة يعتبر هذا التمثال المنحوت من قطعة واحدة من حجر الشيست الأخضر الغامق، واحداً من أجمل التحف في تاريخ النحت بصفة عامة، وقد تم الكشف عنه في يوم ٨ مايو من عام ١٩٠٤ م بمعبد «آمون» بالكرنك. يصل طول التمثال المبهر إلى ٩٠,٥ سم، ويظهر الملك المقدم وهو يتقدم بالخطوة العسكرية برجله اليسرى، رأسه مغطاه بلباس الرأس «نمس» المصنوع في الحقيقة من القماش المخطط بخطوط عرضية (ولكنه هنا منحوت من الحجر)، ويزين جبهة الملك ثعبان الكوبرا من أجل حماية الملك من الشر، ولكن للأسف رأس الأفعى هنا محطم. والتمثال في مجمله يظهر الملك بقسمات غاية في الجاذبية، وجمال الوجه ومنتهى الرشاقة والقوة العضلية، ويرتدى الملك هنا تنورة الـ«شيندت» ومنحوت على الحزام الخرطوش الملكي الذي يحتوي على أحد أسماء الملك «من - خبر - رع»، وللتمثال عمود يرتكز عليه خلف الجسد، وهو منقوش بعبارات هيروغليفية. ولا يسعك إلا أن تقف مشدوهاً، أمام ذلك العمل الفني البارِع والذي لا أجده مثيلاً بين أقرانه هنا في مصر أو في خارجها.

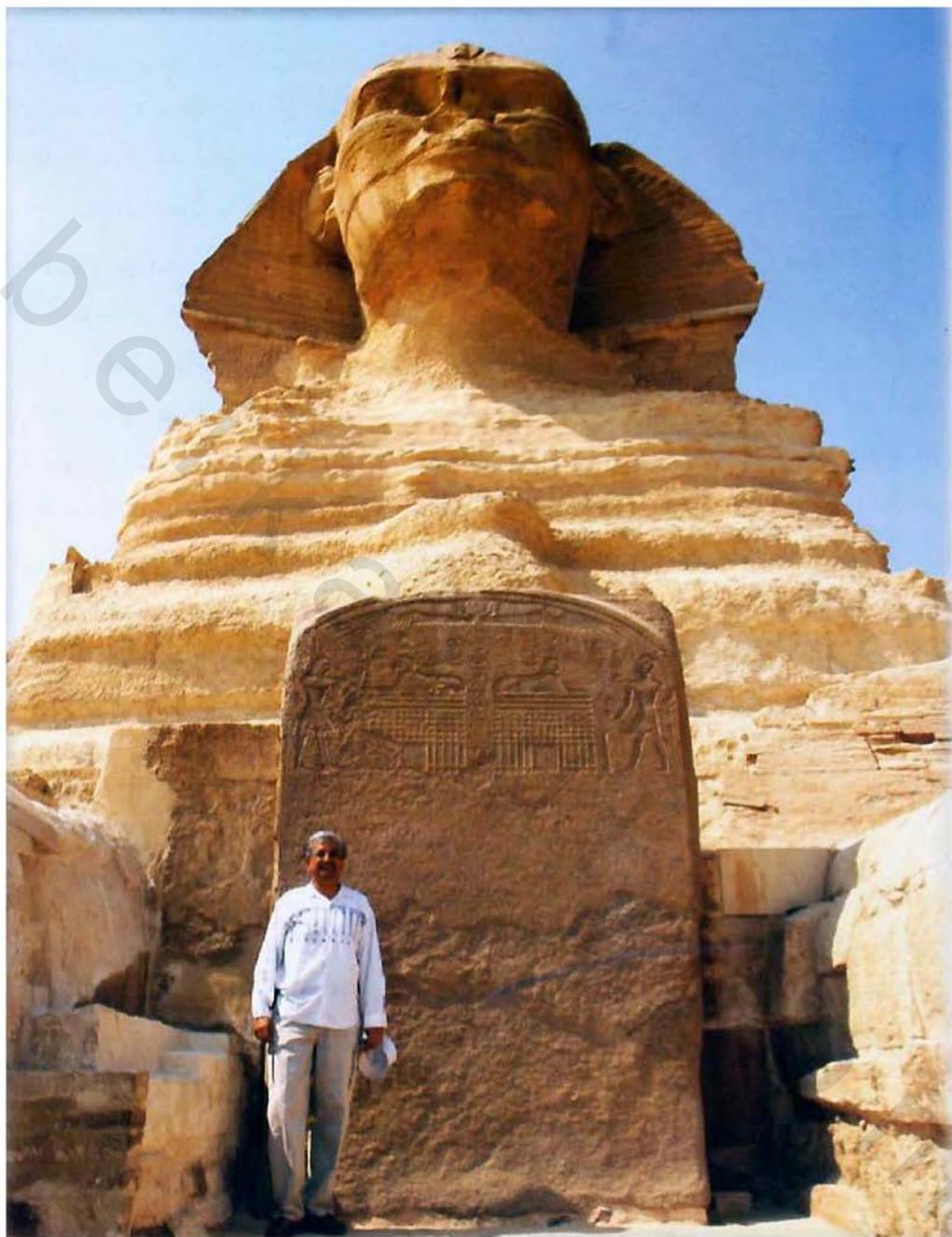
الملك أمونحوتب الثاني

حكم الملك «عا - خبرو - رع إيمنتب^(١) الثاني» لمدة ٢٧ عامًا (١٤٢٧ - ١٤٠٠ ق.م)، وقد ورث الحكم عن أبيه الملك المقدم «تتمس الثالث» الذي حكم مصر لمدة ٥٤ عامًا، ويعتقد بعض المؤرخين أن «أمونحوتب الثاني» شارك والده في الحكم آخر ثلاث سنوات من حياته. وقد ورث الملك الجديد مملكة مترامية الأطراف واسعة المساحة مما تطلب منه إثبات تحكمه وسيطرته عليها كما فعل أبوه. ورغم أنه لم تكن هناك معارك كثيرة في الجنوب كالعادة إلا أنه دخل في نزال عسكري شديد مع زعماء منطقة سوريا وأنهارها، التي انتهت إلى طلب الزعماء السوريين من الملك المصرى عقد اتفاقيات سلام، فوافق الملك وانفتحت مصر على آسيا، وظهر هذا واضحاً في بعض النصوص والفنون.

وقد ترك لنا هذا الملك عددًا من المعابد والمقاصير والنصوص المهمة، والتي أعطتنا فكرة جلية عن شخصيته وشكله الجسماني. ففي معبده الصغير في الناحية الشمالية الشرقية لتمثال «أبو الهول» الشهير بالجيزة، تم الكشف عن لوحة طولها يبلغ أربعة أمتار وخمسة وعشرين سنتيمتراً، وعرضها

(١) التسمية الهيروغليفية الصحيحة للملك هي «إيمنتب» وليس «أمونحوتب» ولكن جرى عرف الآثاريين أن يطلقوا عليه التسمية الثانية.





المؤلف أمام لوحة الخلم للملك تحتمس الرابع الجرانيتية - الجيزة

نحو مترين وثلاثة وخمسين سنتيمتراً، وهى مشيدة فى آخر المعبد. منحوت على هذه اللوحة الحجرية منظر للملك «أمونحوتب الثانى»، وهو يتعبد لأبى الهول (كرب مقدس). وتحت هذا المنظر الدينى يوجد نص هيروغلىفى يؤكد فيه الملك كيف أنه برع فى استخدام القوس والسهم، وأن بنيانه الجسدى كان بالشدة والقوة التى جعلته لا يتعب من التجديف، وأنه كان فارساً يجيد ركوب الخيل. وتوجد إيلاءة فى النص أن الملك قد اعتلى العرش وهو فى سن الثامنة عشرة من عمره.

إذن، لا شك فى أن الملك «أمونحوتب الثانى» كان رياضياً ناجحاً. فى عام ١٩٢٧م تم اكتشاف لوحة من الجرانيت الأحمر الأسوانى فى الصرح الثالث لمعبد آمون بالكرنك، وهى الآن معروضة بمتحف الأقصر بعد ترميمها، ويظهر فيها الملك وهو يرمى بالسهم تجاه هدفين: أولهما عبارة عن عامود سميك يظهر فى أقصى يمين المنظر وهو مرشوق بعدة أسهم قد اخترقته، ليظهر جزء منها من الناحية الأخرى للهدف، مما يدل على قوة ساعدى الملك الذى استخدم قوسه فى هذه الرياضة القديمة. ويقول النص الهيروغلىفى المنحوت على اللوحة: إن الملك «أمونحوتب الثانى» أصر على أن تكون كل الأهداف التى يرميها بالسهم مصنوعة من معدن النحاس القوى، وليس من الخشب، كما هو المعتاد، وذلك لأنه أقوى من الرجال العاديين لدرجة أن كل سهامه قد اخترقت الأهداف الخشبية، كما لو كانت مصنوعة من أوراق نبات البردى السهل الاخرق. وكان الملك «أمونحوتب الثانى» محارباً منتصراً وعاقداً لاتفاقيات السلام، بل وابتاً ولياً ومخلصاً لأبيه، حيث أكمل ما بدأه والده من معابد ومقاصير، ولكن لم يمهل القدر الوقت الكافى لإنائها. وقد تزوج هذا الملك من أكثر من زوجة، ولكن أكثرهن ظهوراً فى المناظر المنحوتة كانت الملكة «تيا» والملكة «ميريت آمون - حتشيسوت» (وهى غير الملكة «حتشيسوت» السابق ذكرها)، ولقد دُفن الملك فى مقبرته الشهيرة فى وادى الملوك بالبر الغربى بالأقصر، وهى تحمل رقم ٣٥، وتم الكشف عن موميائه إلى جانب ثمانى مومياوات أخريات بنفس المقبرة، وهم: الملوك «تحتمس الرابع»، و«أمونحوتب الثالث»، و«ميرنتاح»، و«سيتى الثانى»، و«سبتاح»، و«رمسيس الرابع والخامس والسادس». وكان هذا الكشف المهم قد حدث فى عام ١٨٩٨م على يد الأثرى الفرنسى «فيكتور لوريه».

الملك تحتس الرابع

رغم قصر مدة حكم الملك «من - خبرو - رع - جحوتى - مس» الرابع، والتى بلغت حوالى ١٠ سنوات، ورغم أنه من المحتمل ألا يكون فى الأصل الوريث الأول الشرعى لحكم أبيه



«أمونحوتب الثاني»، إلا أنه كان من الحكام الذين تفرّدوا بصفات كثيرة، وتميز حكمهم بأشياء، وأفعال مستحدثة. فقد كانت نقوشه بالكرنك غير مبهرة، ولم يُكشف عن الكثير من المباني الشاهقة له كما هو الحال عند الملوك الآخرين، ولكنه كان مغرماً باللوحات الجنازيرية والدينية، والتي منها أشهر لوحة حجرية مصرية قديمة على الإطلاق، ألا وهي لوحة الحلم والتي تقف الآن بين أيدي تثال أبي الهول بالجيزة. وقد أرخت هذه اللوحة على أنها صُنعت في العام الأول لحكم الملك «تحتمس الرابع» (١٤٠٠ ق.م) والمراد من هذه اللوحة والنص المنقور عليها هو خلع صفة الشرعية وصبغة الأحقية على الملك الذي لم يكن له - على ما يبدو - الحق في اعتلاء العرش فابتكر هذه الطريقة المستحدثة لإعطاء نفسه هذا الحق وتبرير قبضته على مقاليد الحكم. ففي النص المنحوت بدقة تحت منظر بديع للملك وهو يسكب السوائل ويحرق البخور أمام تماثيلين - وليس واحد - لأبي الهول، يؤكد الملك أن الرب «حور إم آخت - خبرى - رع - أتوم» (وهو أبي الهول نفسه) هو أبو «تحتمس الرابع» (والذي لم يكن قد أخذ صفة الملكية بعد)، قد تكلم معه في حميمة الأب مع ابنه شاكيًا له أن أعضائه تشعر بالألم، وأن جسده قد دفتته وغمرته رمال الصحراء وطالبه بتحريره من كل هذه المتاعب في مقابل أن يمنحه مُلك الأرض كلها والتاجين الأبيض والأحمر لمصر العليا والدنيا.



تفاصيل الجزء العلوى من لوحة الحلم - الجيزة

هذه المحاولة من جانب «تحتمس الرابع» كانت في شكل قصصى منحوت على لوحة جرانيتية كانت في الأصل من الأحجار الموجودة في معبد الوادى بجانب أبى الهول. وقد أزال الملك الرمال من على جسد أبى الهول وشيد سورًا حوله لحمايته وختم اسمه على بعض أحجاره، والملك «تحتمس الرابع» كان أول ملك مصرى يتزوج من بنت ملك أجنبى عقب معاهدة السلام التى أبرمها مع الميتانيين^(١) بقيادة ملكهم «أرتاتاما»، وهو زواج دبلوماسى لتوطيد السلام والعلاقات السياسية الهادئة والبعد عن الحروب والمعارك بينهم عن طريق المصاهرة الأسرية، ولكنه رفض - كما فعل غيره من ملوك مصر بعده - أن يضع تلك الأميرة الأجنبية على عرش مصر كملكة مفضلة. فدائمًا وأبدًا كانت الملكة مصرية، تجرى في عروقها الدماء المصرية الأصيلة، وقد تزوج الملك من أكثر من امرأة مثل «ياريت» و«نفرت - إيرى» وأشهرهم «موت - إم - ويا» وهى أم الملك الذى ورث عرش البلاد «أمونحوتب الثالث» في ريعان شبابه.

الملك أمونحوتب الثالث

عجلت وفاة الملك «تحتمس الرابع» في سن لم يتجاوز السابعة والعشرين عامًا بوضع الملك «نب - ماعت - رع - إيمن - حتب الثالث» على عرش البلاد، وقد حكم هذا الملك مصر لمدة تناهز ٣٨ عامًا (١٣٩٠ - ١٣٥٢ ق.م) وهو أهم وأشهر وأقدر ملوك الأسرة الثامنة عشرة إذا لم يكن أشهر ملوك مصر جميعًا. وقد تميزت فترته بالشراء والانتعاش الاقتصادى لدرجة أن الممالك الأجنبية - والذى استمر هو على نفس منوال أبيه من سلام ووثام معها - كانت تطالبه بالبعث بالذهب إليها على سبيل الهدية والهبة من ملك مصر الغنى. يقول نص الرسالة المبعوثة من الملك الآسيوى: «الذهب في بلاد أخى كالتراب»، ومن الواضح أنه هنا يستعطف الملك «أمونحوتب الثالث»، ويظهر من كل المعابد التى بناها هذا الملك النشيط أن عصره كان يتميز بالفخامة المعمارية والإنجازات البنائية.

فمعبد الأقصر والصرح الثالث بمعابد الكرنك والتمثالان اللذان كانا أمام صرح معبده المهدم الآن والمعروفان باسم تمثالى «ممنون» فقط، لهما خير دليل على براعة المهندس والعمارى والفنان المصرى بشكل ملفت للنظر في عصر هذا الملك. وقد استمر على وتيرة والده في زيجاته الديبلوماسية، وقد بالغ في هذا حين تزوج من «جيلوخيبا» ابنة الملك «شوتارنا» ملك ميتانى، ثم تزوج أخت ملك آسيوى آخر يدعى «توشراتا» الميتانى، ثم أخت ملك بابل، ثم ابنة ملك

(١) حضارة ميتانى كانت من الحضارات المتقدمة والمتعشة اقتصاديًا في غرب آسيا، وقد ظهرت كقوى عسكرية منافسة للحضارة المصرية والحضارات المجاورة مثل حضارة كنعان وحينى وغيرها.



«أرزاوا»، وقد أكد عالمنا الجليل «سليم حسن» أن الملك «أمونحوتب الثالث» كان له ٤٢٨ امرأة. ولكن بقيت الزوجة الملكية الرئيسية المفضلة هي «تى»، تلك التى تتميز بالوجه النوى الباهر الجمال، وقد كرم الملك والملكة والدها والدتها عن طريق صنع مقبرة فخمة لهما بها الكثير من الأثاث الجنائزى، والقوارير والتوابيت، والأقنعة الجنائزية المغطاة بشرائح الذهب اللامع فى وادى الملوك، وتم اكتشاف مقبرتها وقراءة اسمهما: «تويا» و«يويا» على التوابيت فى أوائل القرن العشرين، واستقرت تلك التحف الفنية فى المتحف المصرى بالقاهرة، وهى لخير دليل على ما وصلت إليه الفنون فى عصر الملك «أمونحوتب الثالث» من تقدم وازدهار.



قناع مذهب فريد من ضمن مقتنيات المتحف المصرى - من مقبرة تويا ويويا بوادى الملوك - البر الغربى - الأقصر

الملكة «تى» المتحف المصرى - القاهرة

وقد أغدق الملك على «تويا» و«يويا» بالكثير من الألقاب التى رفعتها إلى مصاف الرتب العالية، سواء عسكرياً أو دينياً. ومن المؤكد أن الملكة «تى» قد لعبت دوراً سياسياً كبيراً فى عصر الملك «أمونحوتب الثالث» وابنها «إخناتون» التى توفيت فى العام الثامن من حكمه، وقد شاركت زوجها اتخاذ أهم القرارات المؤثرة حتى أصبح لها شهرة واسعة بين الأمم والممالك، ويعتبرها بعض المؤرخين من أحكم وأكثر الملكات المصريات حنكة لما كانت تتميز به من دهاء سياسى وخبرة فى إدارة الأمور، وأكبر دليل على كل هذه الصفات هو تمثال لرأسها تم الكشف عنه فى عام ١٩٠٠ م عندما





معبد الأقصر للملك أمونحوتب الثالث بالبر الشرقي - الأقصر



معبد الأقصر - البر الشرقي - الأقصر

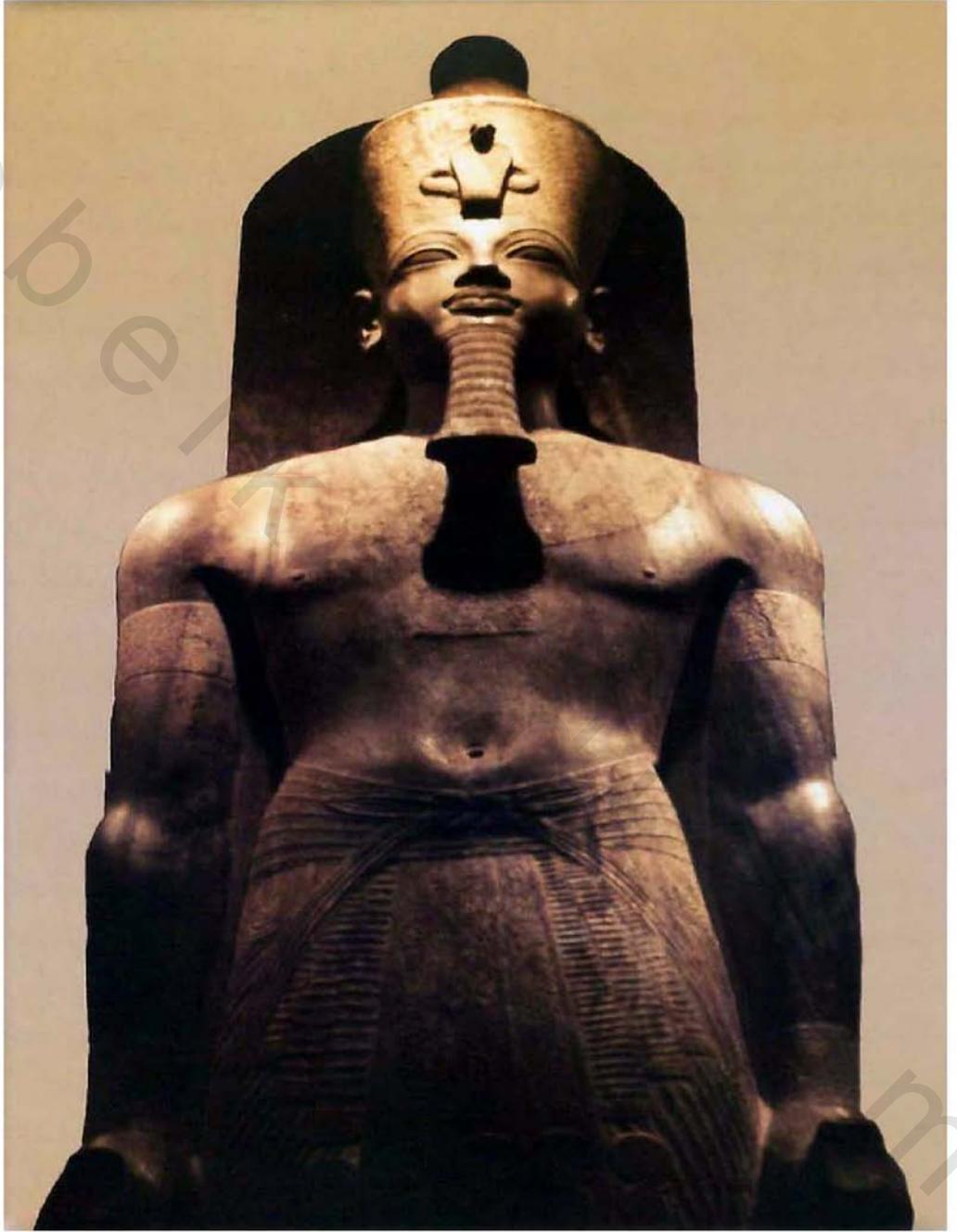
اكتشف الأهالي عددًا من التماثيل الخشبية الفرعونية في منطقة كوم مدينة غراب، عند مدخل مدينة الفيوم (اسم الفيوم أصله في الكتابة المصرية القديمة مؤلف من كلمتين، (با)، ومعناها كبير و(يم)، ومعناها جسد مائي، ثم تحولت الباء إلى فاء، ثم أضيف عليها أداة التعريف العربية بعد ذلك لتصبح الفيوم، وليس لأنها بنيت في ألف يوم كما أشيع). وكانت البعثة الألمانية تقوم بأعمال التنقيب هناك. ونجحت محاولات الألمان في الاستحواذ على رأس الملكة «تى» في عام ١٩٠٥م عن طريق شرائها في القاهرة، وهي رأس صغيرة بديعة الصنع، منحوتة باقتدار وهي ترجع لعام ١٣٦٠ ق.م. وهي الآن تقبع في متحف برلين بألمانيا. وقد أفادتنا تلك الرأس المنحوتة من خشب الطقسوس في معرفة الشكل الحقيقي والملاحح المحاكية للشخص صاحب القطعة الفنية؛ وذلك لأن النحات المصرى القديم كان في هذه الفترة يبعد عن المبالغة في إظهار الجمال المثالي، كما ظهر في عصور أخرى. وقسمت الوجه تبرز الشخصية الصارمة الحكيمة للملكة «تى» الشفتان غليظتان والعينان سوداوان، والبشرة لونها بنى غامق، والحواجب كبيرة وسميكة وعالية مما يضمنى على الوجه جمالاً جنوبيًا وجاذبية، عظام الوجنتين بارزة، وترتدى الملكة أقراطاً ذهبية وتاجًا يعلو رأسها مكوناً من قرص الشمس وريشتين ملكيتين يحيط بهما قرنان للبقرة «حتحور» ربة الجمال والموسيقى، والحب الأسطورية، وقد تم عمل بعض الدراسات على هذه الرأس من قبل بعض العلماء، مستخدمين التكنولوجيا الحديثة المتمثلة في جهاز مسح إشعاعى يطلق عليه «كات - سكان». وقد نتج عن هذه الدراسة معرفة سر من أسرار تلك القطعة الغريبة، ألا وهي تغطية الرأس بغطاء إضافي وهو الظاهر الآن، ولكن في الأصل كان هناك غطاء للرأس مصنوع من الفضة، وقد كانت الفضة أغلى من الذهب، وأطلق عليه المصرى القديم: «المعدن الأبيض» وقد أتوا به من آسيا، وقد كانت نادرة. يصل ارتفاع الرأس إلى ٥, ٩ سم، أى أنه رأس صغير في الحجم مما يزيد من تقديرنا وتقريظنا للنحات، حيث إنه من الصعوبة أن تُنحت هذه التفاصيل الدقيقة في مساحة صغيرة للوجه. وإذا دخلت المتحف المصرى بميدان التحرير بالقاهرة وتوجهت في خط مستقيم بالدور الأرضى سوف تُبهر بتمثالين كبيرين للملك «أمونحوتب الثالث» وزوجته الجميلة «تى» وهما يجلسان في رومانسية وسعادة بالفتين، وقد خلع الكثير من الألقاب عليها مثل: «المتحكمة في مصر العليا والسفلى، وسيدة السعادة العظيمة القدر، سيدة الشاطئين». وقد نجح العلماء الأثريون في الربط بين خصلة شعر لسيدة وجدت داخل تابوت صغير جداً عليه الاسم الملكى للملكة «تى» تم الكشف عنه في مقبرة «توت عنخ آمون»، وشعر مومياء لسيدة فوق الخمسين عامًا من العمر وجدت موميائها في خبيثة وادى الملوك بمقبرة الملك «أمونحوتب الثانى» مقبرة رقم ٣٥. وأكد غالبية العلماء أن هذه الخصلة هي للملكة «تى» مما يؤكد ماهية مومياء السيدة. الملكة «تى» كانت بحق سيدة مصر المفضلة.



تمثال ممنون للملك أمنوحوتب الثالث - البر الغربي - الأقصر



تفصيل أحد التمثالين المسمين بـ«ممنون».



الملك أمونحوتب الثالث بمتحف الأقصر

يستقبل الزائر للبر الغربي لمدينة الأقصر الأثرية تماثيلين جالسين كبيرين، كانا في عصر «أمونحوتب الثالث» يكتنفان المدخل الرئيسى لصرح كبير يتقدم معبده المبهر، والذي لم يتبق منه الكثير الآن للأسف. ولكن ما زال السؤال المحير يتحسس طريق الحقيقة في التسمية الغامضة. فإذا كان الملك المصرى «أمونحوتب الثالث» هو صاحب التماثيل والمعبد من ورائهما، فلماذا نطلق عليهما اسم «تماثالي ممنون»؟ وما هى علاقة الأسطورة اليونانية «أجا ممنون» بتماثالي «أمونحوتب الثالث» (هكذا يجب أن نطلق عليهم)؟ الحقيقة هى أنه فى عام ٢٧ ق.م ضرب زلزال تلك المنطقة مما أصاب التمثال الشمالى ببعض التشققات والتدمير (هو التمثال الذى على يمين الناظر عند الوقوف أمامهما)، ونظرًا لمرور الرياح عبر هذه الفتحات فى الصباح مصدره صوت صفير مميز، أطلق عليه الزائرون والسائحون اليونان القدامى لقب «ممنون الصوتى» وذلك نسبة إلى الشخصية الشهيرة «أجا ممنون»، التى ذكرها «هوميروس» الشاعر اليونانى الشهير فى نصوصه. وقد أرجع اليونان القدماء هذا الصفير إلى أن «ممنون» كان يغنى وينشد خصيصًا لأمه «إيوس» الملقبة بربة الفجر الأسطورية. ورغم تشكيك بعض الكتاب اليونانيين والمؤرخين القدماء فى هذه القصة إلا أن الاسم قد ارتبط بالتماثيلين، وليس بالتماثيل الشمالى فقط حتى بعد زوال الصفير نتيجة لترميم الذى حدث فى عصر الإمبراطور الرومانى - الليبى الأصل - «سيبتيمس سيفيرس» (١٩٣ - ٢١١م).

ما زلنا نستطيع أن نتمتع أيضًا بالنظر إلى تلك التماثيل الصغيرة التى تكتنف أرجل التماثيل العملاقين، وهما للملكة «تى». نحت التمثالان من حجر الكوارتيزيت الرملى. وقد تم دفن الملك «أمونحوتب الثالث» فى مقبرة رقم ٢٢ بوادى الملوك بعد حياة مليئة بالإنجازات الأسرية والعسكرية والاقتصادية، وقد تم الكشف عن رأس مومياء وأثار كثيرة داخل مقبرته، ولكن مومياءه ما زالت ماثار جدال بين العلماء. وقد ظهر فى أواخر أيامه طاعنًا فى السن، ذا جسم مترهل، ومتعبًا ومرهقًا، مما يؤكد محاكاة الفنان الذى نحت تلك المناظر للحقيقة، وهو ما يحسب للملك لأنه أعطى الفنانين الحرية فى إظهاره هكذا. وكان لوجود قرص الشمس ذى الأشعة المنتهية بالكفوف البشرية معتلية أعلى المناظر المنحوتة للملك الطاعن فى السن وبجواره زوجته الوفية «تى» الأثر الأكبر فى إيهان بعض المؤرخين أن «أمونحوتب الثالث» كان قد بدأ عبادة الرب «آتون» قبل ابنه «إخناتون». وهى مفاجأة تاريخية من العيار الثقيل؛ لأن أغلب المهتمين كانوا يعتقدون بأن «إخناتون» هو أول ملك مصرى عبد «آتون» وكرس المعابد له! بل وقد أطلق الملك «أمونحوتب



الثالث» لقب «آتون» الذى يتألق على قصر من قصوره، وقد كان لهذا أكبر الأثر فى فكر وعقيدة ابنه الملك «أمونحوتب الرابع» الذى حول اسمه إلى «إخناتون» ليصبح أكثر ملوك مصر القديمة إثارة للمجدد حتى الآن .



تمثال ممنون وتظهر التماثيل الصغيرة بجانب أرجل الملك أمونحوتب الثالث - البر الغربى - الأقصر

الملك أمونحوتب الرابع (إخناتون)

حكّم هذا الملك المثير للجدل حوالى ١٧ عامًا (١٣٦ - ١٣٥٢ عامًا ق.م)، أنجز خلالها الكثير من التغيرات والتطورات. فقد بدأ حياته الملكية كشريك لأبيه على عرش مصر رغم أنه لم يكن الابن الأكبر (على ما يبدو أن الأمير «تحتمس»، والوريث الشرعى، قد توفى وهو فى سن صغيرة). ورغم أن ديانة قرص الشمس المسماة «الديانة الآتونية» كانت قد ذكرت فى نصوص كثيرة للملك قبل «إخناتون» إلا أنها وصلت إلى قمة ذروتها فى عصره. والرب الأسطورى «آتون» هو القوة الكامنة والطاقة المنبعثة من قرص الشمس . وقرر الملك تغيير ديانة «آمون»^(١) فى معابد مصر وتحويل دفة الأمور الدينية إلى أرباب أخرى، كان على رأسهم «آتون»، وفى العام الرابع من

(١) راجع القاموس للأرباب المصرية الأسطورية القديمة فى نهاية الكتاب.

حكيمه غير اسمه لتأكيد ذلك التحول، فأصبح اسمه «إخناتون»، ومعناه «المفيد لآتون» بعد أن كان «أمونحوتب الرابع»، وتم محو أسماء «أمون» من النصوص والمعابد، بل وأقدم الملك على فعلة لا تنقصها الشجاعة السياسية رغم - أنها ولا شك قد أثارت عليه بعض المعارضين من كهنة «أمون» والمسؤولين الدينيين بمعبد الكرنك (بيت الرب «أمون» نفسه) - ألا وهي انتقال قصر الحكم وعاصمة البلاد من طيبة (مركز عبادة «أمون») إلى «تل العمارنة»، بمحافظة المنيا الآن، وتقع حوالى ٢٨٠ كم جنوب القاهرة. وقد أنجز بناء عاصمته الجديدة التى أطلق عليها «آخت - آتون» - أى «أفق آتون» - خلال عامين فقط، وهو إنجاز معمارى بشرى بكل المقاييس. وقد استخدم عمال وبنائو «إخناتون» أحجاراً أقل حجماً من تلك التى اعتاد المصري القديم على استخدامها. وقد أطلق على تلك الأحجار «الثلاثات»، وكان لاستخدام هذا الابتكار المصرى الأثر الأكبر فى الانتهاء من بناء العاصمة فى تلك المدة الوجيزة. كان «إخناتون» فى حاجة إلى الانفصال عن طيبة التى كان بها كهنة «أمون» المهيمون على مجريات الأمور. ويُرجع بعض علماء التأريخ سبب كره هؤلاء الكهنة والتابعين لديانة «أمون» لـ «إخناتون» إلى أنه هجر معابد الكرنك، وغُلقت أبوابها وقلت مواردها والقرايين والهبات المهداة إليها. ربما يكون هذا هو أحد الأسباب التى دعتهم إلى التخلّص من الملك «إخناتون» فى النهاية، ولكن لا نستطيع الجزم بأنه قد مات مقتولاً إلا عندما يتم التعرف أو الكشف عن جثمانه. وأقرب تلك الفرص للتعرف على مومياء «إخناتون» هى دراسة بقايا الهيكل العظمى التى تم اكتشافها داخل مقبرة رقم ٥٥ بوادى الملوك فى أوائل القرن العشرين، وذلك لوجود أسماء «إخناتون» الملكية داخل المقبرة، ولكن المشكلة هى أن هناك أسماء ملكية أخرى داخل المقبرة مثل «أمونحوتب الثالث» والملكة «تى» و«ست» - «أمون»، والملك «توت - عنخ - آمون» والاحتمالات كثيرة، والماهية الأصلية لصاحب تلك المومياء ما زالت مطروحة على طاولة المناقشات والمجادلات.

ومنذ العام السادس إلى العام السابع عشر من حكم «إخناتون»، كانت الديانة الآتونية هى المترتبة على عرش المعابد فى عاصمته الجديدة «آخت - آتون»، فانتشرت المعابد والمقابر التى تحتوى على الأناشيد والترانيل التى تمجد «آتون» وتبجله وتصبغه بصبغة متفردة، فبعد أن كانت المتون تقول: «الحمد لآمون ... أنت يا آمون إنك رب الصمت الذى يأتى عند استغاثة الفقير، وعندما أستغيث بك فى كربتى، ففى الحال تأتى وتنجينى ... يا آمون أنت يا مخرج القطعان فى الصباح ومرشد المتألم إلى المرعى ... يا آمون - رع إنى أحبك، وقد ملأت قلبى بك».





تمثال إخناتون المثير للجدل - المتحف المصري - القاهرة

أصبحت التراتيل لـ «آتون» تقول: «ما أكثر تعدد أعمالك ... ما أعظم أعمالك .. كلها بحكمة صُنعت .. أنت صنعت النيل في العالم السفلى، وأنت تأتي به كما تشاء لتحفظ أهل مصر أحياء؛ لأنك خلقتهم لنفسك وأنت سيدهم جميعًا ..»، .. «أنت تشرق بجمالك يا «آتون» الحى ... يارب الأبدية .. إنك ساطع وقوى جميل، وحبك عظيم وجميل»، تعددت الآراء حول فكرة «وحدانية آتون» وتوحيد «إخناتون»، وما زال هناك خلاف بين العلماء المؤرخين، هل بالفعل وحد «إخناتون» الأرباب المصرية كلها واختزلها في رب واحد هو «آتون»؟ هل كانت هناك ثورة «إخناتون» ذات مغزى دينى فقط، أم كان لـ «إخناتون» مآرب أخرى؟

هل كان إخناتون موحدًا؟

لا نستطيع أن نجزم بنوايا «إخناتون» ونوازعه الداخلية عندما قام بتلك الحركة الانقلابية في العقيدة الدينية والفكر السياسى والفنى أيضًا، ولكن توجد كثير من الدلائل والقرائن التى تثبت - بما لا يدع مجالاً للشك - أنه آمن بأرباب أخرى وذكرها فى نصوصه الدينية مبدلاً إياها ومقدساً لها. ففى إحدى النصوص الآتونية ذكرت هذه الجملة التى تشرح الموقف المختلط «يامن خلقت العالم كما يهوى قلبك حين كنت وحيداً»، وكلمة «وحيداً» هنا بمعناها الهيروغليفى القديم بمعنى ليس له رفيقة، ثم هناك نص آخر مدون فى مقبرة المدعو «آى» فى تل العمارنة، يثبت أن «إخناتون» كان يكرس شعوره الدينى لأرباب أخرى غير «آتون»، وبالتالي لم يكن «آتون» هو الرب الوحيد الأوحد عند «إخناتون»، يقول النص: «التعبد لـ «رع - حور - آختى» ... التعبد لـ «آتون» الحى العظيم (يقصد هنا الملك، إذ إن «إخناتون» الملك كان يصبغ نفسه بصبغة ربوبية) .. ملك الوجهين القبلى والبحرى الذى يحيا فى الحقيقة (العائش فى الحقيقة، هى من الصفات المفضلة التى خلعتها «إخناتون» على نفسه) .. والعادلة، رب القطرين «جميلة هى صيرورات رع - إنه الوحيد الذى يُنسب إلى رع «ابن رع». إذن، كان هناك «رع» الرب الشمسى القديم، وهناك «حور» وهو حورس الصقر القوى مما يدل على عدم وجود «آتون» وحده فى النصوص الدينية. ولو اعتقد البعض أنه من الممكن أن تكون تلك النصوص قد كتبت قبل انتقاله إلى عاصمته الجديدة وتغييره لاسمه، فهذا اعتقاد آخر خاطئ؛ لأنه لو نظرنا لمكان المقبرة التى دُون فيها هذا النص المهم، فسوف نجد أنها للمدعو «آى» وهو من الشخصيات التى لعبت دوراً كبيراً فى الحياة السياسية والاجتماعية بتل العمارنة بعد الانتقال من طيبة. بل إن المقبرة نفسها موجودة إلى الآن فى حالة طيبة بتل العمارنة





تمثال للجزء العلوى للملك إخناتون - المتحف
المصرى - القاهرة



تمثال صغير لإخناتون وهو يرتدى تاج الخبز
الأزرق
المتحف المصرى - القاهرة

بالمنيا، وفي جبانة العاصمة الآتونية توجد مقبرة لـ «ميرى رع» الكاتب الملكى، ونلاحظ هنا اسم «رع» الذى لم يأمر الملك «إخناتون» بتغييره مما يؤكد عدم وجود مشكلة لـ «إخناتون» مع ديانة «رع» ويخلط «إخناتون» علينا الأمر عندما يذكر فى متون «آتون» تلك العبارة: «ما أكثر أعمالك. إنك تتوارى أحياناً عن الأنظار، أيها الرب الأوحد، فلا وجود بجوارك لآخر سواك». كل هذه النصوص بجانب مناظر الملك الذى يظهر كأهم وأكبر الشخصيات وأكثره تأثيراً، تعطى لنا ثلاثة احتمالات وهى:

١- إنه لم يكن موحداً أى لم يعبد رباً واحداً، بل كان هناك رب مفضل رئيسى بالنسبة إليه، وقد أعطاه الصفات المقدسة، ولكنه لم يبتكرها لأنها كانت موجودة ومدونة من قبله وقبل عصره.

٢- أنه إله نفسه، حيث كان حجمه فى كل المناظر المنحوتة الأكبر والأكثر أهمية. وقد ظهر هذا جلياً عندما ذكر فى النصوص أنه ابن الرب الذى وُلد من صلبه، وفى نص آخر يؤكد أنه شكل من أشكال الرب ولكن على الأرض.

٣- كانت هناك تعددية فى الأرباب، ولم يكن «إخناتون» ليقدر أن يمحي ذكرى كل تلك الأرباب، ولكنه كان دائم الاختلاف مع كهنة «آمون»، ومن المحتمل أن هذه الثورة الدينية كان لها أيضاً جانب سياسى.

على أية حال، لم يكن «إخناتون» بالملك الحالم الرومانسى، غير العائش على أرض الواقع. فقد ظهر فى أكثر من منظر منحوت وهو يقود عجلته الحربية بخبرة وتمكن، وقد تم اكتشاف تماثيل ومناظر ملونة وغير ملونة له وهو يرتدى التاج الأزرق، والذى كان يسمى تاج «الخبرش»، وهو الخاص بالحروب والأعمال العسكرية.

على الجانب الآخر، كان متزوجاً من الجميلة «نفرتيتى» والتى أنجبت له ست بنات، وقد لعبت الملكة المصرية «نفرتيتى» - والذى يعنى اسمها «التي من أجلها جاء الجمال، أو الجمال قد جاء» والنطق الهيروغليفى الصحيح هو «نفرت - إيتى» - دوراً أساسياً مهماً فى تل العمارنة. ولقد خلع عليها زوجها المحب «إخناتون» لقباً مهماً ألا وهو «الورثة». ويعتقد بعض المؤرخين أنها قد حكمت وحدها بعد وفاة زوجها فى العام السابع عشر من حكمه. ويعتمد هؤلاء المؤرخون فى هذه النظرية المنطقية على منظر للملكة وهو منحوت على قطعة من الحجر، وتظهر وهى تضرب أحد الأسرى بالمقمعة، وهو فعل لم يكن يقدم عليه إلا الملوك الذكور فقط أو الحكام الذين يعتلون عرش مصر فى العادة. أيضاً تم اكتشاف تماثيل لها وحدها وبدون زوجها وقد كبرت فى السن، وهو

ما يثبت أنها عاشت ولمدة غير قصيرة بعد وفاة زوجها؛ لأنه كان من المعروف أن المناظر الملكية في عصر «إخناتون» كانت تحتوى على كل أفراد العائلة. فداثيًا وأبدًا ما نجد الأب والأم والأطفال وهم يلهون ويلعبون مع بعضهم البعض في جلسات عائلية دافئة، وهى مناظر لم تكرر كثيرًا في عصور ما قبل أو بعد «إخناتون». وقد ظهر «إخناتون» في تماثيله ومناظره المنحوتة بشكل مختلف عن الملوك السابقين، فالعين تأخذ شكل اللوزة، والرأس بيضاوية الشكل، والشفتان غليظتان، والصدر ضيق، والبطن ممتدة على شكل «كرش» ظاهر، والحوض عريض، والفخذان ممتلئتان. وفي المناظر المنحوتة ظهرت أصابعه رفيعة على شكل أرجل العنكبوت، وهو ما جعل بعض الأثريين والأطباء يجزمون بأنه كان يعانى من مرض خلقي أعطاه ذلك الشكل غير المعتاد. الأعراض تشبه إلى حد كبير مرضًا يطلق عليه Frölich's syndrome.



تفاصيل وجه إخناتون - متحف الأقصر

ويعتقد البعض الآخر أن كل هذه الصفات والقسمات الغير تقليدية ما هي إلا طريقة جديدة في الفن الملكي أبتكرت لتواكب الثورة الدينية الجديدة القوية، وتتلخص الأفكار والنظريات المختلفة التي ناقشت وما زالت تناقش شكل «إخناتون» الجسماني إلى نظريتين:

أولاهما: كان هذا بالفعل هو الشكل الحقيقي للملك؛ ولهذا السبب تم إظهار كل الشخصيات الأخرى في المناظر من كهنة ونبلاء وعمال بنفس الطريقة والشكل، حتى لا يظهر الملك وكأنه مختلف.

ثانيتهما: كان هذا هو نوع جديد من الفن الملكي الذي أبتكر في تل العمارنة، وهي ثورة فنية كما كانت ثورة «إخناتون» دينية وسياسية. والدليل أنها لم تكن تحاكي حقيقة شكل الملك هو أنه ليس من المعقول أو المنطقي أن كل شعب مصر تحول على مدار ١٧ عامًا وفي يوم وليلة لهذا الشكل ذي الرأس البيضاوية والعيون اللوزية. ولن نستطيع أن نجزم بالحقيقة إلا عند التعرف على المومياء الخاصة بالملك .



نفرتيتي التي جاء الجمال من أجلها - المتحف
المصرى - القاهرة



إخناتون يداعب إحدى بناته - المتحف المصرى -
القاهرة

الملكة «نفرتيتي»

هى زوجة الملك «إخناتون» الأولى والرئيسية، وأم بناته الست. اسمها الأصلى ينطق «نفر - إيتى، أى: الجميلة مقبلة» أو «التى من أجلها جاء الجمال». ثم أطلق عليها اسم «نفر - نفرو - آتون» بمعنى «جميلة هى شمائل الرب «آتون»، وكان هذا فى العام السادس من حكم زوجها. وقد أنجبت ابنتها الأولى «مريت - آتون» فى السنة الأولى من حكم «إخناتون»، ثم الثانية واسمها «ميكيت - آتون» فى عام ١٣٤٩ ق.م وقد توفيت مبكرًا فى العام الثانى عشر من حكم الملك، ثم ولدت الأميرة الثالثة «عنخ - إسن - با - آتون»، وهى التى سوف تتزوج الملك الشاب «توت - عنخ - آمون» فيما بعد، وتصبح ملكة مصر لمدة وجيزة. وتاريخها مشير للجدل، حيث أكد «سليم حسن» أن «إخناتون» تزوجها وهى ابنته، وفى العام السادس للحكم جاءت إلى الحياة البنت الرابعة لـ «نفرتيتي» و«إخناتون» وكان اسمها «نفر - نفرو - آتون - تا شيريت»، ثم البنت الخامسة «نفر - نفرو - رع» فى العام التاسع للحكم الآتونى، وأخيرًا وفى العام الحادى عشر وُلدت «ستين - رع»، وكان هذا فى عام ١٣٣٩ ق.م.



إحدى بنات إخناتون ونفرتيتي وهى تتناول الطعام

ومعنى اسم هذه الأخيرة: «من اختيار «رع»، وهو ما يؤكد مرة أخرى أن «آتون» لم يكن الرب الأوحد المعبود في تل العمارنة، والحقيقة، أنه لم يُعبر ملك مصرى عن حبه واعتزازه بزوجته وبناته كما عبر «إخناتون»، فقد نعتَ زوجته «نفرتيتى» بأحلى الأوصاف مثل «حلاوة الحب» و«ذات المفاتن الجميلة»، و«سيدة الأرضين»، و«المحجوبة منه»، و«سيدة مصر العليا والسفلى»، و«مرهفة الكلم في كل الأوقات»، و«المتلكة للإبهار» و«المفضلة». ووصفها في إحدى اللوحات الحجرية الموجودة على حدود تل العمارنة قائلا: «مليحة المحيا، بهيجة بتاجها ذى الريشتين، تلك التى إذا ما أصغى إليها الإنسان طُرب، سيدة الرشاقة، ذات الحب العظيم، تلك التى يسر «رب الأرضين صُنْعها». وقد ظهرت معه في لقطات نادرة وهى تقبله وهما يقفان معتليان عجلبتهما الحربية.

رأس الملكة نفرتيتى الحجرى

رغم عدم اكتشاف مومياء الملكة «نفرتيتى» حتى الآن، رغم المحاولات المضنية من الأثريين، إلا أن النحات العبقري «تحتمس» ترك لنا عملاً فنياً هو الأشهر من بين آلاف التماثيل التى أفرزتها الحضارة المصرية القديمة. نحت رأس «نفرتيتى» من الحجر الجيرى، وقد اكتشفها البعثة الألمانية بقيادة «لودويج بروخاردت» في يوم ٦ ديسمبر عام ١٩١٢م بتل العمارنة، وسافرت تلك القطعة الفنية الرائعة إلى ألمانيا في عام ١٩١٣م، وتنقلت بين العديد من الأماكن والمتاحف لظروف مختلفة حتى استقرت عام ١٩٦٧م في المتحف المصرى بمدينة «شارلو تنبرج - Charlottenburg»، ثم أخيراً في غرفتها الزجاجية الجديدة. والتمثال يضم الجزء العلوى من الصدر والرقبة والوجه، ثم التاج الكبير فى أعلى الرأس. وهو نحت لوجه الملكة، يبين لون بشرتها القمحي الذى يميل للبنى الفاتح اللون، المصرى الأصيل. الرقبة منحوتة بإتقان منقطع النظير، فهى مائلة بعض الشيء للأمام، وذلك يساعد على عملية الاتزان للقطعة، تظهر الرقبة منحوتة بطريقة محاكية للطبيعة، فهى رفيعة طويلة. العظمتان الأماميتان بارزتان بشكل إنسيابى بديع، يظهر ثنايا وحنايا الرقبة، وخصوصاً عند التقاء الجزء الأسفل للرقبة مع أعلى الصدر. كل هذه القسمات المصرية هى أكبر دليل على أصل تلك الملكة المصرى الخالص، ويعتبر هذا ردًا على بزوغ نجم نظرية ضعيفة تقول بأن «نفرتيتى» كانت من أصل آسيوى أجنبى، ولكن سرعان ما أفل نجم تلك النظرية التى لا تعتمد على أسس أو إثباتات قوية، أو صحيحة. وتبدو الملكة وكأنها قد تجاوزت الثلاثين عامًا من العمر بقليل، العينان بأجفانهن منحوتتان وملونتان بالأبيض والأسود، جذابتان رغم غياب تفاصيل إنسان العين (الحدقة) من العين اليسرى، والتى لم تكن - على ما يبدو - موجودة فى الأصل،



ومن الممكن أن يكون السبب هنا عدم اكتمال التمثال، أو كونه منحوتًا يستعمل كنموذج، وليس للاستعمال الملكي؛ ولذلك وجد النحات «تحتمس» أن من اللياقة أن لا يكتمل التمثال، وإلا ما هو الفرق بينه وبين القطعة الفنية المكتملة، والتي سوف تضعها الملكة في قصرها أو معبدها، ولكن كل هذه الشروح ما هي إلا نظريات لا ترقى إلى مستوى الحقيقة حتى الآن. وتتجلى عبقرية النحات هنا في العين اليمنى، حيث نجد أن الجفن الأعلى يلامس جزءًا كبيرًا علويًا من إنسان العين (الحدقة) المصنوع من الكريستال الشفاف الملون، هذا التلامس أعطى الشعور بأن الملكة تنظر قليلًا إلى أسفل في حياء ساحر، ولم يجد النحات أى حرج في إظهار بعض التجاعيد الخفيفة جدًا تحت العين محاكيًا بذلك العمر الحقيقي للملكة وقت نحت الرأس لها، الأنف يأتي في منتصف الوجه تمامًا مؤكدًا لتماثل النحت وتوازنه، وقد أخذ شكلًا طبيعيًا لأقصى درجة، مثله مثل الشفاه الملونة باللون الأحمر غير المبالغ فيه، ثم تنتهي الرأس بهذا الذقن الدال على أنوثة رقيقة. والجلد مشدود وغير مترهل، ناعم براق، صافٍ لامع، يجعلك تقف مشدوفاً بانبهار واحترام لهذه السيدة الجذابة. وهذا الشعور الخاص جدًا لا يتأبى إلا أمام هذه الرأس وتمثال «تحتمس الثالث» بمتحف الأقصر، رغم الإبداعات الأخرى التي تجذبني، ولكن ليس بهذا القدر. ومن قبل ذلك يجب أن نقدم الاحترامات والتقدير إلى النحات «تحتمس» الذي أبدع هذا الفن. أما عن التاج الأزرق الكبير، فهو موضوع قائم بذاته تفرد له الصفحات والفصول. فهذا التاج هو حالة فريدة من نوعها في التاريخ المصري، لم ترتده ملكة أو أميرة مصرية من قبل «نفرتيتي» أو بعدها، ومن المحتمل أن تكون «نفرتيتي» هي التي ابتكرته. يتوسط التاج شريط ملون ذو أشكال مستطيلة ملونة بالألوان الحمراء والخضراء والصفراء، يخترقه خط يمتد من أعلى الجبهة إلى أعلى نقطة في التاج. هذا الخط المستقيم كان في الأصل مكان ثعبان الكوبرا المنحوت مع التاج، وهو لغرض حماية الملكة كما اعتقد المصريون القدماء، ولكن وللأسف دُمر هذا الثعبان وفُقد، ولم يتم العثور عليه حتى الآن. ومن الممكن القول إن هذه الرأس هي التي جعلت من متحف برلين متحفًا مشهورًا وليس العكس، ولكن هل سوف يأتي اليوم الذي سوف نرى الملكة فيه وهي تلامس الأرض المصرية مرة أخرى؟ لسان حال «نفرتيتي» يقول: هل سوف أمتع نظري مرة أخرى بجمال النيل والوادي؟! هل سوف أحتضن الأرض الأم، وأتمتع بدفئتها مرة أخرى؟ كلنا نتمنى هذا يا جميلة الدنيا.

وقد توقف ذكر الملكة نفرتيتي عند العام الثالث عشر من حكم «إخناتون»، وذلك من أجل أن تتمكن من حكم البلاد بألقاب وأسماء جديدة بعد وفاة زوجها إخناتون. ولكن لا توجد مومياء



لـ «نفرتيتي» حتى الآن. هناك رأس حجرى لها، يبين أنه كان لـ «نفرتيتي» ثقبان فى الأذن وليس ثقب واحد مخصصان للأقراط، ومن هنا، من الممكن أن يكون هذا باب جديد يفتح للكشف عن مومياء لأنثى بها نفس المواصفات، وقد تم الكشف عن الكثير من الآثار لـ «إخناتون» منذ بدايته عندما كان اسمه «أمونحوتب الرابع» منها آثار فى أرمنت، والكوم الأحمر، والأقصر، والكرنك، وكوم مدينة غراب، وإهناسيا المدينة، وهليوبوليس، ومنف، وقوص، وجبل محاجر السلسلة، بل وفى أقصى الجنوب عند صولب وسيبى بجانب الشلال الثالث. ولكن ظلت اللوحات الحدودية التى نحتها وشيدها لتحديد حدود مدينة «آخت - آتون»، عاصمته، هى الأهم، حيث امتلأت بالنصوص التى يُقسم فيها أنه لن يتعدى تلك الحدود احتراماً للأراضى الأخرى التى هى تقع تحت إمرة كهنة الأرباب الأخرى. وفى هذا الموضوع جدل شديد، حيث إنه تم الكشف عن لوحة من هذه اللوحات فى تونا الجبل وهو ما يدعو للاستغراب، حيث إن هذه المنطقة كانت تقع فى الحيز الدينى والطقسى للرب «جحوتى» أو «تحت» رب الحكمة والكلم والقمر. فكيف تأتى لـ «إخناتون» أن يتعدى حدوده، ويفرض الرب «آتون» على حملة لواء الرب «تحت»؟! ثم يتوفى «إخناتون» فجأة وبدون أى دليل موثق على الكيفية، كما هو الحال فى حالة «نفرتيتي». توفى صاحب المحاولة القصيرة العمر لتغيير التاريخ الدينى - والسياسى - والفنى لمصر القديمة. توفى وترك علماء الآثار حتى يومنا هذا يتجادلون ويتناقشون، وهم ما بين مؤيد لفكره ومحاولته التى اتسمت بالتسامح والرومانسية من وجهة نظر البعض وبين معترض عليه واصفاً إياه بالنشوز عن المؤلف لأسباب شخصية، حيث يؤمن البعض أنه فعل كل هذا من أجل نفسه فقط، ورموه بجنون العظمة وتأليه النفس. الحقيقة تقع فى المقبرة الملكية بالوادى الملكى بتل العمارنة، وأيضاً فى المقبرة رقم ٥٥ بوادى الملوك بالأقصر. الحقيقة سوف تظهر من دراسة رسائل العمارنة التى يبلغ عددها ٣٨٢، والتى تم اكتشافها فى عام ١٨٨٧ م. الحقيقة تقع فى دهاليز غموض التاريخ المصرى القديم.

الملك سمنخ - كارع

تربعت هذه الشخصية على أعلى قائمة الخلط التاريخى. فمن المؤرخين من يقترح أن «سمنخ - كارع» كان ابناً من أبناء «إخناتون»؛ ولذلك سبق «توت - عنخ - آمون» فى أحقيته لحكم البلاد. وعدد غير قليل يعتقد أن «سمنخ - كارع» ما هو إلا الملكة «نفرتيتي» بعد إضافة تلك التسمية إلى ألقابها حتى يتشنى لها حكم البلاد بعد وفاة زوجها «إخناتون»، ومن الأثريين من يعتقد أن «سمنخ



- كا-رع» كان قد تزوج من «مريت-آتون» ابنة «إخناتون» و«نفرтитي» وأنجبا «ميريت-آتون-تا-شيريت»، والبعض الآخر يعتقد أن المقبرة رقم ٥٥ بوادي الملوك كانت له، وبقايا المومياء التي وجدت داخلها هي مومياء «إخناتون»، ولكن كل هذه الاقتراحات لم يتم التأكد منها حتى الآن، ولذلك تبقى هذه الشخصية الغامضة تداعب خيال العلماء وتدعوهم دائماً إلى الاجتهاد للوصول إلى حقيقتها.



وجه قناع توت عنخ آمون الذهبي - المتحف المصري

الملك توت - عنخ - آمون

وُلد هذا الملك المشهور في تل العمارنة، ومن المحتمل أن تكون أمه هي الزوجة الجميلة «كيّا»، والتي يكتشف أصلها الغموض، وقد كان اسمه في البداية «توت-عنخ-آتون» ومعناه «الصورة الحية لآتون»، ولكن سرعان ما تغير هذا الاسم بعد وفاة «إخناتون» والحكم الآتوني بتل العمارنة إلى «توت - عنخ - آمون» مما يؤكد نهاية الديانة الآتونية نهاية مؤكدة وعودة ديانة

وكهنة «أمون» إلى المشهد الدينى والسياسى، وقد اعتلى «توت - عنخ - آمون» العرش عام ١٣٣٦ ق.م وهو فى حوالى الثامنة من عمره، ولكنه حكم لمدة تسع سنوات فقط، وقد تزوج مبكرًا من الأميرة «توت - عنخ - إسبن - با - أتون» بنت «نفرتيتى» و«إخناتون»، التى تغير اسمها خلال حكم زوجها إلى «عنخ - إسبن - آمون»، وليس من المعروف حتى الآن إذا ما كانت هذه التغيرات الاسمىة واللقبية والدينية كانت نتيجة قرارات الملك وزوجته، أم كانت نتيجة لتحكم كهنة «أمون» فى مقاليد الأمور بعد استعادتها من كهنة «أتون» مستغلين فى ذلك صغر سن الملك والملكة؟



قناع توت الذهبى المبهـر - المتحف المصرى - القاهرة

لم يكن الملك الشاب «توت - عنخ - آمون» من الملوك المهمين على خريطة مصر القديمة حتى تم اكتشاف «هاورد كارتر» الإنجليزى لمقبرته ذات الأربع حجرات فى عام ١٩٢٢م بوادى الملوك بالبر الغربى بمدينة الأقصر. وقد وُجدت آلاف القطع الفنية، والأثاث الجنائزى، والعجلات

الحربية والتواييت، والآلات الموسيقية، والأسلحة داخل مقبرته في حالة ممتازة، ورغم أنها لم تكن المقبرة الوحيدة التي اكتشفت بكل محتوياتها، فهناك مقبرة «تويا» و«يوياء»، والد ووالدة الملكة «تى»، إلا أن مقبرة «توت - عنخ - آمون» طغت بشهرتها وبقطعها الفنية الفريدة مثل التواييت الذهبية والقناع الذهبى الذى لا مثيل له فى أية حضارة أخرى، وهو مصنوع من الذهب واللازورد والكوارتز والأوبسيدون (حجر شبه كريم) والفيروز والزجاج الملون.

ويصل ارتفاع القناع الذهبى والذى كان يغطى رأس ووجه مومياء الملك داخل تواييته الأربعة إلى ٥٤ سم. ومن القطع الفنية المبهرة أيضًا كرسى العرش الذى يظهر الملك وهو جالس مع زوجته الواقفة بجانبه فى جلسة شاعرية لا تنقصها الرقة والحب. و الملاحظ فى هذا المنظر المطروق والمصنوع من الذهب والفضة والكورنيليان الأحمر (حجر شبه كريم)، أن قرص الشمس «آتون» بأشعته المنبثقة تجاه الملكة والملك يعلى المنظر الموجود على ظهر الكرسى. وهذا يعنى أنه كان قد صُنع للملك فى وقت «إخناتون» ولما تُوفى «توت - عنخ - آمون» وضع هذا الكرسى فى مقبرته بدون حرج من تغيير اسم الملك وديانته من الديانة الآتونية إلى الديانة الآمونية. وفى آخر المسندين يوجد رمزان للحماية على شكل ثعبانين للكوبرا، ولكن إذا نظرت مرة أخرى سوف تكتشف أن رأس ثعبان الكوبرا هى نفسها رأس لطائر أبى منجل (أيبس) وهو الطائر المقدس للرب «جحوت» رب القمر والكلم والحكمة والشفاء، ولكن هذا يحدث فقط إذا نظرت إلى الرأس موجهًا بصرك من جهة اليمين متوجهًا إلى الناحية اليسرى، وهذه الخيلة الفنية الشديدة التقنية لم تُكرر.



منظر للجزء الخلفى من غطاء الرأس
«نيمس» للقناع الذهبى
لتوت عنخ آمون

والمومياء في حالة مزرية تفتقد لعظام وأعضاء نتيجة المعاملة البدائية السيئة التي افتقرت إلى الخبرة، والتي عاملها بها المكتشفون والعاملون على فك لفائفها مثل «كارتر»، والطبيب «دوجلاس ديري» في عام ١٩٢٥ م.

و وفاة «توت - عنخ - آمون» المفاجئة جعلت الكثير من الأثريين يشكون في أنه قتل، وهذا مخالف لما يعتقد فرياق آخر من أنه وقع من فوق عجلته الحربية وجرحت ركبته وتلوث الجرح مما أدى إلى وفاته!

أول عملية تشريح للمومياء كانت على يد الدكتور «دوجلاس ديري» عام ١٩٢٥ م الذي كتب يقول: «على اللجنة اليسرى .. يوجد انخفاض دائري، حول محيط الجزء المنخفض في منطقة الأحرف يظهر الجلد غير ملون»، وهي أحرف بارزة كما قال «ديري»، ولكنه لم يستطع أن يفسر أو يشرح، أو حتى يؤكد سبب الوفاة. ومن المحتمل أن يكون «ديري» قد دمر الكثير من اللفائف وبعض أجزاء الجسم وهو يُشرح الجسد؛ لأن الإمكانات العلمية في ذلك الوقت وعلم التحنيط كانت محدودة لدى هذا العالم، والذي من المحتمل أيضًا أن يكون قد تعامل مع المومياء ذات الـ ٥ أقدام و ٦ بوصات ارتفاع بطريقة غير حكيمة وبتصرفات غير مسؤولة، ثم جاء البروفيسور «هاريسون» الذي أجرى بعض الاختبارات مستخدمًا أشعة x على المومياء عام ١٩٦٨ م، ولكن صورة للجمجمة أكدت وجود قطعة من العظم المكسور داخل الجمجمة، وقد جنح بعض الأثريين لتفسير وجود تلك العظمة المكسورة على أنها نتيجة ضربة تلقاها الملك أدت إلى كسر وتفتيت جزء من الجمجمة، الأمر الذي أودى بحياته. وبعد ٨٣ عامًا من اكتشاف المقبرة وفتحها ترك لنا الملك مقبرته على يد بعض المسئولين عن الآثار، وحين نقلوا المومياء إلى عربة بالقرب من المقبرة رقم ٦٢، مقبرة الملك بوادي الملوك (أو بيان الملوك كما كان يُطلق عليها في الماضي). هذه العربة كانت مجهزة بجهاز «سى - تى سكان CT- Scan» من صنع وإهداء الألمان، وأدخلوا المومياء فيه؛ ليأخذوا له الصور المتوالية المقطعية، والتي تظهر كل طبقة من طبقات المومياء بدقة متناهية. وبالتالي تصبح الصورة منقحة دقيقة لما كان عليه شكل «توت - عنخ - آمون» خارجيًا وداخليًا من كل زوايا جسده مستخدمين طريقة الأبعاد الثلاثية 3D. وبالفعل أخذ الجهاز الألماني ألف وسبعمئة صورة للجثمان. وكان المسئولون في سباق مع الزمن؛ لأنه ليس في مصلحة المومياء أن تتعرض للأجواء الخارجية لمدة طويلة؛ لأن



العوامل الطبيعية وغيرها من المؤثرات التي تتعرض لها وهي خارج التابوت سوف تؤثر عليها بالسلب. ومن العجيب أن الجهاز المتطور قد عزف عن العمل لمدة زمنية حتى استطاع العمال المصريون الأكفاء التعامل مع الموقف. وبعد دراسة المومياء وصور الأشعة قرر فريق العمل أن «توت - عنخ - آمون» لم يُقتل، ولكنه أصيب في عظمة إحدى رجليه مما أدى إلى تلوث الجرح وهذا ما أدى إلى وفاته. واقترحوا أنه من الممكن أن يكون قد وقع من فوق عجلته الحربية ليصاب بهذا الجرح القاتل! ورسم المتخصصون الذين اشتركوا في هذه الدراسة المثيرة صورة للملك الذهبي الشاب وكانت المفاجأة أنهم قالوا إن لونه كان قمحيًا ولون عينيه كان بنيًا فاتحًا يميل إلى اللون العسلي المائل للاصفرار. وهذا ما أثار العديد من المؤمنين بأن «توت - عنخ - آمون» كان يجرى في عروقه الدم النبوي، وهو ما يظهر من العديد من التماثيل السمراء العديدة للملك، وبرز الفك الأعلى الواضح في دراسة الجمجمة ... وقالت الدراسة أيضًا بأن الملك توفى وهو في التاسعة عشرة من عمره، وكان هذا الاستنتاج من جراء دراسة أثبتت وجود ضرر العقل. ومن المثير أن الدراسة لم تكشف عن أى تجويف في الأسنان. بيد أنه لم يكن مصابًا بأى تسوس أو مشاكل في اللثة، ولكن الخنك كان به شق أو صدع صغير. والعمود الفقري به التواء وتقوس، ويعتقد العلماء أن هذا كان نتيجة أخطاء في عملية التحنيط، وأما عن القفص الصدري والذي وُجد مشوها، تبين أن هناك عظمة من الصدر غير موجودة والجزء الأمامي من القفص بأضلاعه مقطوع ومفصول. ورغم كل هذه الدراسات المتقدمة إلا أن هناك رأيًا مخالفًا يقول بأن وقوع الملك من على عجلته الحربية، وعدم مساعدة الأطباء والمرضيين، والجنود والنبلاء وحملة الألوية، والجنود المصاحبين له في الحال نظرية غير مقبولة. وتوجد بعض الآراء التي تقترح أن الملك الذهبي قد قتل على يد الكاهن «آي» والذي لم يكن له حق شرعي في وراثة العرش، وقد حاول الزواج من أرملة الملك، ورفضت الملكة الحزينة هذه الزيجة باعثة برسائل إلى ملك الحيشيين (وهو ملك أعداء مصر مما يدل على رفضها للزواج من «آي» الكاهن الأعلى لعلمها بصلووعه في قتل زوجها) مترجية إياه أن يبعث إليها بابنه لكي تتزوجه وتجعله ملكًا على عرش مصر. وقد وصلتنا الرسالة الحزينة وهي تلخص حالة الرعب والحزن والغضب، بل والرفض التي كانت عليه الملكة الأرملة. تقول الرسالة: «مات زوجي، ليس لي ابن، وعلمت أن لديك كثيرًا من الأبناء الذكور، لو أعطيتني أحد أبنائك سأجعله زوجًا لي، لن آخذ أبدًا واحدًا من خدمي وأجعله زوجي ... أنا خائفة»، وقد أرخت هذه الرسالة بعام ١٣٢٧ ق.م، وكان مصدرها

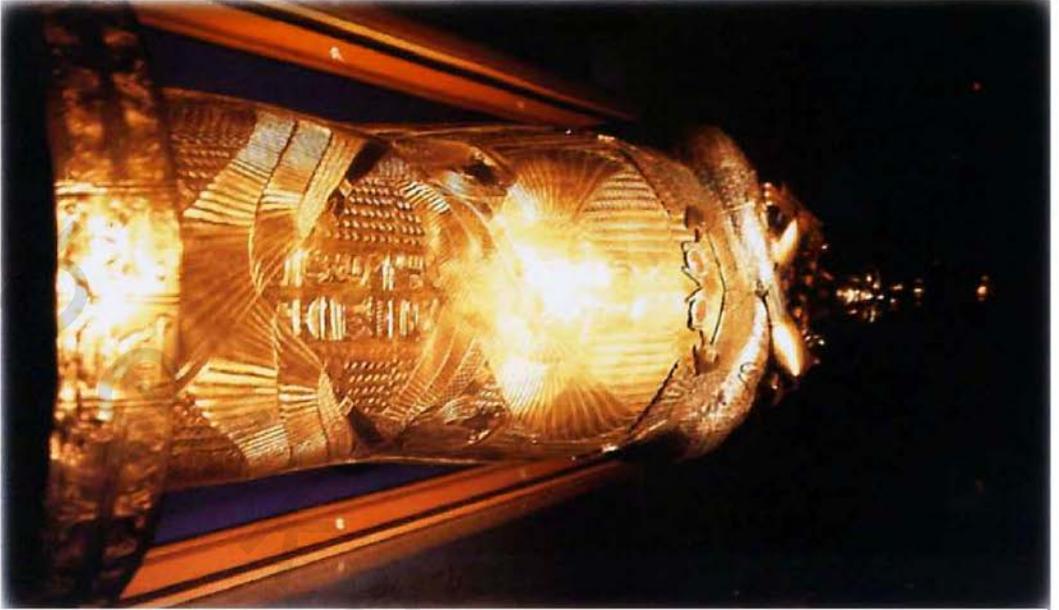


هو وثيقة حياة الملك «سبيلوليوما» ملك الحيثيين. ولما تلقى ملك الحيثيين الرسالة لم يطمئن لكلمات الملكة المكلومة. ولم يثق في طلبها ظناً منه أنها خدعة أو مؤامرة للقبض على ابنه في مصر، فأوكل لأحد رجال بلاطه بالبحث في الأمر قائلاً له: «توجه إلى مصر، وعُد إلى بالحقيقة». ومن المهم أن نذكر أن القصة الحيثية ذكرت اسم الملكة الحزينة على أنها «داها مانزو» ومعناها «زوجة الملك». ويعتقد فريق آخر من المؤرخين أنه من الممكن أن تكون هذه الرسالة قد بُعثت من «نفرتيتي» وليست من «توت - عنخ - إس - با - آمون». وبالفعل بعث ملك الحيثيين بابنه الذي تم اغتياله عند دخوله الحدود المصرية مما أدى إلى مشكلة سياسية كبيرة بين المملكتين.

وفي النهاية، نقول إن وجود قشرة متجلطة على وجنة مومياء «توت - عنخ - آمون» اليسرى، ووجود أكثر من تمثال يحاكي الواقع بوجود فتحة في الجانب الأيسر للوجه، بالاشتراك مع كل ما سبق وذكر هو أكبر دليل على أن «توت - عنخ - آمون» لم يموت موتاً طبيعياً أو عبر جرح في الركبة. الاحتمال الأكبر أنه تم اغتياله. وبالفعل اعتلى «آي» العرش لسنوات قليلة. وأفسح موت «آي» الطريق إلى آخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة.



أحد توابيت الملك توت



تابوت الملك توت عنخ آمون - المتحف المصرى



تفاصيل لتابوت الملك توت



تفاصيل لتابوت الملك توت



تمثال خشبي يحاكي الواقع الأليم
الذي آل إليه الملك الشاب -
المتحف المصري

التسمية الصحيحة لهذا الملك هي «حر - إم - حب»، ولكنه اشتهر وسط أجواء كتبة التاريخ باسم «حور محب». وهو بحق حالة فريدة في تاريخ الأسرات المصرية القديمة. فهو لم يكن له الحق الشرعى فى اعتلاء العرش بعد موت الملك «آى» (الذى حكم حوالى ٤ سنوات فقط) وذلك لغياب الدم الملكى عن عروقه، ولكن قصة نجاح «حور محب» هى خليط بين اجتهاده وطموحه العالى والظروف السياسية للبلاد معًا، وقد حكم حوالى ٢٨ عامًا، وقد تدرج فى المناصب حتى وصل إلى وظيفة مهمة ألا وهى الكاتب الملكى للشئون العسكرية، وبعد أن كسب ثقة البلاط الملكى نُصب كبير أمناء الملك، ثم أصبح القائد الأعلى للجيش المصرى، وهو بالطبع أعلى منصب وأهمها بعد الملك الحاكم. ونظرًا لتفوقه وقوة شخصيته اختير ليكون حاكمًا للبلاد بعد موت الملك «آى». وبدأ حكمه فى عام ١٣٢٣ ق.م. وهكذا أصبح «حور محب»، ابن الشعب، ابن العامة هو ملك مصر العليا والدنيا. وكما احتاجت مصر القديمة إلى الملك المغوار «تحتمس الثالث» ليستعيد سمعة مصر العسكرية القوية وسط الممالك المحيطة بها بعد فترة هدوء حكم الملكة «حتشبسوت»، كانت مصر محتاجة إلى شخص جرىء مثل «حور محب» لإعادة الأمور إلى نصابها ووقف تلك الاضطرابات السياسية والتغيرات التى سبقت عهده. فترة العمارنة كانت فترة سادت فيها شخصيات مثيرة للجدل اتخذت قرارات أكثر جدلاً وخطأً، فكان على «حور محب» أن يستعيد دفة الأمور ويوجهها إلى الاتجاه الذى رآه هو مناسبًا. فقام بتغيير بعض القوانين التى وضعت فى فترة العمارنة ووجدها غير مناسبة، أعاد هيكلة الجيش، وساعد بقراراته فى حل مركزية الإدارات الحكومية، وسن العديد من التشريعات المنظمة لعلاقة الناس بالعدالة والعقوبات لمن يخترق هذه القوانين، وينتهك حقوق الآخرين، وعالج أيضًا مشكلة الابتزاز والرشوة والاستيلاء على حقوق الغير. وقام بتشييد العديد من الأصرح فى معبد الكرنك، وكان هذا متزامنًا مع تدميره للمعابد الآتونية فى طيبة. معلنًا وفاة التجربة الآتونية، ولم يبق فى تل العمارنة الكثير من البنائات، وكانت الخراطيش الملكية لـ«إخناتون» مستهدفة من قبل كهنة «آمون»، فقد كان هذا العصر هو فرصتهم الذهبية للإجهاز على «آتون» ومعبده، وقد وصلت العملية الانتقامية إلى حد تفكيك معبد «آتون». وقد استمر هذا الاستهداف فى فترة الرعامسة المبكرة أيضًا. وقد قاد «حور محب» الملك والقائد العسكرى للبلاد الكثير من المعارك فى الجنوب وفى آسيا أيضًا؛ لاستعادة النظام هناك بعد فترة العمارنه التى ركزت



مجهوداتها في بناء عاصمة جديدة ونظام ديني جديد. وقد ظهرت إنجازات «حور محب» الحربية في المناظر التي نحتها له النحات المصرى القدير على جدران مقبرته بسقارة، حيث ظهر الملك وأمامه الأسرى من الجنسيات المختلفة. (ونلاحظ في المناظر أنه قد تم إضافة ثعبان الكوبرا الحامى في منتصف جبهة الملك، وهو ما يثبت أن هذه المناظر كانت قد نُحتت عندما كان «حور محب» القائد الأعلى واللواء الأقوى فى الجيش المصرى وقبل أن يصبح ملكًا على البلاد؛ لأن ثعبان الكوبرا الحامى هو من الرموز الملكية). ولقد نُحتت له مقبرة فخمة فى وادى الملوك بالأقصر تميزت مناظرها ونصوصها بالوضوح والعمق، وتم الكشف بداخلها على تابوت منحوت من الجرانيت الوردى الأسوانى، ولكن مومياء الملك المحنطة لم تكن به. وهى مخفية حتى الآن.

وبوفاة «حور محب» عام ١٢٩٥ ق.م أسدل الستار على ملك من أهم ملوك الأسرات، نجح فى صعود سلم المجد من موظف عادى إلى ملك متوج، رحلة ناجحة مليئة بالطموحات والإنجازات. وبنهاية فترة تميزت بالتقويم وإعادة الهيكلة وسن القوانين الملزمة أيضًا الأسرة الثامنة عشرة، أكثر الأسرات إثارة للجدل. كثرت فيها النظريات التاريخية، وكانت مكتظة بالشخصيات المتباينة منها القوى والضعيف، والمجدد والمهرطق، والمنتصر والمسلم، ومنها النساء المؤثرات بالإيجاب فى تاريخ مصر.

لم ولن تأتى أسرة بكل هذه المتناقضات مثل الأسرة الثامنة عشرة. هى بحق أسرة وفترة لا نظير لها.



الأسرة التاسعة عشرة (١٢٩٢ - ١٠٨٩ ق.م)

الملك رمسيس الأول

الاسم الأصلى له «رع - مس - سو» أى «رع هو الذى صنعه» وهو اسم لأحد عشر ملكًا حكموا مصر. وقد تم اختياره ليكون الوريث الشرعى للعرش عن طريق الملك «حور محب» الذى تشابهت حياته وإنجازاته معه إلا فى مدة الحكم، حيث حكم «رمسيس الأول» لمدة وجيزة

جدًا لم تتعد السنتين (١٢٩٥ - ١٢٩٤ ق.م)، وقد كانت بداية «رمسيس الأول» في سلك الجندية، حيث ارتقى إلى قائد عام للجيوش المصرية، وأثبت جدارته حتى وصل إلى حكم البلاد. ورغم قصر فترة حكمه إلا أن إنجازاته الإنشائية كانت على أعلى مستوى. وهو أول ملوك هذه الأسرة الذين تميزوا بالشخصية العسكرية؛ ولذلك كثرت حروبهم، وأيضًا تميزوا بالحنكة والخبرة في إدارة الأمور، فخطوا معاهدات السلام بشرطها الجازمة الحاسمة. ومقبرة الملك «رمسيس الأول» في وادى الملوك تتميز بألوانها الباهرة والتابوت الكبير رغم صغر حجم المقبرة نفسها. وقد أنجبت له زوجته «ساترا» ابناً اسمه «سيتي الأول» الذى سوف يصبح الملك القادم. وقد أشركه والده في حكم البلاد، فأصبح من أقوى وأشهر ملوك مصر قاطبة.

الملك سيتى الأول

حكم الملك «من - ماعت - رع سيتى الأول» لمدة ١٥ عامًا، وهو ابن ملك ووالد ملك «رمسيس الثانى». عاش لمدة خمسين عامًا، وتميز حكمه بالإنجازات الفنية والمعمارية والعسكرية. فقد أضاف العديد من النصوص الهيروغليفية المميزة في جهو الأعمدة بمعبد الكرنك، وأضاف مناظر له على الجدران شارحًا حروبه العديدة ضد الحيثيين والبدو وأهالى الجنوب، وقد عقد هدنة مع العدو الثقليدى لمصر ألا وهى مملكة الحيثيين. ولهذا الملك إنشاءات هى الأجل والأبدع فى تاريخ المعمار والفن. فنظرة واحدة إلى معبده بأبيدوس تؤكد لنا أن نحاته كانوا على مستوى راق من المهبة، فالمقاصير منحوتة بدقة، والمناظر الدينية ملونة بحرفية عالية لم يصل إليها أى فنان آخر. ونظرة أخرى لمقبرته بوادى الملوك بعمقها المميز ودهاليزها المزخرفة وجدرانها المملوءة بالمناظر الدينية التى توضح ولاء الملك للأرباب المقدسة، ثم أخيرًا سقف غرفة الدفن التى تعتبر الأشهر فى تاريخ الفن والفلك المصرى القديم. فعلى خلفية زرقاء زرقاء السماء رسم الفنان عددًا من النجوم والأجرام السماوية والأبراج الفلكية مثل نجمة الشعرى اليمانية والمجموعة النجمية المسماة بالعملاق أو الجبار، ويطلق عليها باللغة الأجنبية «أورين - Orion» وبرج الأسد وغيرها. ومن اسم الملك يظهر أن الرب «ست» قد عاد ليعتلى قائمة الأرباب الميجلين بعد فترة اختفاء لكهنته. وقد جمع «سيتى الأول» بينه وبين الرب الأسطورى المنافس «أوزوريس»، وهذا الجمع يعتبر إنجازًا لشعوره بالغيرة. وحالة الوثام الدينى هذه كانت الوازع وراء اتباع ابنه «رمسيس الثانى» لنفس النهج عندما جمع بين «ست» و«حورس» الغريمين فى منظر واحد على جدران المعبد

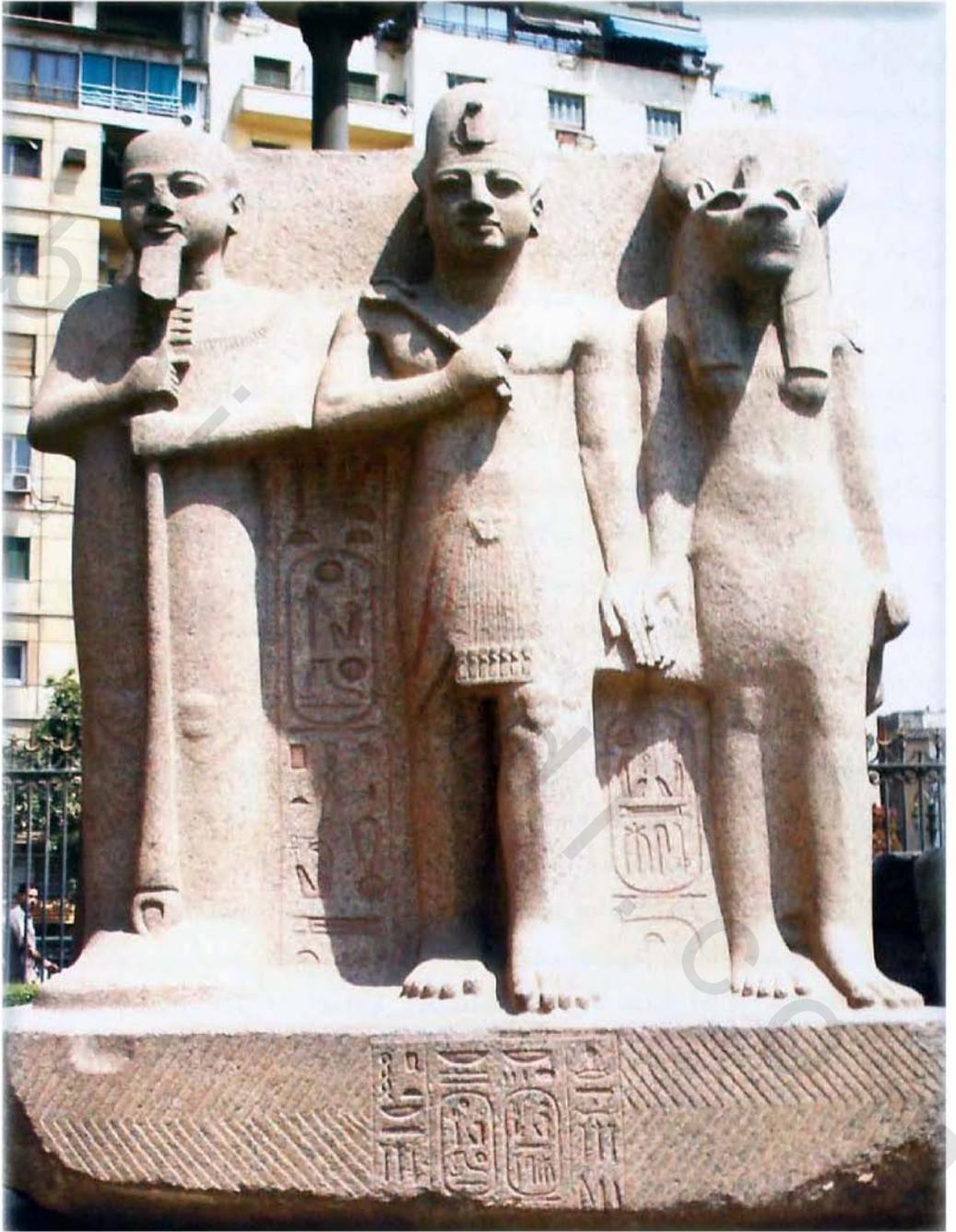
الثانى بأبى سُمبل. ورغم أن مقبرة «سيتى الأول» قد تم الكشف عنها فى عام ١٨١٧م على يد الإيطالى المغامر «بلزوني» إلا أن جثمان الملك كان مسجى فى خبيئة الدير البحرى.

الملك رمسيس الثانى

من بين أحد عشر ملكًا حملوا هذا الاسم كان حظ «رمسيس الثانى» هو الأوفر بين أوساط المؤرخين وكتبة التاريخ. وتقول إحدى خراطيشه الملكية: «أوسر ماعت» أى القوى فى الحق هو رع، و«ستبن رع» أى مختار من رع. وقد حكم من ١٢٧٩ إلى ١٢١٢ ق.م أى حوالى ٦٧ عامًا، وهو بهذا يُعتبر ثانى ملك حكم فى عهد الأسرات المصرية القديمة من حيث عدد سنين الحكم (الأول هو الملك بيبى الثانى، حيث اعتلى العرش وهو فى السادسة، وتوفى وهو يناهز المائة عام من العمر، أى حكم لمدة ٩٤ عامًا تقريبًا). ومنذ نعومة أظافره كان والده الملك «سيتى الأول» يجهزه ليكون ملكًا مغوارًا شجاعًا لا يخاف من الوغى، حيث خلع عليه لقب قائد جيش. وقد كان «رمسيس الثانى» بناءً نشيطًا، فقد أمر ببناء العديد من المعابد والمقاصير، والتى عاشت عبر صفحات الزمن حتى وصلت إلينا فى حالة جيدة جدًا من الحفظ. وخير دليل على هذا آثاره فى مدينة «تانىس» بالشرقية، والتى حكم منها كعاصمة للبلاد، وآثاره فى معبد الكرنك وخصوصًا فى بهو الأساطين الذى احتوى على ١٣٤ عمودًا كان قد شرع فى بنائها والده الملك «سيتى الأول»، أما عن معبد الرمسسيوم فقد ترك لنا فيه من المناظر الدينية والعسكرية الكثير، ولكن أكثر ما ميز هذا المعبد الضخم هو تمثال الملك فيه، والذى كان يزن قرابة الألف طن. وقد نُحت عليه لقب من ألقاب الملك ألا وهو «حكا - حكو» أى حاكم الحكام.

وأضاف صرحًا بفناء لمعبد الأقصر، وتوج مجهوداته فيه بأنه أضاف ستة تماثيل عملاقة أمام الصرح، ومسلتين من الجرانيت الوردى الأسوانى يكتنفان المدخل الرئيس للمعبد. المسلة الموجودة الآن مسلة رمسيس الثانى بميدان الكونكوردي تقف شاحخة على يسار الداخل إلى المعبد، أما تلك التى كانت على يمين الداخل فهى فى باريس الآن، تتوسط ميدان الكونكوردي. وقد بعث بها محمد على إلى فرنسا كهدية فى عام ١٨١٩م. وقد حرص على مشاهدتها فى الميدان الفرنسى عند تشييدها حوالى ٢٠٠ ألف من الباريسيين. وقد أكمل الملك «رمسيس الثانى» أعمال والده، وأضاف عليها فى منطقة «العراة المدفونة» بأبيدوس. ومن أهم ما ترك لنا هذا الملك من آثار أفادت المؤرخين هى قائمة الملوك بمعبد الخصاص بأبيدوس. هذا الأثر يعتبر من أهم الآثار التى ساعدت الأثريين على إلقاء الضوء على أساء الملوك وألقابهم (وهذا هو التقليد الذى اتبعه «رمسيس الثانى» محتذيًا حذو والده، حيث ترك





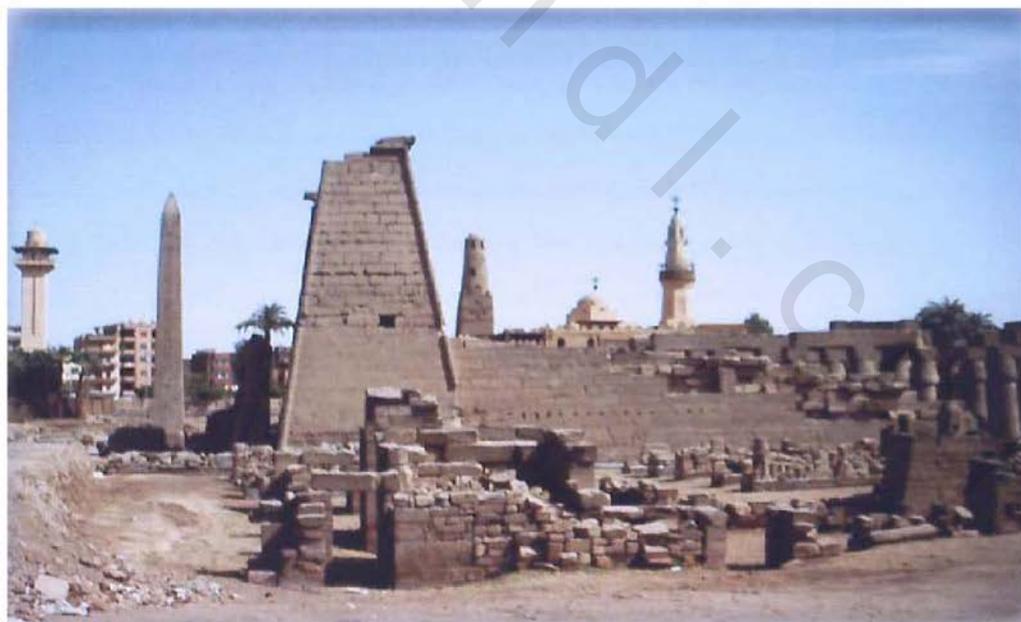
رمسيس الثانى يتوسط الأرباب الأسطورية - حديقة المتحف المصرى بالقاهرة

لنا «سيتي الأول» في معبده بأبيدوس قائمة مكونة من ٧٦ اسمًا ملوك مصر الذين اعتلوا عرشها من قبله). قائمة معبد أبيدوس لـ «رمسيس الثاني» هي عبارة عن حائط كان في الأصل مُشيداً في معبد «رمسيس الثاني» بأبيدوس، ولكنها الآن تعرض في المتحف البريطاني بلندن بعد أن استحوذ عليها الإنجليز في الماضي. وقد تم نقش أسماء عدد من الملوك على الحائط، بجانب ألقابهم الملكية. الحائط المنقور عليه الأسماء والألقاب المصرية القديمة يصل ارتفاعه إلى ٣٨، ١ مترًا، وهو من الحجر الجيري الأبيض الذي يميل الآن إلى الاصفرار. الأسماء الملكية المنحوتة داخل أشكال بيضاوية «خراطيش» ملونة بألوان حمراء وصفراء وسوداء، وتوجد في أعلى القائمة أسماء ملوك الأسرة الثامنة عشرة أيضًا. فمثلًا في الصف الثاني من أعلى نجد الخرطوش الخامس من اليمين هو الاسم الملكي «من-خبرو-رع» وهو الاسم الثاني للملك الشهير «تحتمس الرابع». ثم يليه خرطوش «نب-ماعت-رع» وهو الاسم الثاني للملك «أمونحوتب الثالث»، وهو صاحب معبد الأقصر الأصلي (والذي أضاف إليه رمسيس الثاني الكثير من الإنشاءات) وتمثالي ممنون، وقد أظهرت هذه القائمة المهمة في أسفلها أسماء الملك «رمسيس الثاني» بنوعيتها. اسمه عند ولادته، والاسم واللقب الذي خُلع عليه عند اعتلائه للعرش. ثم هناك معبده بالنوبة، والذي يسمى «وادي السبع» وذلك لوجود عدد من تماثيل أبي الهول على شكل جسد أسدي (أو سبع) ورأس آدمي، وهو رأس الملك «رمسيس الثاني». ويضاف إلى قائمة معابد «رمسيس الثاني» الطويلة معبد بيت الوالي بأسوان ومعابده بالدلتا والجيزة. وفي ميت رهينة بالجيزة تم الكشف عن تماثيل عملاقين للملك في عام ١٨٨٨ م. أحدهما ما زال مُلقى على ظهره داخل مبنى حديث يحميه من عوامل التعرية ويدخله آلاف الزوار يوميًا لمشاهدته، والآخر تم نقله في عام ١٩٥٤ م من ميت رهينة إلى ميدان باب الحديد، فأطلق على الميدان «ميدان رمسيس». وهو تمثال من صخر الجرانيت الوردي الذي تم قطعه من محاجر أسوان، ثم تم نحته ثم نقله حيث تبوأ مكانة في معبد الملك بميت رهينة. يتكون الجرانيت الخاص بالتمثال من معادن الفلسبار البوتاسي والميكا والكوارتز، أما عن صخر الجرانيت نفسه فيتصف بخشونة بلوراته. ويتميز التمثال - مثل كل تماثيل «رمسيس الثاني» - بالفخامة والضخامة والقوى العضلية. أما عن قسَمات الوجه فهي محددة ومنمقة، تُظهر ابتسامة ملكية خفيفة وعينين واسعتين. وتظهر جليًا الذقن المستعارة التي كان يرتديها ملوك مصر القديمة كرمز ملكي. ويرتدي الملك تاجي مصر العليا والسفلى. ويغطي رأسه بغطاء الرأس الملكي المسمى «نمس»، وهو تلك القطعة من القماش التي يتدلى منها قطعتان تغطي جزءاً من كتفي الملك وجانبي صدره. ويرتدي الملك تنورة الـ «شندجيت». ويتقدم التمثال بخطى وثيقة برجله اليسرى، وذلك لأنها كانت أول خطوة عسكرية للمحاربين في جيوش مصر القديمة، وقد اتبعت كل جيوش العالم هذه العادة العسكرية، حيث نرى في كل الاستعراضات العسكرية

والمارشات الحربية قائد الفرقة وهو يصيح «شمال - يمين»، ونلاحظ أن النحات المصرى القديم لم يترك أية فجوة أو ثقب أو فتحة في التمثال فجعله كتلة واحدة متماسكة، حتى الكفين ملامها بخاتميين يحملهما الملك. وبالتالي ساعد هذا على بقاء التمثال في حالة جيدة بعيداً عن تدمير العوامل الطبيعية والرطوبة التى من الممكن أن تجرد طريقها إلى داخل التمثال بنسبة أكبر إذا كان به عدد من الفتحات والتى تُعد بمثابة البوابات التى يدخل منها بعض عوامل الدمار للتمثال. ويصل ارتفاع التمثال إلى ١١,٣٦ متراً، ووزنه إلى ٨٣ طناً. وقد تم ترجمة النص الهيروغليفي المنحوت على التمثال، يقول النص: «حورس، الثور القوى، محب العدالة، ملك مصر العليا والسفلى، القوى بعد عدالة رع، والمختار منه، ابن الشمس». بدأت عملية النقل الأولى في عام ١٩٥٤م عندما قام «عبد اللطيف البغدادي» قائد الجناح وأحد أفراد الضباط الأحرار الذين قاموا بثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢م بقيادة عملية النقل بعد تقطيع التمثال إلى ٦ قطع ووضعها في وضع نائم على ناقلة دبابات والتى سارت في شوارع الجيزة مستخدمة كوبرى قصر النيل (وهو أول كوبرى من نوعه للمرور أنشئ على النيل من منبعه في أدغال إفريقيا إلى مصبه، وقد تم افتتاحه للمرور يوم ١٠ فبراير من عام ١٨٧٢م، ثم تقرر هدمه لإنشاء كوبرى آخر محله، وافتتحه الملك فؤاد في منتصف عام ١٩٣٣م، وهو الكوبرى الحالى الذى يصل بين برى نهر النيل). وقبل أن يحتل هذا التمثال العملاق مكانه في ميدان باب الحديد كان هناك تمثال يُعتبر علامة من علامات فن النحت المصرى المعاصر وأشهرها على الإطلاق ألا وهو تمثال «نهضة مصر»، والذى تم نقله إلى منطقته القابع بها الآن أمام حديقة الحيوان بالجيزة أمام كوبرى الجامعة الذى لم يكن قد شُيد بعد إبان أيام النقل. وكان الأستاذ «أحمد عثمان» - الأستاذ بكلية الفنون الجميلة في ذلك الوقت .. والذى أطلقت عليه الصحافة في تلك الأيام لقب «المجبراتى»، هو ذلك المصرى الفذ الذى جمع القطع المختلفة للتمثال وأقامه مرة أخرى بعد ترميمه وتقويته، بل إنه أعاد بناء بعض الأجزاء التى كانت غير موجودة في التمثال لغيابها عند اكتشافه، كجزء من الأرجل مثلاً. واستدعت هذه العملية الترميمية من المختصين أن يذهبوا إلى مدينة الأقصر لزيارة ومشاهدة ودراسة تماثيل «رمسيس الثانى» الواقفة بين الأعمدة الفرعونية في الفناء الأول لمعبد الأقصر خلف الصرح الكبير. وقاموا بأخذ مقاسات التماثيل حتى يساعدهم هذا في التعامل مع التمثال بطل قصتنا هنا.

وبعد ٥٢ عامًا من هذا الحدث المهم الذى مكن «رمسيس الثانى» من تبوء مكانه في وسط ميدان باب الحديد، قرر المسئولون أن يتم نقله من ميدان رمسيس إلى المكان الذى سوف يبنى فيه المتحف المصرى الكبير بميدان الرماية بالجيزة، ولكن هذه المرة تم نقله واقفاً في عربة صُنعت خصيصاً للملك المشهور حيث تم عمل كساحتين (عربة أمامية وأخرى خلفية يحملها عدد كبير

من الإطارات العريضة، المصنوعة من الكاوتشوك الشديد الاحتمال يتوسطها التمثال في الوضع (متصّبًا). وبدأت عملية النقل في تمام الواحدة صباحًا - بعد منتصف الليل - في يوم ٢٥ أغسطس ٢٠٠٦م وسط وداع جمهور غفير له. وبدأ التحرك بسرعة ٥ كيلومترات في الساعة. وقد اضطر المسئولون إلى فك جزء من كوبرى المشاة بميدان رمسيس؛ لكي لا يصطدم به التمثال الطويل القامة، ثم تم إعادة تركيب الجزء مرة أخرى. ووصل التمثال في تمام الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الجمعة الموافق ٢٥ أغسطس واستقبله المسئولون بفرحة غامرة. ورغم تأرجح المؤرخين بين مادح لـ«رمسيس الثاني» وواصف له بالأنانية وحب الذات، إلا أننا لا نستطيع أن نغفل إنجازاته وحياته المليئة بالطرائف والإثارة التي ارتبطت به حتى بعد مئات وآلاف السنين من وفاته. وتعتبر معركة «قادش» من أهم الإنجازات العسكرية له، وقد بدأت هذه المعركة الحامية الوطيس والطويلة الأمد في العام الخامس من حكم الملك، وكان في ذلك الوقت يقود الجيوش الحيثية ضد المصريين ملك قوى البأس يُدعى «مواتاليس». ورغم استمرار هذه المعركة حتى العام الواحد والعشرين من حكم «رمسيس الثاني» ووفاة الملك الحيثي وتربيع الملك «حاتوسيل الثالث» على عرش مملكة خيتا الحيثية، إلا أن هذا لم يثن «رمسيس الثاني» عن إصدار الأوامر لنحاتيه بعمل التماثيل وإقامة الأصرح والمسلات، بل ونحت معبدى أبى سُمبل في النوبة الجميلة.



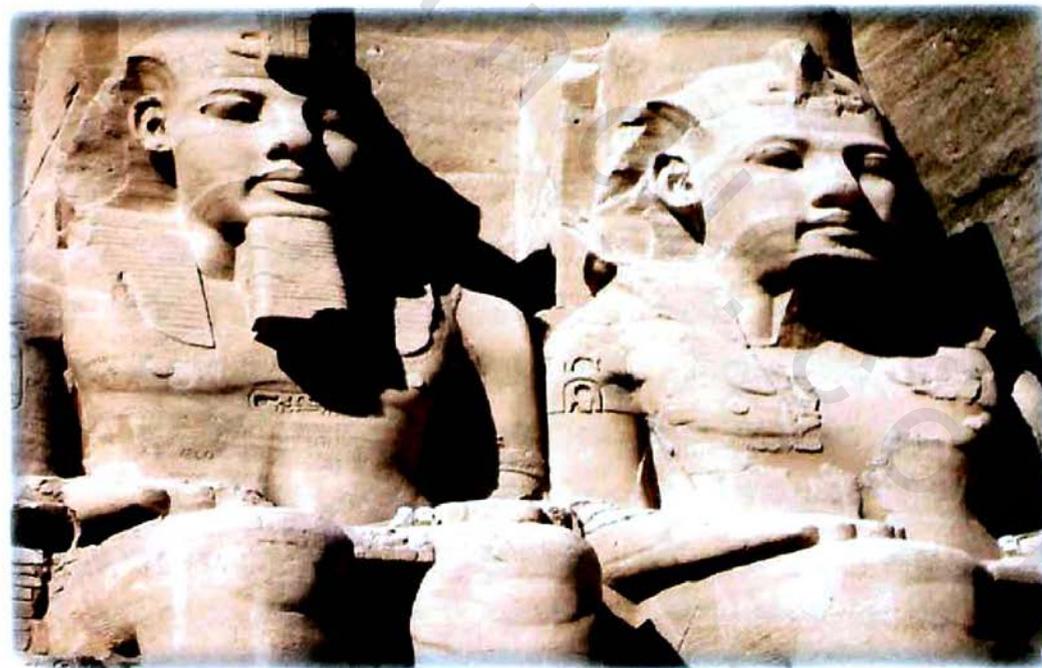
الصرح والمسلات التي أضافها رمسيس الثاني لمعبد الأقصر



مسلة رمسيس الثاني بميدان الكونكورد



واجهة معبد «أبو سمبل» الرئيسي - النوبة



تمثالان منحوتان في الصخر للملك رمسيس الثاني. واجهة معبد رمسيس الثاني بـ «أبو سمبل» النوبة

وأبو سُمبل تقع على بعد حوالى ٢٥٠ كم جنوب شرق أسوان. وقد تم اكتشاف المعبد في عام ١٨١٣م على يد الرحالة السويسرى «بروخاردت»، ثم قام بإزاحة الرمال من عليه المغامر الإيطالى «جيوفانى بلزوني» بعد أربع سنوات.

وسوف تلاحظ عزيزى القارئ أن رقم ٤ يتكرر كثيرًا عندما نتحدث عن معبدى أبى سُمبل، وهو من قبيل الصدفة الغريبة. وقد تم تكريس المعبد الرئيسى لأربعة أرباب هم: «رع - حور - آختى» و«أمون - رع» و«بتاح» و«رمسيس الثانى» نفسه، ويتقدم المعبد فى الواجهة أربعة تماثيل عملاقة يصل ارتفاعها إلى ٢٠ مترًا.

وفى أعلى الواجهة يصطف عدد من تماثيل القردة المنحوتة كرمز للشمس والحكمة. داخل المعبد، هناك عدد من التماثيل والمناظر المنحوتة الملونة للملك وهو يُظهر إمكانياته العسكرية ويستعرض معاركه وانتصاراته واحتفالاته، وتبين المناظر أيضًا مدى تدينه وإخلاصه للأرباب المختلفة. وتتعامد أشعة الشمس على تماثيل قدس الأقداس^(١) الموجودة فى نهاية المعبد مرتين كل عام، يوم ٢٢ من شهر فبراير، ويوم ٢٢ من شهر أكتوبر. وحتى الآن ما زال المؤرخون ودارسو الآثار والفلك المصرى القديم يتعجبون لهذه الظاهرة الفريدة، بل لم يستطع أحد حتى الآن معرفة دلالة تلك الأيام وخصوصيتها عند الملك «رمسيس الثانى». اقترح البعض أنها اليومان اللذان تربع فى واحد منهما الملك على العرش، وكان اليوم الآخر عيدًا لميلاده، ولكن هذا الاقتراح لا يجد من النصوص القديمة ما يعضده. وفى بداية الستينيات من القرن العشرين بدأت مياه بحيرة ناصر فى التكون خلف السد العالى، وبدأت فى الارتفاع حتى إنها باتت تهدد هذين المعبدين فانطلقت من مصر حملة عالمية للإنقاذ. وبالفعل تبنت أربعون دولة مع منظمة اليونسكو عملية فك وتقطيع المعبدين ثم إعادة تشييدهما فى مكان أعلى وأكثر ارتفاعا لتفادى المياه. وقد بدأت عملية الإنقاذ هذه فى عام ١٩٦٤م، واستمرت لمدة أربع سنوات مكلفة حوالى ٤٠ مليون دولار أمريكى. وقد تم إعادة بنائه على ارتفاع ٦٤ مترًا من مكانه الأصيل مع المحافظة على الشكل والزوايا والمضمون وبدون الإخلال بأى من مواصفاته الأصلية، حتى إن التمثال الثانى من اليسار المحطم لم يكن تحطمه فى العصور الحديثة بل إنه من جراء زلزال حدث فى أبى سُمبل فى العام ٣١ من حكم «رمسيس الثانى». وقد تم تقطيع المعبدين إلى ما يربو عن الألف قطعة حجرية منفصلة، واستخدم أكثر من ثلاثين طنًا من مادة الريدن (وهو نوع

(١) قدس الأقداس هى أهم غرفة فى نهاية المعبد لأنها تحتوى على أقدس النصوص والتماثيل والتراثيل. وفى منتصفها غالبًا ما يكون هناك قاعدة المركب المقدس أو مذبح للقرابين.

من أنواع الصمغ) في إعادة التشييد، وحل مشكلة التوازن والصلابة للمعبد بعد إزالته من مكانه المنحوت داخل الجبل كان لزاماً على القائمين على المشروع أن يبنوا جبلين صناعيين لإحاطة المعبد بهما في مكانها الجديد. وفي أثناء عملية التقطيع ولكبّر حجم الأحجار المقطوعة (بعض هذه الأحجار وصل وزنها إلى ٣٠ طنًا وأكثر) تم دفن المعبد الرئيسي بالرمال، حتى تكون هذه الرمال بمثابة الحماية للأجزاء الخارجية للواجهة في أثناء التقطيع والذي بدأ من أعلى متجهًا إلى أسفل الواجهة؛ وذلك لأنه في حالة سقوط أية قطعة حجرية مقطوعة من أعلى كان من الممكن أن تؤدي إلى بعض الدمار عند اصطدامها بالأجزاء التي تحتمها، وقد تم بناء قبتين كبيرتين تعتلیان المعبدین؛ وذلك لكي تساعدا في معادلة ضغط تماثيل الواجهة على ما خلفها من غرف وأعمدة. وقد تم الافتتاح في يوم ٢٣ سبتمبر من عام ١٩٦٨ م. والجدير بالذكر أن المعبد كان قد تم افتتاحه في العام ٢٤ من حكم الملك «رمسيس الثاني». ثم توالى عمليات النحت والتلوين بعد ذلك لمدة طويلة حتى انتهى الفنان المصري القديم من هذه المنظومة البديعة قبل عام ٣٤ من حكم الملك.



نحت لأربعة أسرى أجنب - حديقة المتحف المصري بالقاهرة

ومن أكثر القصص إثارة هي قصة بطولات «رمسيس الثاني» إبان معركة «قادش» بسوريا، ففي إحدى المعارك وجد «رمسيس الثاني» نفسه وحيداً في مواجهة الأعداء الحشيين، بدون أية فرقة عسكرية أو فيلق من الجنود لمساعدته، وعلى ما يبدو أنهم قد تأخروا عليه لانشغالهم بمعركة

أخرى، أو ربما تم قطع الطريق عليهم من قبل الجنود الحيشيين. وقد استشاط الملك غضبًا من قواده فصرخ فيهم متوعدًا إياهم بالعقاب، ومتهمًا إياهم بالإهمال وعدم الالتزام. وفي نص قديم يؤكد الملك غضبه وشجاعته ووفاء خيوله، يقول الملك: «جاء جيشي ليمدحني. مشدوها لرؤية ما فعلت ... فقد كان سريعًا (يقصد هنا نفسه) في تأنيبهم لعدم التزامهم وجنيتهم، ماذا سوف يقول الناس عندما يُستمع إلى إهمالكم لي، وأنا قد تركت وحيدًا؟ ولم يأت قائد، أو مساعد قائد، أو جندي ليساعدني وأنا أحارب. لقد أخذت ملايين من الأراضى الأجنبية، وحدي وأنا مع «الانتصار في طيبة» و«مووت سعيدة» (أسماء اثنين من خيول الملك) خيول عجلتي الحربية العظام. لقد وجدتها يساعداني عندما كنت وحدي أحارب جيوش الأجانب (يقصد هنا الحيشيين). وسوف أنحنى - شخصيًا - لأزودهما بطعامهما في حضرتي كل يوم عندما أكون في قصرى ... هاهما .. هما ما وجدت، لمساعدتي وسط المعركة، مع سائق عجلتي الحربية: «مينا» حامل درعى وحامل كئوسى في قصرى بجانبى، شهود على بخصوص المعركة، لقد وجدتهم بجانبى». ولقد جمع «رمسيس الثانى» بين الشخصيتين الظافر والمسلم. ويظهر ذلك في أنه رغم حرصه على أن يسجل ملحتمه العسكرية الشهيرة بموقعة «قادش» على جدران معابده إلا أنه أظهر أيضًا ميله للسلام، عندما وافق على عقد معاهدة سلام مع الحيشيين مكرراً ما فعله والده الملك «سيتى الأول» وملك الحيشيين «مورسيليس الثانى» في عام ١٢٩٥ ق.م، ومن الواضح أنه ومع كثرة المواقع الحربية بين المملكتين، أدرك الطرفان أن الحرب واستمرارها لم تجد، بل سوف تزيد الخسائر من الجانبين. فجنح الطرفان إلى الوسائل الدبلوماسية. وقد تم إرسال المبعوثين لـ «رمسيس الثانى» من قبل ملك قادش طالبين للسلام (وهى مدينة تقع بين نهر العاصى وبين رافد آخر يجرى من الغرب، وقد أصبحت جزيرة صعبة الغزو، عندما شق أهلها قناة صناعية عرضية، بل إنها أيضًا كانت تقع على ربوة عالية، الأمر الذى جعلها تستعصى على الجيوش الغازية)، وقد تم الكشف عن نص المعاهدة في معبد الكرنك ونص آخر في معبد الرمسيموم بالبر الغربى لمدينة الأقصر وأماكن أخرى، وقد اكتشف - أيضًا - نص المعاهدة الحيشى فى «حاتوساس» عاصمة الحيشيين القديمة، وهى منقورة ومنقوشة على لوحات من الطين بالكتابة البابلية المسارية؛ لأنها كانت لغة التخاطب الدولى بين شعوب المنطقة. وقد تم عقد المعاهدة فى العام الحادى والعشرين من حكم «رمسيس الثانى»، حوالى ١٢٥٩ ق.م. ومن شروط المعاهدة :

١- أن السلام بين المملكتين يجب أن يستمر للأبد.

٢- لا يجوز لطرف أن يطغى على أرض الآخر.



٣- يساعد كل بلد الآخر في حالة الاعتداء عليه من قبل أى عدو.

٤- يجب تسليم أى شخص يحاول الهروب أو اللجوء لبلد الآخر لبلده الأصلي. ولا يُعذب أو يُضطهد عند رجوعه، ولا يُتخذ ضده أى إجراء عنيف.

واتبع الملك المصرى نفس أسلوب الملك «أمونحوتب الثالث» عندما صاهر أسرته ممالك آسيا الغربية، عندما تزوج «رمسيس الثانى» من أكبر بنات الملك «حاتوسيل» سنا. وقد أرسل الملك الحيثى ابنته فوصلت إلى الأراضى المصرية فى الشهر الثالث من فصل الشتاء فى العام ٣٤ من حكم الملك. وقد خلع عليها الملك المصرى اسم «ماعت حور- نفرو- رع» ثم تزوج الابنة الحيثية الثانية فى عام ١٢٣٦ ق.م تقريبًا. وقد ساعدت هاتان الزيجتان الديبلوماسية على نجاح المعاهدة؛ لأنها خلقتا شعورًا أسريًا ودفنًا عاطفيًا بين الأسرتين المتناحرتين.

ومن الطريف أن «رمسيس الثانى» قد بعث برسالة بالخط الأكادى المسمارى على لوح من الطين لوالدة الابنة الكبرى المدعية «بودو خيبا» يظهر احترامه وتقديره للملكة المستقبل (رغم تريع الملكة الرئيسية «نفت- إيرى» على عرش مصر). وقد استخدم لقب «أخت» عندما كان يوجه كتاباته للملكة الحيثيين، وذلك لتوطيد الأواصر الأسرية بين العائلتين، ومن ثم البلدين. وقد طمأن ملك مصر الملكة الأجنبية، إلى أن ابنتها الأميرة سوف تُعامل بكل احترام كملكة لمصر. وأصبح أعداء الأمس أصدقاء اليوم وعائلات المستقبل. ومن المؤكد أن «رمسيس الثانى» عندما اتخذ قرار السلم هذا، لم يكن ديكتاتورياً فى قراره منفرداً به، بل أنه جنح إلى استشارة معاونيه. يقول النص المصرى القديم على لسان ملك مصر: «... عملت على أن يتم إحضار جميع قادة سلاح مشاتى وسلاح مركباتى الحربية الذين تجمعوا فى مكان واحد، وجعلتهم يستمعون إلى مشروع «السلام» الذى أرسل إلى ... وأجابوا قائلين لجلالته، له الحياة والصحة والقوة: «أيها العاهل، أيا سيدنا، السلام أمر طيب»...، وأمر جلالته أن يُسمع كلامه، ورحل فى سلام فى اتجاه الجنوب ... وعاد فى سلام إلى البلد المحبوب ...». وبالتالى انتهى هذا الصراع الذى دام بين المملكتين زهاء القرن.

وقد توفى «رمسيس الثانى» فى شهر أغسطس من عام ١٢١٣ ق.م بعد ٦٦ عامًا وشهرين من الحكم منفردًا. صعد هذا الصقر الذهبى إلى الأفق الغربى .. وكما وصف المصرى القديم حالة الموت: «الموت هو فقط البداية ..». وتم تحنيط الجثمان فى سبعين يومًا كعادة المصريين القدماء (وهى معادلة للسبعين يومًا التى كانت تُحتفى فيها نجمة الشعرى اليبانية، ثم تظهر فى اليوم السبعينى فى





أسماء رمسيس الثاني - جرانيت وردى - حديقة المتحف المصرى - القاهرة

ساء مصر متزامنة مع وصول الفيضان، وكما يبعث الفيضان وطميه الغنى الخصب للأرض المصرية بعد جفافها، سوف يُبعث الملك بعد وفاته). وتم دفنه في المقبرة رقم ٧ في وادي الملوك، ولكن تم نقل المومياء لحمايتها من أيدي اللصوص إلى خبيثة الدير البحري في عملية الإنقاذ الشهيرة التي قام بها الكهنة المخلصون في عصر الأسرة ٢١، ورغم أن عملية التحنيط الملكي كانت على أعلى مستوى إلا أن بعد ٣٢٠٠ عام من وفاته، أصيبت المومياء بمرض مفاجئ. واضطر المسؤولون المصريون إلى السماح له بالسفر إلى فرنسا للعلاج. وفي عام ١٩٧٦م حزم «رمسيس الثانى» حقايبه وارتحل في رحلة علاج بعد أن أنهى كل الأوراق والمستندات المطلوبة للسفر، وقد تم دراسة وفحص المومياء عن طريق الأشعة السينية، وتم الاستعانة بدراسة المختص «جى سميث» عام ١٩١٢م والذي كان أول من وجد بعض المشاكل الناتجة عن عملية التحنيط والمواد المستخدمة آن ذاك، وقد اكتشف «سميث» أيضًا أن جسد الملك يعانى من بعض الشروخ في العمود الفقري، والتي حدثت أثناء ملء جمجمة الملك بالصبغ. يبدو أن المحنطين المصريين القدماء كانوا قد حركوا الرأس والجمجمة حركة عنيفة فأدت هذه الحركة إلى بعض الكسور والشروخ في العمود الفقري، وفور وصول المومياء إلى المعامل الطبية ومراكز الأشعة بدأ الأطباء الفرنسيون في العمل بكبد آملين في الوصول إلى حل للمشكلة الغامضة. واتخذ المتخصصون الخطوات التالية:

١- أخذوا بعض العينات الدقيقة والصغيرة جدًا من صدر المومياء.

٢- جمعوا بعض الشعيرات المنفصلة عن الرأس.

٣- تمت دراسة العينات في متحف التاريخ الطبيعى والمعامل المختصة.

وانتظر العالم نتائج التحاليل!

وتساءل العالم .. هل إصابة المومياء هى من جراء نوع من أنواع البكتريا المضرة؟ أم هى نوع من الفطريات؟ أم أن بعض الحشرات قد بدأت تتغذى على الجسد؟ ومع استخدام الميكروسكوب الدقيق استطاع العالم الدكتور Jean Monchacca التعرف على العامل الذى كان من الممكن أن يدمر المومياء. فقد وجد أنه نوع من الفطر المدمر النادر واسمه العلمى هو Fries Deadalea Biennis وقد تمت دراسة أجزاء أخرى من الجسد، فوجد المختصون العديد من الحقائق الطبية والعلمية، بل والإنسانية لـ«رمسيس الثانى»، فأضافت بعض المعلومات المهمة لفصول حياة ذلك الملك العتيد، ومنها:

(أ) أن «رمسيس الثانى» كان يعانى من بعض المشاكل فى الأسنان، ولم تكن هذه مفاجأة عندما نضع فى الاعتبار أن الملك توفى فى أوائل التسعينيات من عمره.



(ب) كان الملك يعانى من تصلب الشرايين Arteriosclerosis.

(ج) ملأ المحنطون فتحتى الأنف للمومياء بحبات الفلفل الأسود الذى ظهر بوضوح فى صورة الأشعة، ثم تم سد الفتحتين عن طريق وضع الصمغ الذى جف وتجر؛ وذلك لمنع الحبات من السقوط والخروج من الأنف، وقد اعتقد المصرى القديم أن هذه الحبات سوف تساعد على بقاء الأنف فى حالة جافة جيدة، محتفظة بشكلها الطبيعى وقوامها الرشيق. وقد كان اعتقادًا صحيحًا.

من هو فرعون نبي الله موسى عليه السلام؟

سؤال يتبادر للذهن دائماً عندما نتحدث عن قصة نبي الله موسى عليه السلام وقد تباينت النظريات والتحليلات، فمن المؤرخين من قال إنه «رمسيس الثانى»، ومنهم من اقترح أنه «ميرنبتاح»، وذهب البعض الآخر إلى أنه كان هناك «فرعونان»، فرعون الاضطهاد وفرعون الخروج! والاقتراحات ما زالت تطرح، ولكن لم يتفق الجميع على اسم واحد.

وأصل لقب أو اسم «فرعون» جاء من كلمتين فى الكتابة الهيروغليفية هما: «بر» و«عا» بمعنى البيت أو القصر الكبير، ثم تحول حرف الباء إلى حرف فاء فتغيرت تلك الكلمة المركبة إلى «فرعا». وتحول الحروف ليس بالشىء الغريب، فقد تحولت «با - يم» إلى «فايم» ثم «فايوم» أى الجسد المائى الكبير، وعندما أضيفت إليها أداة التعريف العربية: «ال» أصبحت «الفيوم»، اسم المدينة المصرية والواحة الغناء. وفى البداية اعتقد المحللون هذه الكلمة «فرعا» أو «برعا»، أنها تقصد حاكم البلاد فى عصر الأسرات المصرية القديمة متبعين نفس فكرة إطلاق أسماء مثل الباب العالى فى إسطنبول أو البيت الأبيض فى أمريكا أو القصر الجمهورى مثلاً. فيقال: «أصدر الباب العالى فرمان التالى»، والجميع يعلم أن الباب العالى لا يصدر فرمانات والقرارات، ولكنه رمز للحاكم. واعتقد الكثير أن هذا ما حدث بالفعل فى كلمة «فرعا» التى أصبحت فرعون. قالوا بأن: «فرعون» هو اللقب الذى خلفه المصرى القديم على الملك. وهنا تكمن المفاجأة التاريخية ألا وهى أن لقب «فرعون» لم يستخدم لوصف حاكم البلاد المصرية القديمة إلا فى زمن الأسرة الثامنة عشرة ولفترة محدودة جدًا.

ويؤكد العالم الشهير «آلان جاردنر» فى كتابه الكبير «النحو المصرى القديم» أن الاستخدام الأول للقب فرعون المعنى به الملك كان فى زمن الدولة الحديثة فى إحدى رسائل العمارة التى



بُعث بها إلى «إخناتون». ولكن في وقت الدولة القديمة مثلاً استُخدم لفظ «بر-عا» لوصف البيت الكبير مثل عبارة «سمر بر عا» أى موظف البلاط في البيت الكبير أو القصر. أما مع نهاية الدولة الوسطى وجدنا عبارات مثل: «بر عا عنخ وجا» بمعنى «البيت الكبير، فليعيش (وقد استخدم المصرى القديم هنا اللفظ الدال على الجهاد) ويتعش». ولذلك لم نكتشف حتى الآن أية خراطيش ملكية مسبوقة بلقب «بر-عا». فالملك «خوفو»، و«خفرع»، و«منكاورع»، ومن قبلهم «سنفرو»، ثم «أمنمحات» و«سيزوستريس» ثم «سقنن - رع - تاعا»، و«كامس» و«أحمس»، ثم «أمنحوتب الثانى والثالث»، و«تحتمس الثالث»، ثم «الرعامسة»، و«سيى الأول»، كل هؤلاء لم نجد لفظ «بر - عا» تسبق خراطيشهم الملكية! وبعد انتهاء الأسرة التاسعة عشرة وجدنا أن اللفظ المستخدم هو «حم - إف» بمعنى «جلالته».

ويقترح أحد الباحثين أن «بر - عا» اسم وليس لقبًا، بيد أنها (أى هذه الكلمة) لم تأخذ أداة التعريف العربية وهى الألف واللام لتكون الفرعون، وقد ظهر هذا جليًا فى نصوص القرآن الكريم، ومن هنا يقول الاقتراح بأنه كان هناك حاكم يحكم مصر فى وقت نبي الله موسى ﷺ اسمه «بر - عا» أى «فرعون». وقد جنح أغلب الكتاب فى هذا الموضوع إلى ذكر ملك بعينه ليكون هو فرعون الخروج ولكن بدون عرض السبب التاريخى الذى يُعينه على إثبات قوله. فيقول أحد المؤرخين والمحللين لمقارنة الأديان مثلاً (وهو عالم جليل): «إن فرعون الاضطهاد هو «رمسيس الثانى»، وفرعون الخروج هو «منفتاح» (ويقصد هنا «ميرنبتاح») الملك الذى ورث عرش مصر من والده «رمسيس الثانى». ولكن لم يقدم الدليل والبرهان النصى والمادى على هذه الأطروحة. لم يقدم أغلب المحللين النصوص الهيروغليفية أو البرديات أو أى دليل مادى يقول لنا متى حدثت عملية الخروج وعبور اليم من قبل بنى إسرائيل، رغم إيماننا العام بالحادثة لأنها جاءت فى القرآن الكريم، وقد جاء ذكر قصة نبي الله موسى ﷺ فى عدة سور منها سورة طه، والنمل، والقصص، والإسراء، والأعراف، ويونس، والشعراء، والنازعات، والمائدة، وهود، وإبراهيم، وهو كثير. ومن آيات القرآن الكريم الآية رقم ١٣٧ من سورة الأعراف وبها أكبر دليل مفيد فى معرفة ماهية الملك الطاغية. يقول الله - سبحانه وتعالى - فى محكم كتابه: ﴿ وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمغربِهَا أَلَّتِي بَنَرَكْنَا فِيهَا وَقَمَّتْ رِيكُ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ يَمَّا صَبُرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾.

معنى هذا أن الله - سبحانه وتعالى - قد دمر كل ما بنى هذا الملك من أصرح ومعابد، ومسلات،

وتماثيل، وغيرها من البنايات. إذن، لم يبق أى مبنى أو جدار يحمل اسم هذا الملك «فرعون»، أو تشييد حدث في عصره بأيدى عشيرته. وقد كان لكل الملوك الذين رشحهم المؤرخون والأثريون من قبل، بنايات شاهقة مثل معابد «رمسيس الثانى» وغيرها، وهى ما زالت باقية منتصبة وقائمة ومحفوظة حتى الآن بدون أى دمار. إذن، لا نعتقد أنه أحد هؤلاء الملوك ذى الآثار الباقية.

إذا، لم يكن فرعون الخروج «رمسيس الثانى»، فهل من الممكن أن يكون ابنه «ميرنبتاح»؟ لهذا الملك «ميرنبتاح» لوحة حجرية ضخمة فى الدور الأول الأرضى بالمتحف المصرى تقف خلف التماثيل العملاقين للملك «أمونحوتب الثالث» وزوجته الملكة «تى». وقد أطلق عليها الأثريون اسم «لوحة إسرائيل»! وهى للأسف تسمية خاطئة، ولكن ولذكر كلمة «إسرائيل» فيها مرة واحدة أطلقوا عليها هذا الاسم رغم أن أغلب النص يتكلم عن انتصارات الملك المصرى ضد القبائل الليبية وسوريا وكنعان وغيرها. واللوحة الحجرية كانت فى الأصل للملك «أمونحوتب الثالث»، ولكن «ميرنبتاح» استغل ظهر الحجر الشاغر، ورسم ونحت عليها مناظر له وهو يتلقى سيف الانتصار من الرب «أمون - رع» الأسطورى. ويظهر الملك وهو يرتدى تاج الـ«خبرش» الأزرق وهو تاج الحروب والمعارك، وتظهر أيضاً من الأرباب المصرية الأسطورية «موت» و«خونسو» وهما يهبان الملك الصولجان الذى يرمز إلى ملايين السنين من الحياة المديدة. وأكد أصحاب نظرية أن «ميرنبتاح» هو فرعون الخروج، وأن مومياءه الموجودة حالياً فى المتحف المصرى لونها أبيض (وهذا صحيح)، وأن هذا البياض هو من جراء الأملاح التى التصقت بجسد الفرعون الغريق! ومن المعروف أن «ميرنبتاح» حكم حوالى ١٠ سنوات، ولكن إذا نظرنا إلى أعلى اللوحة فى أول سطر فى النص المنحوت على اللوحة الحجرية «لوحة إسرائيل» نجد أن النص يؤرخ كل تلك الأحداث والانتصارات العسكرية التى أنجزها «ميرنبتاح». السطر يقول إن هذه الانتصارات حدثت فى السنة الخامسة من حكم الملك المصرى، اليوم الثالث للشهر الثالث من الصيف. إذن، لو كان «ميرنبتاح» هو فعلاً فرعون الخروج، كيف تشنى له حكم البلاد بعد غرقه؟ لمدة خمس سنوات كاملة؟ أما عن موضوع الملح الأبيض الذى يغطى المومياء، فهذه أيضاً نظرية ضعيفة، إذ أن أغلب المومياءات قد استخدمت فى تحنيطها الملح الذى أتى به المصرى القديم من وادى النطرون، فلو أضاف المحنط كمية أكثر من اللازم أثناء عملية التحنيط والتجفيف سينتهى الأمر بالمومياء بأن تكون على هذا اللون الأبيض الذى هو لون



الملح، ونضيف أيضًا أنه كان من الممكن أن يكون فرعون الخروج قد غرق في البحيرات المرة أو في فرع النيل الذي كان يصل إلى شبه جزيرة سيناء أو البحر الأحمر. والدليل الآخر هو أننا نعلم أن زوجة فرعون نبي الله موسى ﷺ وهى «آسيا بنت مزاحم» لأنه قد تم ذكرها في الحديث النبوى الشريف الوارد في صحيح البخارى عن أبى موسى -رضى الله عنه- قال: رسول الله ﷺ: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسيا بنت مزاحم امرأة فرعون، ومريم بنت عمران» (٣٤١١). وقد ذُكرت زوجة فرعون في القرآن الكريم في سورة التحريم في آية ١١ قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِخْنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَبِخْنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾﴾ صدق الله العظيم. ومن هنا نؤكد أن فرعون الخروج والاضطهاد لم يكن أيًا من هؤلاء الملوك الذين ذُكروا ووثقوا أسماء زوجاتهم مثل الملك «رمسيس الثانى» الذى ذكر أسماء زوجاته الملكيات حتى الأجنبية منهن، وبالتأكيد لم يكن منهن زوجة اسمها «آسيا بنت مزاحم».

والحصيلة أننا لا نستطيع أن نؤكد أن ملك مصر بعينه هو فرعون الذى ذُكر في القرآن الكريم ويبقى هو وماهيته غامضًا رغم محاولات بعض علماء الغرب إلصاق تاريخه بتاريخ ملك مثل «رمسيس الثانى» كنوع من أنواع تسييس التاريخ حتى يتسنى للصهاينة المطالبة بحقوقهم في التاريخ المصرى مدعين بناءهم للمعابد وتشبيدهم للمسلات، ونحتهم للتماثيل البديعة التى هى، بدون شك، فن وتصميم وصناعة مصرية مائة في المائة.

الملك ميرنبتاح

هو الملك الرابع في قائمة الملوك الذين اعتلوا عرش مصر في زمن الأسرة ١٩. وقد حكم حوالى عشر سنوات ١٩١٣ - ١٩٠٣ ق.م. وهو أيضًا الابن الثالث عشر للملك «رمسيس الثانى» من زوجته «إيست - نفرت» وذلك لأن الأب عاش ليرى اثنى عشر من أبنائه يموتون. مشاهد الملك «ميرنبتاح» المنقورة على جدران معبد الكرنك تؤكد لنا قوته العسكرية وقيادته للجيش المصرى متقدمًا فيالق الجنود بعجلته الحربية ليسجل انتصارًا بعد انتصار. وقد شرح بالتفصيل مآثره وبطولاته ضد الأعداء في نص أدبى غنى بالمبالغة والكناية في لوحة موجودة الآن بالدور الأرضى بالمتحف المصرى بالقاهرة. يبدأ النص بتوثيق التاريخ المؤرخ لكل هذه المآثر: «العام الخامس من (سنوات) الحكم، الشهر الثالث من فصل شمو (الربيع) اليوم الثالث في عهد جلالتى ..»، ثم



لوحة ميرينبتاح بالدور الأرضي بالمتحف المصري - القاهرة

يعد ألقابه الملكية والدينية، ثم يشرح بالتفاصيل كيف كانت شجاعته وإقدام جيشه هما السبب في الانتصار على الليبيين. وقبائل الليبو (كلمة ليو هو أصل كلمة ليبيا) كانوا من القبائل شديدة البأس، وقد كان ظهورها مع قبائل الـ «مشوش» الليبية في اتحاد وتحالف ضد القوات المصرية إذاناً ببدء معارك حامية الوطيس بين الفرقتين. وكانت السمات الجسدية لليبو مختلفة عن المصريين رغم قرب المملكتين. فقد كان الليبيون ذوى بشرة بيضاء فاتحة، ويقترح بعض المؤرخين أنهم كانوا ذوى شعر أشقر وعيون ملونة، وذلك لاختلاطهم بعناصر بشرية من شمال البحر المتوسط. وينهى النص حديثه عن الجسارة المنقطعة النظير للملك وجيوشه قائلاً: «لقد دمرت بلاد الليبيين، و«الخاتى» مسلم، وطهرت كنعان من كل شىء كان بها، واقتيدت «عسقلان» (وقد ذكر الملك «عسقلان» أو «إيسكلون» كما كان يكتبها المصرى القديم في نص آخر بجانب بهو الأعمدة في معبد الكرنك)، وتم أخذ «جيزر»، وأصبحت «نيو عام» وكأنها لم تكن، وبذرة إسرائيل لن توجد بعد الآن (وكلمة بذرة هنا من الممكن أن يكون معناها في الأصل أو الجذر بمعنى لقد تم إبادة إسرائيل كلها من جذورها، أو تكون بمعناها الصريح المفهوم بدون تورية ألا وهو أن معناها البذرة التى تزرع فى الأرض والتى استولى عليها الملك المصرى من مخازن غلاب الجيوش المهزومة)، وأصبحت سوريا أرملة لمصر (تعبير مجازى للهزيمة والحزن وفقدان السيطرة). أما عن كلمة «إسرائيل» هنا فهى الخطأ الذى وقع فيه العديد (قاصدين أو بحسن نية) عندما تخيلوا أو اعتقدوا أنهم بنو إسرائيل فى وقت الخروج، وبالتالي فإن «ميرنبتاح» هو فرعون نبي الله موسى ﷺ ولكن إذا نظرنا جيداً إلى كلمة «إسرائيل» نجد أنه تلاها منظر «مخصص» لرجل وامرأة، وهذا معناه فى الهيروغليفية: قبيلة أو مجموعة من البشر وليس بلداً أو مملكة؛ لأنه إذا أراد أن يكتب هنا كلمة هيروغليفية بمعنى «مكان» أو «بلد» أو «مدينة» لكان قد استخدم «مخصص» بعد كلمة إسرائيل مرسوم على هيئة دائرة داخلها أربعة مثلثات معبرة عن كلمة «نويت». إذن، هو هنا يعنى قبيلة واحدة أو مجموعة واحدة من البشر وليس بلد أو أمة مستقرة، ومن المعلوم أن بنى إسرائيل دخلوا مصر على شكل عدد من القبائل، وليس قبيلة واحدة.

وكعادة الملوك المصريين القدماء، كان الهدف من الحروب والمعارك هو إرساء قواعد النظام و حماية البلاد من أى خطر داهم، ولكنهم كانوا ينجحون إلى السلام و الهدوء. ومثل أبيه وجده لم يكن الملك «ميرنبتاح» بعيداً عن روح السلام والوئام، فيؤكد فى نهاية النص أن «كل البلدان توحدت وسادها السلام». وهذا ما كان يميز الحضارة المصرية إذا ما قورنت بحضارات أخرى



اتصفت بالقسوة وعدم الآدمية، فقدمت تلك الحضارات القرايين الآدمية للأرباب الأسطورية، وقتلت الأطفال؛ لتقديمهم كهبة للرب الذى كانوا يتعبدون له. ولكن لم يكن هناك قرايين آدمية تقدم في مصر للأرباب، ولم يُقتل الخدم الملكي لكى يصاحب الملك في مقبرته عندما يتوفى كما ادعى بعض المؤرخين الأجانب. وقد تم اكتشاف مقبرة الملك «ميرنبتاح» على يد الإنجليزى «هوارد كارتر» في عام ١٩٠٣م بوادى الملوك بالأقصر، وقد كانت المناظر الجدارية على مستوى راقٍ جدًا من النحت والرسم والتلوين، وتُظهر تلك المناظر الملك صاحب المقبرة (وهى مقبرة رقم ٨) وهو في حضرة العديد من الشخصيات المقدسة، وأرواح ما بعد الموت والأرباب مثل «بتاح» رب العمال والفن ومدينة منف، وهو الرب الذى كان يحمل الملك في نفسه مكانة خاصة له؛ وذلك لأن اسم الملك «ميرنبتاح» يعنى «محبوب بتاح». ومشهد آخر مهم هو مشهد الملك وهو يتقدم مركب «رع» وهو فصل قصصى به تفاصيل الأحداث التى سوف يمر بها الملك في الساعة الخامسة من كتاب البوابات، وهى البوابات التى يجتازها المتوفى خلال رحلته في الحياة الأخرى. وقد تم اكتشاف أربعة توابيت حجرية داخل المقبرة، ثلاثة منها كانت من الجرانيت الوردى الأسوانى، والرابع والذى كان على شكل آدمى لأنه كان يحتوى على جثمان الملك المحنط، وقد كان التابوت منحوتًا من الألباستر الأبيض، وقد كان الجرانيت والألباستر من الأحجار المفضلة عند المصرى القديم، وقد برع في التعامل معهما منذ تقطيعهما في المحاجر مارًا بنحتهما و انتهاء بنقلهما إلى أماكنهما في المعبد أو القصر أو المقبرة. والجرانيت صخر طبيعته نارية حمضية يتكون من معادن المرو والفلسبار الحمضى، ويغلب فيه وجود معادن الهوربنلند والمايكا، ولونه يتأرجح بين الرمادى المائل للحمرة واللون الوردى الأحمر، وهو موجود بكثرة في صحراء مصر الشرقية، ومحاجر أسوان هى الأشهر عبر تاريخ مصر القديمة. أما عن الألباستر فيُطلق عليه «كالسيت» ورمزه الكيميائى «Caco3»، ويوجد بأشكال مختلفة وهيئات متباينة في الطبيعة، وهو عديم اللون أو أبيض شفاف تخلله عروق بنية وبيضاء أو قرمزية، ويوجد أيضًا بلون أخضر وألوان أخرى عديدة. وتتميز طبيعة الألباستر بالشفافية، ويتكون في الرواسب الجيرية والرخام.

وقد وُجدت مومياء هذا الملك في خبيثة «أمونحوتب الثانى» بوادى الملوك، وتم فك لفائف الكتان من على الجثمان في يوم ٨ يوليو ١٩٠٧ ميلادية. وقد تمت دراسة المومياء عن طريق مختصين فوجدوا الآتى:

١- كان الملك يعانى من مشاكل في الأسنان وأغلب الضروس الطاحنة غير موجودة.

٢- كان يعانى من تصلب الشرايين والتهاب المفاصل.

٣- وجدت بعض الكسور فى عظام الفخذ.

٤- تم حشو الجمجمة بقماش الكتان خلال عملية التحنيط.

٥- وجد الأنف محشواً بالصمغ.

٦- تم تلوين الجفون باللون الأسود بعد وفاة الملك.

٧- وبدا من الواضح أن هناك العديد من الكسور والقطع فى أجزاء متفرقة من المومياء من

جراء محاولات اللصوص و نابشى القبور للبحث عن المجوهرات الملكية التى كانت تتحلى بها المومياء.

٨- يوجد ثقب فى الجزء الخلفى للجمجمة.

وقد توفي الملك «ميرنبتاح» فى حوالى عام ١٢٠٣ ق.م، فحكم بعده الملك «من - مى - رع

أمون مسو» لمدة لا تتجاوز الثلاث سنوات. وعلى ما يبدو أنه لم يكن له أحقية اعتلاء العرش،

والجدير بالذكر أن الملك «ميرنبتاح» كان قد أنجب ولدًا من زوجته «إيست - نفرت» اسمه «سيتى

- ميرنبتاح» وهو الأمير الملكى والوريث الشرعى الذى سوف يعتلى العرش بعد ما استولى عليه

«أمون مسو». هذا الأمير الملكى معروف عند المؤرخين والأثريين باسم «سيتى الثانى».

الملك سيتى الثانى

وهو الملك «أوسر - خبرو - رع سيتين - رع» «سيتى الثانى»، وقد حكم البلاد حوالى ٦

سنوات، من عام ١٢٠٠ إلى عام ١١٩٤ ق.م. شيد ثلاث مقاصير فى معبد الكرنك خلف الصرح

الأول - غير المكتمل - وكرسها للاحتفالات الدينية المرتبطة بثالوث طيبة: «أمون» وزوجته

«موت» وابنها «خونسو»، وقد برزت هذه الظاهرة الدينية عندما أراد الكهنة ومعهم حكام

البلاد أن يوحّدوا الديانات المختلفة والأرباب فى شكل واحد متصل وفى بعض الأحيان عائلى

كما هو الحال فى ثالوث طيبة. ويوجد أيضًا «ثامون الأشمونين»، وهما أربعة أزواج قوية أسطورية

وجدت قبل الخلق حسب الاعتقاد الكهنوتى، وهما: «نون ونونت» (الماء الأزلى البدائى)، و«حح

وححت» (الأبدية والاستمرارية الغير محددة) و«كيك وكيكت» (الظلام الدامس)، و«أمون

و آمونت» (وأمون هو الذى أطلق عليه فيما بعد المختفى، وتم توطيد صلته بالشمس والقوى

الكونية). ويوجد أيضًا «تاسوع هليوبوليس» وهما: «آتون» (الخالق من وجهة نظر كهنة معابد



الشمس بأون في هليو بوليس)، و«شو» (اهواء والجو) و«تفنوت» (الرطوبة والندى)، و«جب» (الأرض)، و«نوت» (السماء)، و«إيزيس» (أم الأرباب والنسر الحامى)، و«أوزوريس» (رب الحياة الأخرى والخصوبة والثناء)، و«ست» (رب الكوارث والصحراء) و«نفتيس» (الندابة). وقد كان للمقاصير الثلاثة التى بناها الملك «سيتى الثانى» دور مهم فى احتفالية القوارب المقدسة للأرباب الثلاثة داخل معبد الكرنك حيث كانت تستقر تلك المراكب. وفى مجمله، كان حكم هذا الملك يتصف بعدم الاستقرار والقلق. وقد توفى فى سن متقدمة بعض الشىء، وتم الكشف عن موميائه فى خبيثة «أمون حوتب الثانى» بوادى الملوك، وتم فك لفائفها لدراستها فى يوم ٣ سبتمبر ١٩٠٥م. وقد نجح اللصوص فى الوصول إليها حيث قاموا بعمل ثقب فى الرأس بحثاً عن المجوهرات الملكية، وقد تبين فى وقت دراسة المومياء أن الذراعين مكسورتان، ولكن بقيت الأسنان فى حالة لا بأس بها. وقد كان الملك «سيتى الثانى» يعانى من التهاب المفاصل. مقبرته فى وادى الملوك هى المقبرة رقم ١٥.

الملك سبتاح

حكم «آخ - إن - رع سبتن - رع سبتاح» مدة ليست طويلة، وكانت من عام ١٩٠٤ إلى ١١٩٨ ق.م. واسمه بالكامل معناه «جميل من أجل رع، مختار من رع، ابن بتاح». اعتلى العرش وهو فى سن الثانية عشرة تقريباً. وهو حفيد الملك «سيتى الثانى». ساعدت الملك حديث السن فى الحكم كوصية الملكة «تا - وسرت»، التى اعتلت العرش بعده، وقد تم الكشف عن موميائه فى خبيثة مقبرة الملك «أمونحوتب الثانى» بوادى الملوك، رغم أن مقبرته فى نفس الوادى رقم ٤٧، فى حالة جيدة جداً وقد تم استخدامها عن طريق حكام وشخصيات أخرى. وعندما دخل الأثرى «إدوارد إيرتون» مقبرة الملك «سبتاح» نجح فى الوصول إلى غرفة فى مكان عميق خالية من المناظر الجدارية. وتوقف هنا ولم يكمل التنقيب، ولكن من المهم أن نذكر هنا أنه وهو فى طريقه إلى هذه الغرفة رأى العديد من المشاهد الجدارية الملونة والمهمة مثل مناظر قرص الشمس والربة «ماعت» رمز العدالة والنظام، ودرس الأثرى «إيرتون» أيضاً مشاهد فى دهاليز تلك المقبرة العميقة تظهر نصوصاً هيروغليفية تحتوى على تراتيل للرب «رع» وفصولاً عديدة من الـ «إيمى - دجوات» (ما هو كائن فى العالم السفلى). وقد أكمل المهمة العالم الأثرى «بيرتون» فى عام ١٩١٢م ثم تم تنظيف المنطقة المحيطة بالمقبرة على يد الأثرى «كارتر»، ولكن من أكثر الأشياء المرتبطة بهذا الملك إثارة هى المومياء، التى تم فك لفائفها فى ٢٩ أغسطس ١٩٠٥م، وقد تمت دراسة المومياء دراسة مستفيضة، وكان اللون

الأبيض هو الغالب على بشرة الملك؛ وذلك من جراء وجود طبقة من الملح عليها (يذكرنا هذا بنفس حالة مومياء الملك «ميرنبتاح» الموجودة في غرفة المومياءات بالمتحف المصري بالقاهرة. وهذا دليل آخر على أن وجود الملح كان في أكثر من مومياء ولم تتفرد مومياء «ميرنبتاح» بهذه الخاصية أو الصفة، والتي حاول بعض العلماء الاستفادة منها لإثبات أنه «الفرعون الغريق»)، وقد نالتها أيدى اللصوص فدمرت أجزاء في الجسد والوجه، وذلك لغرض البحث عن المجوهرات القديمة. وقد بدا واضحًا أن الملك «سبتاح» كان يعاني من مرض شلل الأطفال وأسمه الطبي العالمي Poliomyelitis في رجله اليسرى. ولم تعرف للملك زوجة حتى الآن.

الملكة تا - وسرت

الملكة الحاكمة «ست - رع - ميرى - آمون - تا - وسرت ستب - إن - موت» اعتلت عرش مصر وحدها بعد وفاة الملك الشاب «سبتاح»، وبذلك تنضم إلى قائمة الملكات اللاتي حكمن بدون ملك وزوج مثل «سوبك - نفرو»، و«حتشبسوت»، وغيرهما، ولكن كان حكمها قصيرًا، لم يتعد العامين، من عام ١١٩٨ إلى ١١٩٦ ق.م. وقد لقت نفسها بمحبة الربة «موت» و«بنت - رع» و«محبة آمون». ومثل الملكة «حتشبسوت» كان في بلاط الملكة «تا - وسرت» شخصية ذكورية قوية مهيمنة على مجريات الأمور ألا وهو المدعو «باى»، ومن المحتمل أن يكون سورى الأصل مما جعل البعض يعتقد بأن البلاد كانت تمر بفترة وهن وقلقل، وقد ساعد «باى» الملكة «تا - وسرت» في الحكم مما أدى - على الأرجح - إلى غضب المدعو «ست - ناخت» فهب ليعتلى عرش مصر، ولينهى بهذه الفعلة الأسرة التاسعة عشرة. فلم يكن لـ «سبتاح» زوجة أو أولاد معروفين، وفي الوقت نفسه لم يسمح «ست - ناخت» للملكة «تا - وسرت» (زوجة الملك «سيتى الثانى»، والوصية على عرش مصر في زمن حكم الملك الشاب «سبتاح») أن تستمر في حكم البلاد.

ومثلما انتهت الدولة الوسطى بحكم «سوبك - نفرو» الحاكمة، انتهت الأسرة التاسعة عشرة بحكم «تا - وسرت». وقد تم الكشف عن مقبرتها في وادى الملوك وهى الآن مقبرة رقم ١٤. وهى مقبرة مثيرة، حيث بدأ العمل في نحتها عندما كانت «تا - وسرت» متزوجة من الملك «سيتى الثانى»، ثم تمت بعض الإضافات، والأعمال النحتية والفنية إبان فترة وصايتها على العرش في أيام حكم «سبتاح»، ثم تم تعميق وتكبير المقبرة، وتمت إضافة العديد من المناظر الجميلة الدينية في فترة حكمها. لم يتم العثور على جثمانها حتى الآن، ولكن هناك محاولة من بعض الباحثين لربط مومياء الملكة مع مومياء رقم ٦١٠٨٢؛ وذلك لوجود تشابه في ملامح الوجه مع الملك «ميرنبتاح» والذي يعتقد البعض



أنه كان والدها. ويعتقد العالم «إليوت سميث» أن عملية تخنيط المومياء رقم ٦١٠٨٢ تمت في نفس زمن «سيتي الثاني»، و«سبتاح» ولكن تبقى هذه المحاولات كلها في طور البحث والتمحيص.



الأسرة العشرون (١١٨٦ - ١٠٦٩ ق.م)

الملك ست - ناخت

حكم هذا الملك المؤسس لهذه الأسرة لمدة وجيزة جدًا لا تتعدى العامين. وكان هذا من عام ١١٨٧ إلى ١١٨٥ ق.م. اسمه وألقابه تضمنت اسم الرب الأسطوري «ست»، وهو ما يؤكد تبجيله وتقريظه لهذا الرب (مثل الملكين السابقين «سيتي الأول وسيتي الثاني»). والملك «أوسر - خاو - رع - ست - ناخت» جاء على الخريطة التاريخية ليعيد الأمور إلى نصابها، وعلى الأرجح حاول التخلص من النفوذ الأجنبي داخل القصر، والذي كان يهدد العرش. وقد كان له ولزوجته «تى - ميرن - إيست» وضع ديني مقدس، وقد تم الكشف عن تابوت في خبيثة «أمونحوتب الثاني» مكتوب عليه أسماء الملك «ست - ناخت». يعتقد البعض أن جثمانه هو ذلك الجثمان الذي وجد داخل مقبرة الخبيثة مسجى في قارب خشبي صغير. هل وضعه الكهنة في هذا الوضع إيدانًا بيد الإبحار عبر نهر النيل السمائي «ورنس» ليصل في النهاية إلى الأبدية المرجوة؟ وكما أعطى الملك «رمسيس الأول» إشارة البدء للأسرة التاسعة عشرة فعل الملك «ست - ناخت» للأسرة العشرين، وكلاهما اشترك في صفة واحدة، ألا وهي مدة الحكم القصيرة.

الملك رمسيس الثالث

الملك القدير «أوسر - ماعت - رع - ميرى - آمون رمسيس الثالث» هو آخر الملوك المصريين القدماء العظماء. وقد حكم حوالي ٣١ عامًا. وطوال فترة حكمه (منذ عام ١١٨٤ إلى ١١٥٣ ق.م) اهتم بالدفاع عن البلاد وقمع الثورات والاضطرابات في كافة أنحاء المملكة المصرية، وقد برع في إنشاء المعابد وبناء القصور. وقد تطور المعمار وفن النحت والرسم والعلوم في عصره تطورًا كبيرًا ظهر جليًا في معابده بالكرنك ومدينة هابو وغيرها. وقد استغل المساحات الكبيرة في أصرحته وجدران معابده في إظهار انتصاراته وإنجازاته العسكرية على أعدائه من الليبيين والبدو «الشاسو»

واللوبيين والأموريين والبلست (قبائل عاشت في أرض كنعان، وأطلق عليهم فيما بعد الفلست، وهم أصل تسمية فلسطين) وشعوب البحر (جيوش لأمم شديدة البأس كانت تقطن جزر وسواحل البحر المتوسط آنذاك)، وفي العام الواحد والعشرين من حكمه وقع «رمسيس الثالث» على وثيقة معاهدة سلام بينه وبين الملك الحيثي «خاتوساي الثالث» بعد أن التمسها الأخير منه، وقد ذكرتنا هذه المعاهدة بتلك التي أبرمها الملك «رمسيس الثاني» مع الحيثيين، وقد بدا واضحًا تأثر الملك «رمسيس الثالث» بشخصية الملك «رمسيس الثاني» في اختياره لألقاب مماثلة له وبناء المعابد الشاهقة الارتفاع والعظيمة الحجم.



الملك رمسيس الثالث يتقدم أحد الاحتفالات الدينية

ونظرًا لأن نصوص هذا الملك المغوار ومشاهده العديدة والبرديات التي تم اكتشافها والتي تتكلم عنه وعن تاريخه موجودة بوفرة وتمت ترجمتها وتحليلها بدقة، فقد عُرف وعُلم عن هذا الملك أكثر من أي ملك آخر. فأصبحت تفاصيل حياته وإنجازاته وطريقة حكمه، بل ومشاكله الشخصية معروفة. وهي لا تخلو من الإثارة، نصطفى منها بعض النقاط التي تهمننا في سياق هذا الكتاب:

١- كان متزوجًا من سيده تُدعى «إيست» وهي التي سوف تكون أمًا للملكين في المستقبل، وهما «رمسيس الرابع والسادس»، ولكن كان للملك أيضًا محظيات وزوجات ثانويات كثيرات.



٢- إحدى هذه الزوجات الثانويات واسمها «تى» تأمرت ضد زوجها الملك «رمسيس الثالث» بغرض التخلص منه ووضع ابنها «بتاور» على العرش بدلاً منه. وقد اشترك في «مؤامرة الحريم»، كما أُطلق عليها من المؤرخين، العديد من الشخصيات ذات المناصب العالية داخل القصر مثل المشرف على الخزانة «إيب رع»، وساقى الملك «مسد سورع»، والمشرف على الماشية «نب حواين» وعدد من زوجات لضباط حرس باب الحريم في القصر. وقد تم القبض على المتآمرين وعلى ما يبدو أن الملك لم يُصب بسوء، ولكن بعض المؤرخين يؤكد وفاته نتيجة المؤامرة. وقد نال المتآمرون عقابهم الذى تراوح من الحكم عليهم بالإعدام وصلب الأذن وجدع الأنف.

٣- وُجد في معبد مدينة هابو خرطوش ملكى لإحدى الملكات، ولكنه كان فارغاً أى بدون اسم هيروغليفى للملكة، وهو ما أعطى الانطباع أنها كانت متورطة في «مؤامرة الحريم».

٤- اتخذت إحدى بوابات معبد مدينة هابو شكل البوابات والقلاع السورية مما يوحى بالتأثر المعماري. وقد أضفت بوابة «ميجدول» (كما كان يطلق عليها) صبغة عسكرية على المعبد الدينى، هذا بجانب وجود تماثيل للربة «سختم» ربة الخروب والمعارك والرعب الأسطورية، التى أعطت الانطباع الأکید لشخصية الملك القوية - ذات الطابع العسكرى - الصارمة.

٥- على الحائط الخارجى للمدخل الثانى الرئيسى للمعبد، وعلى جهة اليسار من الداخل إلى أول فناء مفتوح توجد بعض الكتابات اهيروغليفية الصغيرة ولكنها عميقة، ومن الطريف أن إحدى الخراطيش الملكية التى تحتوى على اسم للملك الذى يحمل صفة التدليل، فقد كان اسمه «سس» وهو تصغير لاسم الملك «رمسيس». وهى من الخراطيش النادرة التى تؤكد - وهذا ما ربما يتناساه بعض الباحثين فى تاريخنا - أن هؤلاء الملوك القدماء كانوا أيضاً بشرًا عاديين، يحملون كل صفات الإنسان الطبيعى الذى يعيش على أرض الواقع.

٦- يوجد أطلال قصر كامل متصل بالمعبد، به العديد من الغرف والطرق المؤدية إليها. ومن الطريف أن إحدى هذه الغرف هى غرفة الحمام. وقد وصلت درجة اهتمام المصرى القديم بالنظافة إلى درجة عالية جداً. فقد ابتكر نظاماً محكماً للتخلص من نفاياته وفضلاته الشخصية، بطريقة علمية وصحيحة. وهذا ما جعل حضارته تستمر لمدة طويلة؛ لأن الإنسان المبتكر يحتاج إلى جسد نشيط وصحى.



٧- ذكرت بردية «هاريس» العديد من منشآت ومباني الملك «رمسيس الثالث» في حين ذكرت بردية «الاضرابات» كيف أن العمال في زمن هذا الملك لم يكونوا سعداء بالمرتبات والمعاملات المادية فقرروا أن يقوموا بإضراب منظم في العام التاسع والعشرين من حكم الملك، وطالبوا كهنة معبد الرمسيوم (معبد الملك «رمسيس الثاني») بصرف مرتباتهم من سمك وخضراوات وملابس (لم يكن هناك عملات معدنية أو ورقية في تلك الأيام، بمعنى أنه لم يكن هناك نقود للتعاملات المادية بالمعنى المعروف الآن). وقد تمت اتصالات بين المسؤولين من كهنة، وعمدة المدينة، ورئيس الشرطة مع المتظاهرين والمضربين، وقد تعامل جميع المسؤولين مع الموضوع الشائك بحنكة وسياسة، فقد سمح رئيس الشرطة للعمال بالتعبير عن رأيهم الغاضب عن طريق اصطحابهم إلى المعبد الملكي ليجلسوا هناك ويعرضوا كل طلباتهم. وهذه الطريقة هي طريقة متحضرة جداً، حيث يتبعها الكثير من الأنظمة السياسية الآن؛ لأنها الأفضل من الناحية الأمنية. وربما يكون رئيس الشرطة قد فعل هذا لتوصيل رأى العمال ومساعدتهم على الإفصاح عما يكنونه داخل أنفسهم من اعتراض وغضب، ومن ناحية أخرى يكون هذا كله تحت إشراف المسؤولين حتى لا ينفلت زمام الأمر من يد الشرطة، وتتحول الإضرابات إلى ثورة أو شغب. هذا التعامل المنظم والمتحضر بين الحكومة والشعب حدث في حوالى عام ١١٧٠ ق.م. وفي النهاية قدم عمدة المدينة الحبوب والغلال من مخازن المعبد الملكي كحل للمشكلة ولتهدئة العمال الثائرين، وبالتالي وصل العمال إلى الهدف المنشود وبطريقة عملية وذكية. هذه الحادثة أثبتت للعالم أجمع أن العامل المصرى القديم هو أول من طالب بحقوقه بطريقة منظمة ومبتكرة وحصل عليها، وقد تعلمت حضارات العالم القديمة والمعاصرة من هذه الحادثة الكثير.

توفى الملك «رمسيس الثالث» في الستينيات من عمره، وقد تم اكتشاف موميائه ضمن خبيثة الدير البحرى، وتم فك اللفائف الكتانية على يد العالم «ماسيرو» في ١ يونيو عام ١٨٨٦ م أمام الخديو «توفيق». ولم يتم الكشف عن أى دليل في المومياء على أن الملك مات مقتولاً أو نتيجة محاولة اغتيال، وهو ما يؤكد فشل محاولة الاعتداء على الملك عن طريق «مؤامرة الحریم» المذكورة آنفاً. وقد استعاض المحنطون باللفائف الكتانية التى تملئ تجويف العينين بدلاً من العينين. وقد لوحظ وجود ثقبين فى الأذنين مخصصين للأقراط. ومن المعروف أن موضة ارتداء الأقراط قد بدأت فى الانتشار فى وسط الملوك المذكور منذ منتصف الأسرة الثامنة عشرة. وبنهاية حكم هذا الملك يُسدل الستار على آخر الملوك المصريين العظماء، والدليل هلى هذه المقولة يكمن فى تلك المنشآت والمعابد والأصرح التى تركها لنا. يكمن فى تلك البرديات التى تثبت أنه حكم البلاد بطريقة حكيمة.





تمثال لرمسيس الثالث بمعبدته بمدينة هابو - البر الغربي - الأقصر

ونظرة ثابتة لمقبرته رقم ١١ في وادى الملوك تؤكد أن الفن والإبداع النحتى والتكريس والإخلاص الدينى كان قد وصل ذروته إبان حكم رمسيس الثالث.

الملك رمسيس الرابع

حكم ابن «رمسيس الثالث» الأكبر، الملك «حكا- ماعت- رع رمسيس الرابع» لمدة لا تتجاوز الست أو السبع سنوات (١١٦٣ - ١١٥٦ ق.م). واسمه يعنى «حاكم العدالة مثل رع، ورع خَلَقَه» ثم غير اسمه لاحقاً إلى «أوسر- ماعت- رع ستين- آمون». عاش هذا الملك حوالى خمسين عاماً من العمر، ومن المحتمل أن يكون قد عانى قبل وفاته من مرض ما أشعره بدنو أجله، وهذا ما استنبطه المؤرخون من نص قديم تركه لنا الملك يدعو فيه للأرباب ويجزل لهم الهبات والهدايا من أجل إطالة عمره، وعلى المستوى المعمارى والإنشائى لم يربو الملك «رمسيس الرابع» إلى مستوى والده، حيث ترك لنا آثاراً قليلة إذا ما قورنت بمعابد ومقبرة أبيه. وحتى مقبرته رقم ٢ في وادى الملوك، والتي تم الكشف عنها عام ١٩٠٥م على يدى الأثرى «إيرتون»، لم تكتمل لوفاة الملك قبل أن ينتهى العمال من إبداعاتهم، ومع هذا فقد بقيت إلى يومنا هذا ألوانها محتفظة برونقها. لم يقم بأية حملات عسكرية مؤثرة خارج مصر، وانصبت اهتماماته على أعمال أخرى ذات فائدة، مثل بعثه بالعمال إلى وادى الحمّامات لجلب أحجار الشست (وهى من الصخور المتحولة Metamorphic Rocks؛ إذ إنها تتحول متأثرة بالارتفاع فى درجات الحرارة والضغط، وقد استخدمها المصرى القديم فى كثير من الأعمال الفنية، والتي احتفظت بحالتها الممتازة إلى يومنا هذا، مثل «صلاية نارمر»^(١) الشهيرة بالمتحف المصرى بالقاهرة، وقد أطلق على هذا الحجر اسم «بخن» بالهيراوغليفية)، وقد اكتشف العالم الفرنسى «فيكتور لوريه» مومياء الملك «رمسيس الرابع» فى عام ١٨٩٨م، ولوحظ أن المحنط المصرى القديم قد وضع بصلتين (مثنى بصلة) بدلاً من العينين، ووضع حلقتين من البصل ليسد فتحتى الأنف، وقد ملأ فراغات الجمجمة والأنف بالصمغ، وهو ما ساعد المومياء على الاحتفاظ بنفسها فى حالة جيدة، مع القليل من الأجزاء المكسورة مثل الثقب الذى وجد خلف الرأس، والقطع الذى تم دراسته فوق منطقة الحوض، وهى من نتاج محاولات اللصوص ونابشى القبور للبحث عن المجوهرات.

(١) هى قطعة حجرية كانت تستخدم فى طحن وسحق الأحجار وتحويلها لمسحوق بودرة رقيق يستخدم فى عمل الألوان ومواد الزينة. (أنظر الصورة صفحة ١٩).



الملك رمسيس الخامس

حكم الملك الشاب «أوسر - ماعت - رع - آمون - حر - حب - شيف رمسيس الخامس» لمدة خمس سنوات فقط، واسمه معناه «قوية هي عدالة رع، رع خَلَقَهُ، آمون هو قوته»، وهو ابن «رمسيس الرابع» (والبعض اقترح أنه ابن الملك «رمسيس الثالث»). وقد عانى هذا الملك البائس من العديد من الأمراض التي أودت بحياته مبكراً، وهذا ما ظهر عند دراسة المومياء، والتي تم اكتشافها في خبيثة الملك «أمونحوتب الثانى» بوادى الملوك فى عام ١٨٩٨م، وتم فك لفاتها فى ٢٥ يونيو من عام ١٩٠٥م بالمتحف المصرى بالقاهرة، وكان الملك قد أصيب بالفتاق والجدري قبل وفاته، ويعتقد عالم التحنيط الشهير «سميث» أن ذلك كان فى العام الخامس والعشرين من حياته. ولم يترك الملك «رمسيس الخامس» الكثير من البنايات أو النصوص، اللهم إلا مقبرة غير مكتملة بوادى الملوك، وهى مقبرة رقم ٩، والتي شاركه فيها الملك التالى «رمسيس السادس».



منظر ملون جدارى من مقبرة الملك رمسيس السادس - وادى الملوك - الأقصر



مناظر لمقابر وادى الملوك وترجع إلى عصر المملكة الحديثة

الملك «نب - ماعت - رع - ميرى - آمون رمسيس السادس آمون - حر - خب - شيف» حكم من عام ١١٥١ إلى ١١٤٣ ق.م. معنى اسمه: «بالحقيقة هو رع، محبوب آمون، رع خَلَقَهُ، آمون هو قوته». وهو ابن من أبناء «رمسيس الثالث»، وقد اتصف حكمه بالضعف والوهن العسكرى وظهر هذا في تراجع الجيوش المصرية في آسيا وأرض كنعان، وأيضاً فقدان السيطرة على سيناء ومحاجرها الغنية، ومع هذا فقد ترك لنا مقبرة (هى رقم ٩ بوادى الملوك) غاية في الإبداع، اكتشفها العالم «جيمس بيرتون» فى العشرينيات من القرن التاسع عشر الميلادى. وقد احتوت جدران هذه المقبرة العميقة على العديد من النصوص القديمة من فصول كتاب الأبواب ذو النصوص المقدسة التى تشرح كيفية عبور المتوفى عبر الأبواب فى الحياة الأخرى، والكهوف وهى تلك الأماكن الغامضة التى يعبر عليها المتوفى فى رحلته إلى الأبدية، وأسماء الموتى، وما هو كائن فى العالم الأسفل، وبغرفة الدفن تم اكتشاف تابوت محطم كبير. ويعتبر سقف هذه الغرفة الأخيرة من أجمل ما أبدع الفنان المصرى القديم من رسم ملون على الحجر. فالسقف هنا مقبب بعض الشيء وبه منظران متوازيان للربة «نوت» ربة السماء الأسطورية مصاحبة لنصوص من «كتاب اليوم» وهو أحد فصول «كتاب السموات». ويبين المنظر الشمس وهى تُبتلع عن طريق «نوت»، ثم يُعاد بعثها وولادتها من جديد عندما تخرج من أسفل جسم «نوت»، والتى تظهر هنا على شكل امرأة منحنية ممدودة الذراعين، ويظهر أيضاً الكثير من الشخصيات المقدسة والأرباب، ومشهد للجعران المجنح والقوارب الشمسية التى تبحر على سطح صفحات المياه السائبة. وقد ترك لنا أيضاً الفنان القديم مناظر للرب الأسطورى «إيكر» وهو من الأرباب الأوائل، ويظهر على شكل تماثيل لأبى الهول. ورغم وضع الكهنة للكثير من المشاهد التى تؤكد معاينة الأرواح الشريرة والشخصيات الكارهة للملك خلال رحلته للأبدية (بعض هذه المشاهد تبين أسرى مقيدى الأيدي ومقطوعى الرؤوس) إلا أن هذا لم يردع اللصوص ونابشى القبور، فاخترقوا كل حواجز اللعنة المنصوص عليها فى الكتابات الهيروغليفية بالمقبرة. وعندما تمت دراسة المومياء عام ١٩٠٥م، وجدت فى حالة مزرية، فالجمجمة قد تم تحطيمها وهى غير موجودة الآن، ولكن بقى الجلد المحنط المجفف للوجه، ولكن الأسنان التى وجدت كانت حالتها غير سيئة. وقد اقترح العالم «سميث» أن طول الملك عند مماته كان حوالى ١ متر و٧١ سم.





مناظر ملونة من مقابر وادى الملوك - البر الغربى - الأقصر



مناظر جدارية من مقبرة رمسيس السادس بالبر الغربي بالأقصر - وادي الملوك

الملك رمسيس السابع

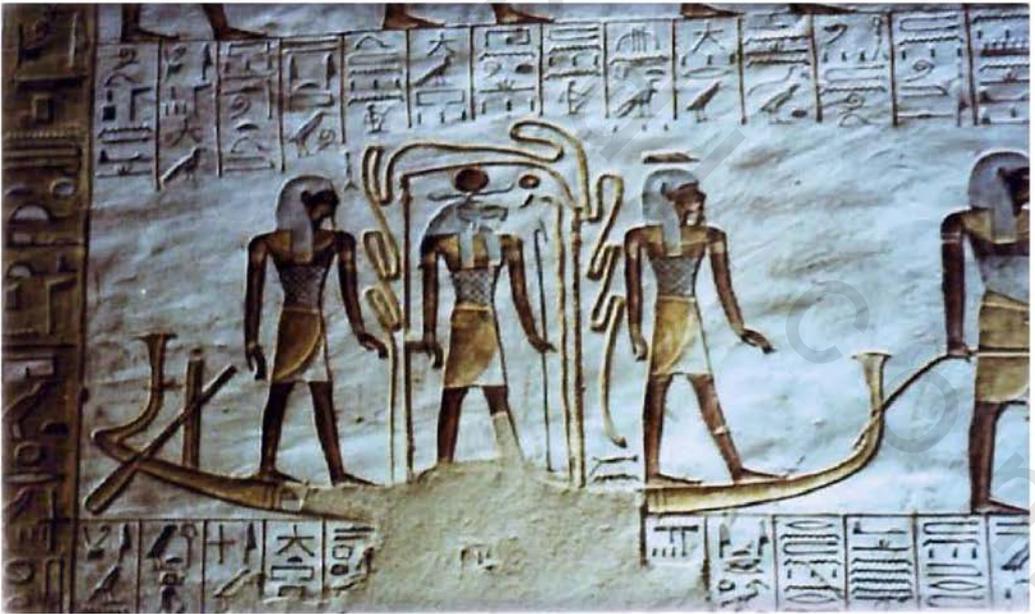
الملك «أوسر ماعت رع مري آمون ستبن رع، رع مس آن آمون نتر حقًا أون» هو الملك «رمسيس السابع»، والذي حكم مصر حوالي ست سنوات. ورغم أن المعلومات المتاحة عن هذا الملك قليلة وذلك لعدم الكشف عن آثار كثيرة له (والسبب هو ربما ندرتها في الأصل أو عدم وصول المكتشفين لها حتى يومنا هذا)، ورغم عدم اكتشاف موميائه؛ مما زاد من الإبهام الذي يحيط، به إلا أن مقبرته التي تم دراستها باستفاضة هي دليل على تطور فن النحت والتلوين في عصره، وقد حافظ الفنان المصري القديم على مستواه الرائع في هذا المضمار. مقبرة الملك «رمسيس السابع» هي المقبرة رقم «واحد» في وادي الملوك، وبها العديد من المناظر البديعة لرب الشمس على شكل القرص المنير الذي يجاوره الملك وأرباب أخرى، وتم نحت العديد من النصوص المقدسة بالكتابات الهيروغليفية لفصول «كتاب البوابات» و«كتاب الكهوف» و«كتاب الأرض»، وتم ذكر الرب «أوزوريس» أكثر من مرة، ولكن أكثر المناظر أهمية هو منظر للقارب المقدس للرب الأسطوري يقوده عن طريق شده بالحبال مجموعة من الأرباب. على القارب توجد مقصورة على شكل «مقصورة» يقف بها الرب الشمسي تحميه حية طويلة ملتوية كان يقال لها «مخن»، وهو اسم الثعبان الذي كان المصري القديم يعتقد أنه سوف يحمي الرب الشمسي خلال رحلته على قاربه عبر طرق ودهاليز وسبل الحياة التي هي كائنة في العالم الأسفل.

والغريب في هذه المقبرة أنه في غرفة الدفن تم الكشف عن حفرة لتحتوي المومياء، ولكن هذه الحفرة المخصصة لدفن الملك مغطاة بتابوت مقلوب ومفتوح من أسفله، وقد تم نحت هذا التابوت على شكل يقارب ويمائل بشدة شكل الخرطوش الملكي.

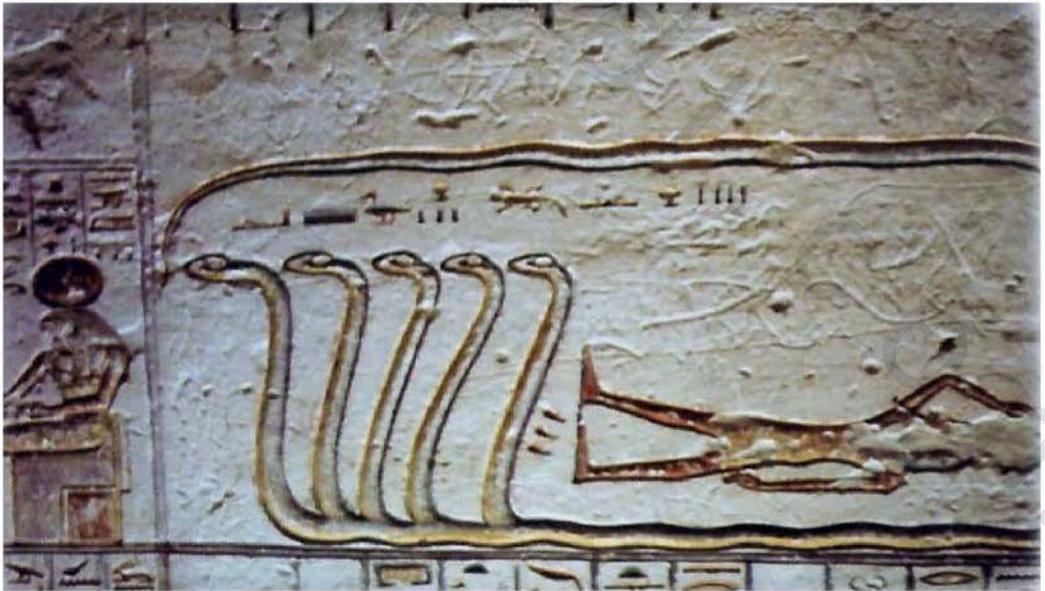
الملك رمسيس الثامن

الملك «أوسر ماعت رع آخن آمون، رع مسس ست حر خبشف» من الملوك الغامضين الذين لم يتم الكشف عن آثار لهم. فلم يوجد لهذا الملك مقبرة أو مومياء أو معبد حتى الآن، ولكننا نعلم أنه كان أحد الأمراء الرعامسة وقد حكم قرابة العام. ومن المؤكد أن البلاد في وقته قد وصلت إلى حالة اقتصادية واجتماعية متردية ظهرت علاماتها بوضوح في عصر الملك الذي جاء بعده.





مناظر جدارية للأرباب الأسطورية المصرية القديمة - وادى الملوك - البر الغربى - الأقصر



مناظر من مقابر وادى الملوك بالبر الغربى بالأقصر

حكم الملك «رمسيس التاسع» قرابة السبعة عشرة عامًا. ورغم طول مدة حكمه، والتي تعطى الانطباع باستقرار الأمور بعض الشيء إذا ما قورنت بالملوك الذين سبقوه، ورغم جمال وعمق ودقة مقبرته بوادى الملوك، إلا أن هذا كله لم يخف على المؤرخين حالة الفوضى والفقر وعدم الأمان الداخلى التى كانت البلاد تعاني منها. وعلى ما يبدو أن انهيار الحالة الاقتصادية للبلاد وضعف الحكام من ناحية، وانتفاضة الجياع التى أدت إلى حالات عديدة من السرقة وعدم احترام القوانين من ناحية أخرى أدت إلى حدوث شرخ كبير فى آليات الحكم آنذاك، وكانت هذه الحالات الشعبية الغاضبة مزوجة بالإحساس بعدم توافر الأمن ولقمة العيش. فاخترقوا حرمة الأموات وتومت سرقة المقابر لما فيها من أشياء ثمينة. وسرقة المقابر عن طريق الأهالى كان نذير خطر؛ لأن هذا كان يعنى عدم إيمان هؤلاء الأهالى بتلك النصوص الدينية، التى سوف تجلب اللعنة على هؤلاء الذين سوف يخترقون بوابة المقبرة ويقلقون صاحبها من سباته الأبدى. وهذا دليل على تردى الحالة والشعور الدينى فى البلاد فى ذلك الوقت. فلم يبالوا بالحرس، أو النصوص، أو اللعنات، كان الفقر والجوع والفوضى أقوى من كل هذا. فاختلط الحابل بالنابل، ولم تفلح محاولات الملوك المتوفين والمدفونين فى مقابرهم فى حماية أنفسهم عن طريق وضع الخناجر والتعويذات لحمايتهم. لم يكثر هؤلاء اللصوص بكل هذا. وهذا ما يجعلنا نعتقد أن على طول عصر الأسرات كان هناك عدد ليس بقليل من أفراد الشعب لم يكونوا يؤمنون بالعقيدة الملكية التى كانت تُمارس فى المعبد، هذه العقيدة التى حرصت على إظهار الملك بشكل مقدس وبطبيعة ربانية، ولكن الواضح أن الشعب كان له رأى آخر، بل لقد وصل شعوره إلى حد الاستهزاء هؤلاء الملوك وقوتهم الساحرة المزعومة التى تستمر حتى بعد مماته. يقول أحد النصوص: «أجساد تذهب وأجساد تأتى من زمن الأوائل ... لقد استمعنا إلى كثير من كلمات الحكماء «إيمحتب» و«ددف حور» ... ولكن أين الحكماء وأين ديارهم؟ تهدمت جدرانهم وطاحت مساكنهم وما عاد منها كيان ... ذهبوا ولم يعد منهم أحد ... ذهبوا وما قال لنا أحد عن حاهم شيئاً .. ولا حكى لنا أحد عن مطالبهم ولم يطمئنا أحد عليهم .. لم يذهب أحد وأخذ أى شىء معه ... لم يذهب أحد وعاد مرة ثانية .. الذى مات قلبه، ولم يسمع صراخ أحد .. والنعى لم يخلص أحد من الآخرة». إذن، كان هناك إيمان بالحياة الأخرى فى الأوساط الشعبية، ولكن لم يعتقدوا أن هؤلاء الحكام والحكماء سوف يكون لهم قوة الرجوع إلى هذه الحياة أو تحوله إلى رب مقدس بعد وفاته، وقد علمنا عن سرقات المقابر

في عصر الملك «رمسيس التاسع» عن طريق دراسة عدد من البرديات مثل بردية «أبوت» وبردية «أمهرست»، وبردية «هاريس» وغيرها، والتي ذكرت عمليات السرقة بالتفاصيل والقبض على اللصوص واعترافهم خلال التحقيق معهم. قال أحد رجال الملك: «إن عشر مقابر من مقابر الملوك وأربعا من مقابر الملكات، وكثيراً من مقابر النبلاء قد دخلها اللصوص وسرقوها». وفي حالة من الحالات المضبوطة كان نصيب اللصوص حوالي ١٤,٥ كيلو جراماً من الذهب تمت سرقتها من المقبرة. وتدل هذه السرقات أيضاً على فساد الذمة عند بعض المسؤولين عن هذه المقابر وحمايتها. وقد توفي الملك «نفر - كا - رع - ستبن - رع رمسيس التاسع» حوالي عام ١١٠٨ ق.م بعد فترة حكم غير قصيرة، وقد تم نقل موميائه عن طريق الكهنة من مقبرة رقم ٦ في وادي الملوك إلى مقبرة رقم ٣٢٠ المعروفة بخبيثة الدير البحري، لحمايتها من الدمار والسرقة. وقد كشف ونقب في هذه المقبرة الإنجليزى «هنرى سولت» في عام ١٨١٧م ثم «دارسى» في عام ١٨٨٨م، وتمت دراسة نصوصها بدقة لأهميتها. وقد تميزت مقبرته بالإبداع في مجال النحت والتلوين، ولكن على ما يبدو أن الملك توفي قبل الانتهاء من الأعمال فيها. وهذا ما يظهر جلياً في المناظر الجدارية لغرفة الدفن، والتي يمكن أن توصف بالرعونة في الأداء من جهة الفنان، ربما يكون السبب هنا أنه كان تحت ضغط عامل الوقت، فأسرع في إنهاء المناظر وتلوينها؛ فظهرت دون المستوى إذا ما قورنت ببقية المناظر. بل إن مستوى نحت السقف والجدران لغرفة الدفن نفسها كان رديئاً لا يربو إلى مستوى الفنان المصرى القديم، ولكن مع الفنان كل العذر؛ لأنه كان لديه ٧٠ يوماً فقط لينهى المهمة، تلك الأيام السبعون التي سوف يتم تخنيط الملك فيها.

الملك رمسيس العاشر

الملك «خبر - ماعت - رع - ستبن - رع رمسيس العاشر» حكم حوالي تسع سنوات (١١٠٨ - ١٠٩٩ ق.م). استمرت خلال سنين حكم هذا الملك حالة التردى في الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للبلاد. ولم يوجد لهذا الحاكم الكثير من الآثار إلا بعض قصاصات البردى وشقافات أوستراكا حجرية، وبعض تماثيل صغيرة على هيئة جعارين. ومقبرته في وادي الملوك هي مقبرة رقم ١٨ وهي غير مكتملة ومصابة بالتدمير من جراء الفيضانات الناتجة عن المطر. وقد اهتم بمناظر هذه المقبرة العالم الفرنسى الشهير «شامبليون» والذي كان بارعاً في الرسم كما هو بارع في علم اللغات. فرسم بعض المناظر الموجودة بالمقبرة، ولكن لم تكن براعة هذا العالم لتكتمل؛ إذ

إننا اكتشفنا الكثير من الأخطاء والذلات له، وذلك عبر دراسة رسائله التي كان يبعثها إلى فرنسا عندما زار مصر الزيارة الوحيدة في حياته عام ١٨٢٨ م.

أخطاء شامبليون

«جان فرنسوا شامبليون» هو مؤسس علم الكتابة المصرية القديمة، ويحلو لبعض المؤرخين إطلاق لقب «أبو علم المصريات» عليه. زار مصر لدراسة الآثار والتاريخ، ومكث بها من شهر أغسطس ١٨٢٨ م حتى ديسمبر ١٨٢٩ م. وهو عالم مجتهد ودءوب، ولكنه كان له زلاته الغربية وأفكاره الغير نمطية. فقد اعتقد أن السلم المتنقل والأسفنجة اللذين كانا يستخدمهما في تنظيف المناظر الجدارية والنقوش القديمة هما أعظم اختراع للبشرية، وقد ذكر هذا في خطاب بعثه إلى فرنسا من منطقة «بنى حسن» بالمانيا بتاريخ ٥ نوفمبر ١٨٢٨ م. وقد اعترف «شامبليون» بأن الأمر قد اختلط عليه - وفي الحقيقة إن أبا علم المصريات قد أخطأ - عندما أرخ بعض الأعمدة الحجرية المنحوتة في جبل «بنى حسن» إلى العصر اليوناني الإغريقي؛ لأنها كانت تشبه إلى حد كبير الطراز الدورى (وهو من الطرز الإغريقية في تشييد الأعمدة)، ومن الواضح أنه كان يقصد هنا أعمدة مقبرتي «باكت» و«خيتي» عندما ذكر في مذكرته ورسائله إلى «فيجاك» أن مقابر أقصى الشمال في مجموعة «بنى حسن» تتميز باحتوائها على رواق أمام أبوابها منحوت في الصخر، يتكون من أعمدة تشبه للوهلة الأولى الأعمدة الدورية اليونانية الموجودة حتى الآن في آثار صقلية وإيطاليا وغيرها من الآثار اليونانية، ونجد أنه لزاماً علينا وللأمانة التاريخية أن نصحح ما كتبه «شامبليون» في رسالته. يقول «شامبليون»: «... كما عثرت في نفس المقبرة (وقد ذكرها من قبل على أنها مقبرة للمشرف على الأراضي الشرقية واسمه «نيوتيف») على لوحة في غاية الأهمية تصور كاتباً ملكياً يقوم باستعراض خمسة عشر أسيراً من الرجال والنساء والأطفال أوقع بهم أحد أبناء «نيوتيف»، ومن الواضح أنه كان يتكلم هنا على مقبرة «خنوم حتب» وهو عمدة وأمير «مناعت خوفو»، البلدة التي وُلد بها الملك «خوفو» الشهير صاحب هرم الجيزة الشهير. كان «خنوم حتب» في منصبه هذا أيام حكم الملك «أمنمحات الثانى»، ويستطرد «شامبليون» قائلاً: «... ويقدم الكاتب لسيده في الوقت ذاته قرطاساً بردياً دون فيه بالتفصيل تاريخ القبض على هؤلاء الأسرى وعددهم سبعة وثلاثون أسيراً. وقد كانوا طوالاً، ومعظمهم له سحنة غريبة وأنف أقي، واستخدم اللون الأصفر الفاتح في تلوين أجسادهم، وقد ارتدى الرجال والنساء الثياب الفاخرة المزركشة، والتي

تشبه ملابس نساء الإغريق المصورة على الأنية الإغريقية القديمة (واضح هنا تأثر «شامبليون» بالحضارة الإغريقية) ... وأنا على يقين من أن هؤلاء القوم أغريقيون أيونيون أو من بلاد آسيا الصغرى المجاورة للمستعمرات الآيونية ... (ثم ينهى شرحه للمنظر الجدارى قائلاً) ... هؤلاء حقاً إغريقيون من القرن التاسع قبل الميلاد، رسمتهم بأمانة أيدي المصريين.

والحقيقة المتعارف عليها في هذا المضمار هي أن هؤلاء الأجانب كانوا من القوم الذين أطلق عليهم المصريون القدماء اسم الـ «عامو»، وهم من أصل آسيوى وليس إغريقيًا كما قال «شامبليون» ثم إن تاريخ هذه المقبرة المؤكد هو ١٩٢٩ - ١٨٩٥ ق.م. وهذا ما يؤكد خطأ «شامبليون»؛ لأن في هذا التاريخ لم يكن هناك ممالك أو بلاد إغريقية أو إمبراطورية يونانية على النحو المتعارف عليه. وللأسف كان «شامبليون» شخصاً عصبياً إلى حد ما، لا يجب أن يعارضه أحد أو لا يتفق مع آرائه. وكان في بعض الأحيان يستخدم لغة غير لائقة في الرد على معارضى نظرياته أو أفكاره واصفاً إياهم بمواصفات دنيئة.

الملك رمسيس الحادى عشر

حكم الملك «من ماعت رع ستب إن رع رع مس الحادى عشر»^(١) من عام ١٠٩٩ إلى ١٠٦٩ ق.م. وهو آخر ملوك الأسرة العشرين وآخر الملوك الرعامسة أيضاً. استمرت حالة الوهن في البلاد إبان حكم هذا الملك وضرب الضعف أرجاء المدن والقرى. وبدأ الكهنة في اعتلاء المناصب العالية المتحكمة في مقاليد الحكم حتى إن بعض الأثريين يعتقدون أن في عدد غير قليل من سنوات حكم هذا الملك لم يكن هو الحاكم الفعلى للبلاد. لم تكن لمصر أية هيمنة على الممالك المحيطة، ولم تكن معاملة المصريين الزائرين لحكام تلك الممالك الأجنبية بالمعاملة الطيبة كما كانت في الماضى مما يدل على معرفة الملوك الأجانب بالحالة المتردية للحكام والبلاد. وفي السنين الأخيرة لحكمه بدأت شخصيات مهمة في الظهور مثل «حريجور» وقد لُقّب بالكاهن الأكبر بمعبد آمون بطيبة، وكان أيضاً قائداً للجيش. وقد تمكن «حريجور» من فرض سلطته السياسية على مصر العليا متضمنة طيبة والنوبة. وتم الكشف عن خراطيش ملكية له ولزوجته مما أكد أنه قد حكم كملك متفرد على هذه المنطقة، ولكنه لم يستطع - على ما يبدو - أن ينفرد بحكم مصر كلها، وكان ظهور «حريجور»

(١) لم يعدد أو يرقم أو يرتب المصرى القديم ملوكه وحكامه. هذه الأرقام والترتيبات حديثة. فمثلاً لم يسم هذا الملك بالحادى عشر، هذا الترتيب هو إضافة من علماء الآثار لتسهيل عملية التذكرة بأن هذا الملك هو الحادى عشر من الملوك الذين حملوا اسم رمسيس.

علامة واضحة تدل على ضعف حكم «رمسيس الحادى عشر». وفي مقبرة رقم ٤ بوادى الملوك تم دراسة النصوص الدينية التى أمر بنحتها هذا الملك، ورغم طول مدة حكمه إلا أن المقبرة لم تكتمل نقوشها رغم عمقها، ولكن تم الكشف عن مناظر دينية تُظهر الملك مع الأرباب كالعادة مثل الربة «ميريت - سجر» الربة الحامية، وفي عام ١٩٧٩م تم تنظيفها والتنقيب فيها عن طريق العالم القدير «جون رومر»، والذى كانت تمثل بعثته المتحف الأمريكى الشهير، ومتحف بروكلين بنيويورك، وقد عاش داخل هذه المقبرة عدد من أفراد الشعب المصرى المسيحيين هربًا من اضطهاد الرومان. وبنهاية حكم «رمسيس الحادى عشر» يُسدل الستار على فصل آخر من فصول العبقريّة المصرية القديمة، وهى الأسرة العشرون. أسرة، بدأت وانتهت بفترات مضطربة ووهنة، وتوسطها أسماء هى الأملع فى تاريخ حكام مصر القديمة. أسرة تمتعت بالانتصارات والإنجازات احتضنتها روح الإنسان المصرى المبدع، ولكن كانت هناك أيضًا ومضات من الانكسارات والإجباطات غزلتها يد الظروف المطروحة، وأصبحت سببًا لإعادة هيكلة النظام الحاكم والنظام الأمنى والاقتصادى للعصور القادمة.





العصر الوسيط الثالث (عصر الانتقال الثالث) (١٠٦٩ - ٩٤٥ ق.م)

الأسرة الحادية والعشرون (١٠٦٩ - ٩٤٥ ق.م)

الملك «حدج - خبر - رع ستن - رع سمنس» حكم البلاد حوالي ٢٦ عامًا، وهو أول حكام تلك الأسرة، ولكن كانت هذه الفترة الوسيطة هي فترة خلط وغموض، إذ كان هناك في بعض الأوقات أكثر من حاكم في الوقت نفسه، يحكم كل ملك من مدينة مختلفة، وكانت تانيس هي المدينة المهمة والعاصمة القوية التي يحكم منها الكهنة الذين استطاعوا الوصول إلى العرش؛ وذلك لقوتهم الدينية وسيطرتهم على مقاليد الأمور الاقتصادية والاجتماعية معًا، وهي الآن منطقة «صان الحجر» بالشمال الشرقي من الدلتا، ومن الممكن القول إن «تانيس» كانت هي المكان المفضل لبعض ملوك الأسرة الحادية والعشرين والثانية والعشرين من المصريين والأجانب لبناء معابدهم ومقابرهم، بل لقد نقل هؤلاء الملوك الكهنة، والملوك الأجانب كثير من الأحجار والتماثيل من مدينة «بي - رمسيس» المجاورة، والتي كانت تحتوى على الكثير من آثار الملك «رمسيس الثانى». واسم «سمنس» يذكرنا بالرب «مندس» الكبش الأسطورى الذى كانت تُنحت له التماثيل وتُحنت له الكباش. وتحنيط الحيوانات المقدسة كان من العادات والتقاليد الدينية والطقسية المعروفة في مصر القديمة.

تحنيط الحيوانات فى مصر القديمة

لقد أظهر المصرى القديم تقديره لقدرات الكثير من الحيوانات والطيور، واصطفى من كل حيوان صفة معينة خاصة به، أو حركة جسمانية لمعها في الحيوان، أو صفة بعينها مثل السرعة أو الجراءة أو القوة العضلية، أو الذكاء الفطرى، أو جمال الشكل، ثم جعل هناك علاقة وطيدة بين هذه الصفة والرب الذى أراد أن يصفه بهذا النعت. فمثلاً كان لزاماً على «أمون» أن يكون قوى



الشكيمية جرىء المراس، فاختر له الكبش، ولذلك وجدنا عددًا غير قليل من تماثيل أبى الهول الحامية ذات رأس الكبش أمام الصرح الأول لمعبد الكرنك، وقد أهداها الملك «رمسيس الثانى» للمعبد، وكذلك الرب «مندىس» والذى كانت تقام له الشعائر وتُنشد له التراتيل حتى الأسرات المتأخرة من تاريخ مصر القديمة، وقد بين اختيار الحيوان المحدد للرب الأسطورى قدرًا كبيرًا من طريقة تفكير ذلك الزمان. فمثلًا وجد المصرى أن هناك حيوانًا من العائلة الكلبية وهو «ابن آوى»، يحوم دائمًا حول مقابر المتوفين، ينبش القبور ويلتهم الأجساد التى اعتبرها المصرى القديم مهمة جدًا لعملية الوصول إلى الجانب الآخر فى رحلته للوصول إلى الحياة الثانية التى يتمناها ويريدها، ولما كان «ابن آوى» يهدد هذا الوصول، وهذا الاعتقاد الدينى المهم، بأكله للمومياء أو الجثمان أو العبت بها، أراد المصرى أن يستميله إلى جانبه متمشيًا مع المثل الشائع: «إذا لم تستطع أن تغلبهم... إذن ضمهم إليك». فجعله رمزًا لرب الحفاظ على الأجساد من البلاء والعفن. وجعله أيضًا رمزًا للتحنيط وحماية القبور، وجعل فردًا آخر من أفراد عائلة الكلاب رمزًا لفتح الطرق والبوابات فى العالم الآخر. وأطلق عليه «ويب - واويت». أما «ابن آوى» فقد أطلق عليه اسم «إينبوه» (أنوبيس).



منظر منحوت لابن آوى - حديقة المتحف المصرى - القاهرة



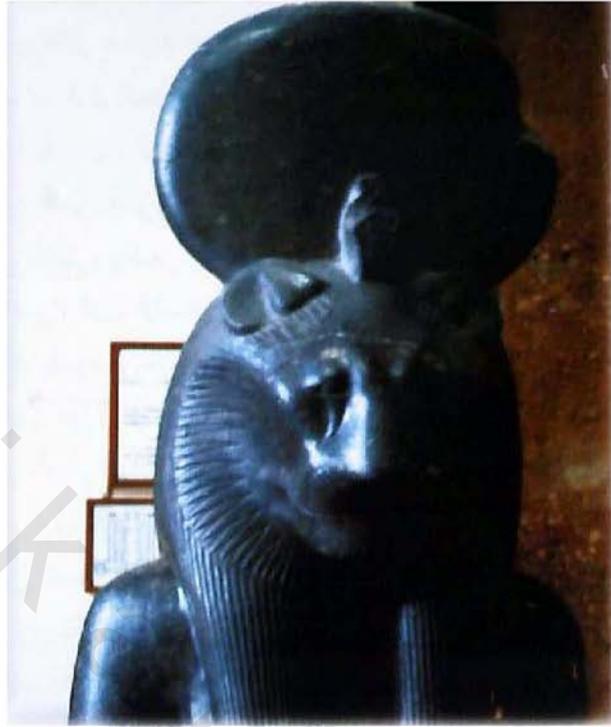
تيجيل ابن آوى كان واجبًا دينيًا عند المصرى القديم

ولأنوبيس عدة تماثيل ومناظر ملونة بالمعابد والمقابر. فيكاد لا يوجد معبد أو مقبرة في مصر القديمة إلا وتجد بها نصًا مكرسًا أو منظرًا ملونًا للرب «أنوبيس». وكان دائمًا ما يطلى باللون الأسود، ويمثل وأذناه مرفوعتان؛ وذلك لسبب ألا وهو أن المصري كان يريده دائمًا في حالة استعداد وتأهب للهجوم على الأعداء أو الأرواح الشريرة. ومن أجمل التماثيل لأنوبيس هو التمثال الخشبي الأسود الموجود الآن بالمتحف المصري بالقاهرة ضمن مجموعة الملك الذهبي «توت عنخ آمون»، وهو تمثال غاية في الدقة حيث تظهر تفاصيل الوجه والذيل والجسد، بل وعظام القفص الصدري بشكل تشريحي بديع. ويعتقد البعض أن داخل ذلك التمثال الخشبي مومياء حقيقية محنطة لحيوان «ابن آوى». ويعتقد بعض العلماء أن حيوان أنوبيس ليس «ابن آوى» في الحقيقة، ولكنه حيوان من فصيلة الثعالب؛ لأن الذيل المبين في المناظر المنحوتة والتماثيل والتماثيل لأنوبيس أطول من ذيل «ابن آوى»، ويماثل ذيل الثعلب الصحراوي الذي يقطن الصحراء المصرية، وقد حُنطت أيضًا الكلاب وتم الكشف عنها في جبانات أسيوط والأقصر، بل وفي وادي الملوك.

وفي حالات أخرى كان المصري القديم يتقى شر حيوان بعينه فيعينه رمزًا لرب أسطوري، وأقدم مثال لهذا هو حيوان الأسد، ففي منطقة حوض كوم أمبو بجنوب مصر، وُجدت مقابر بها عظام أسود ترجع إلى عصور ما قبل الأسرات، وهذا دليل على تبجيل المصري البدائي لهذا الحيوان القوي. وقد استمر هذا التبجيل لمدة طويلة جدًا مستحضرًا قوة الحيوان ومجسّدًا إياها. يحضرننا هنا نص يقول فيه الملك «رمسيس الثاني» واصفًا نفسه: «أسد قوى، مخالب ممتدة وزئير مخيف يرعد في الوادي حيث يوجد وحش الصحراء». وفي هليوبوليس كانت قصة الخلق الأسطورية تقول بأن أول ريين مقدسين خلقهما الرب «آتوم» كانا شبلين (واحدًا ذكرًا والآخر أنثى) وهما مسئولان عن شروق الشمس وغروبها. وبالتالي أصبح الأسد بنوعيه - الذكر والأنثى - هو أول رمز يربط الشمس بالأبدية والبعث، وهو ما اعتمدت عليه الديانة المصرية القديمة على مدار آلاف السنين كقاعدة دينية صلبة انطلق منها الكثير من الاعتقادات الدينية المصرية القديمة.

وقد كانت «سخت» هي أنثى الأسد القوية التي تمثل الرعب والحماية والرعد والبرق والحروب! أما عن العجل فقد كان رمز الخصوبة والقوة البدنية الدائمة، وقد أطلق عليه اسم «أبيس»، وقد كان الملك الحاكم يطلق على نفسه لقب الثور القوي أو العجل المخصب، وقد تم تحنيط العجل ودفنها في توابيت ضخمة توزن العديد من الأطنان تصل في بعض الأحيان إلى ٨٠ طنًا، مثل تلك التي تم الكشف عنها في سراديب السرابيوم بسقارة، ولم يكن يتم اختيار





الربة الأسطورية سخمت - المتحف المصري - القاهرة



الجعل أو الجعران كان رمزًا للشمس والأبدية - المتحف المصري - القاهرة

العجل المقدس بطريقة بسيطة أو عشوائية. فلم يكن أى عجل مقدس (وكذلك الحال فى أغلب الحيوانات). بل هو عجل مختار به مواصفات خلقية كثيرة وضعها الكهنة، بسبب صعوبة توفر كل تلك الصفات فى العجول، كان للنجاح فى الوصول إلى أحد هذه العجول احتفالية كبيرة يفرح لها المصريون، ويمزنون أيضًا حزنًا شديدًا إذا ما نفق هذا العجل. وهذه المواصفات المراد توافرها فى العجل هى: أن يكون أسود اللون بعلامة بيضاء على هيئة ماسة على الجبهة، مع منظر طبيعى يشبه طائر العقاب على الظهر، وشعر مزدوج فى ذيله، وعلامة طبيعية تشبه الجعران (الجعران هو نوع من أنواع الخنافس) تحت اللسان. ومن هنا، نعلم أنه لم يكن سهلًا أن يختار الكهنة هذا العجل المخصوص أو أن يجدوه، وبعد وفاته يتم تحنيطه على موائد كبيرة مخصصة لهذا مصنوعة من الألباستر، وقد تم الكشف عن أمثلة عديدة لهذه الموائد فى منطقة «ميت رهينة» بشبرامنت بالجيزة، وقد بدأت عبادة العجل «أبيس» منذ بدايات عصر الأسرات - ومحمتم أن تكون قبلها - واستمرت حتى العصور اليونانية والرومانية حتى إن الإمبراطور «هادريان» قد أمر بنحت تمثال بديع لعجل «أبيس» وهو الآن داخل المتحف اليونانى الرومانى بالإسكندرية. وقد تم اكتشافه بجانب المكتبة الصغرى وعمود السوارى بالإسكندرية. وكانت من أكبر أخطاء الحاكم «قمبيز» الفارسى أنه أمر بذبح العجل «أبيس» قاصدًا، وهو ما اعتبره المصريون إهانة كبيرة.

ومن أكثر الأرباب الأسطوريين ارتباطًا بتحنيط الحيوانات والطيور كان الرب «جحتى» أو «تحت»، وقد كان يُرمز له بقرد البابون وطائر أبى منجل ذى المنقار الطويل المنحنى. و«جحتى» كان رمز العلم والحكمة والعدل، والكلمة والشفاء، والطب وأشياء كثيرة. وقد تم الكشف عن آلاف وآلاف من طائر أبى منجل والقروء المحنطة فى دهاليز وسراديب تحت الأرض فى منطقة تونا الجبل بالمنيا، وبوادي الملوك بالأقصر. ويوجد الآن عدد من مومياوات القردة بغرفة الحيوانات المحنطة بالدور العلوى بالمتحف المصرى بالقاهرة، وهى فى حالة ممتازة من الحفظ لدرجة أنه لا يصعب للناظر أو الزائر أن يرى تفاصيل الشعر والظفر لهذا الحيوان النشط. ومن القصص المثيرة أن مجموعة من البريطانيين جاءوا فى الماضى وسرقوا مئات الجثث المحنطة لطائر أبى منجل (Ibis)، ونقلوها إلى مدينة ليدز بول بإنجلترا، حيث تم خلط الجثث المحنطة للطائر مع فضلات وروث الحيوانات لصنع سماد يغذى ويخصب الأراضى الزراعية البريطانية، وبذلك فقدت كميات كبيرة من طيور أبى منجل وذلك لاعتقاد الإنجليز أن الجثث المحنطة تحتوى على مواد مغذية للتربة ومفيدة للزراعة. بل إن أحد ملوك إنجلترا اعتقد بأنه إذا دهن جسده بتراب مصنوع من مومياوات المصريين القدماء بعد طحنها، سوف يعيش للأبد!



وقد تم تحنيط التمساح أيضًا، وشيدت له المعابد والمدافن في الفيوم وكوم أمبو، وأطلق عليه اسم «سوبك». أما عن تحنيط القطة (والتي أطلق عليها المصري القديم اسم «مياو» وهو أقرب إلى مواء الهرة في اللغة العربية) فقد حنطها المصري القديم كحيوان أليف ليأخذها معه إلى الحياة الأخرى عند البعث؛ لأنه اعتبر قطته الشخصية التي كانت تعيش معه في البيت شيئًا مهمًا يستحق أن يلازمه في الحياة الأخرى، وقد لفها بالكتان الفاخر ووضعها في صناديق خشبية أو حجرية، واقفة تارة ومشدودة على شكل جسد مستقيم تارة أخرى. كذلك تم تحنيط الأسماك مثل قشر البياض النيل.

واستمر حكم الأسرة الحادية والعشرين من تانيس، فحكم «آمون ام نسو»، ثم الملك «بسيوسينس الأول» وفي الأغلب هو ابن الكاهن الأعلى لآمون «بانيجيم». ويعتبر «بسيوسينس الأول» هو بحق أهم ملوك تلك الفترة المضطربة، وقد كان يحكم مصر السفلى في حين كانت مصر العليا في يد الحكام الليبيين. وعندما تم اكتشاف مقبرته على يد العالم الفرنسي «مونتيه» في تانيس كانت المفاجأة المذهلة أن الأشياء الثمينة التي وجدت كانت على مستوى عالٍ وراقٍ وقيمٍ جدًا لدرجة أن المؤرخين قارنوها بمحتويات مقبرة «توت عنخ آمون». فقد تم الكشف عن قناع ذهبي بديع، وتابوت فضي غالى القيمة للملك «بسيوسينس الأول». وقد امتدت مدة حكم الملك «عازخبر رع سبتن - آمون بسيوسينس» من عام ١٠٣٩ إلى ٩٩١ ق.م. ثم تلاه الحاكم «أمن - أموبى» الذى حكم من ٩٩٣ إلى ٩٨٤ ق.م. وبعده اعتلى عرش مصر الملك «أوسركون» وهو من أصل ليبي وحكم لمدة ٦ سنوات، ثم جاء الملك «سى - آمون»، والذى حكم من ٩٧٨ إلى ٩٥٩ ق.م، وهو الملك الذى فى عصره تمت أكبر عملية إنقاذ للمومياوات الملكية، فتم نقلها إلى خبيثة الدير البحرى بعد إعادة تحنيط بعضها ولفها مرة أخرى بلفائف الكتان وكتابة بعض العبارات لتأكيد اسم المومياء وألقابها على اللفائف الخارجية، وقد أنجز الكهنة هذه العملية تحت جناح الليل حتى لا يراهم اللصوص فيتعرفوا على مكان الدفن الجديد. وبالفعل بقيت تلك المومياوات الملكية فى أمان حتى تم الكشف عنها فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر، فتم نقلها إلى متاحف القاهرة وهذا الفعل النبيل يثبت إصرار هذا الملك على حفظ مومياوات أجداده الذين سبقوه وذلك يدحض نظرية أن كل فرعون يهدم ما بناه من قبله ويمحى اسمه، ثم اعتلى عرش مصر آخر ملوك تلك الأسرة ألا وهو الملك «بسيوسينس الثانى»، والذى حكم حتى عام ٩٤٥ ق.م.

الأسرة الثانية والثالثة والرابعة بعد العشرين

(٩٤٥ - ٧١٥ ق.م)

استمرارًا لحالة التردى وحكم الأجنبي، كانت هذه الأسرة مليئة بالأسماء اللبية مثل «شيشونق» أو «شاشانق»، و«أوسركون الأول»، و«شيشونق الثاني»، و«تاكلوت الأول»، وغيرهم من الملوك الذين تلقبوا وتسموا بنفس الأسماء، وقد كانت البداية قوية على يد «شيشونق الأول» الذى أراد أن يعيد أجماد عصور الرعامسة عندما قاد بعض الحملات العسكرية الناجحة فى آسيا لاستعادة هبة مصر فى تلك المناطق بعد فترة من الوهن والضعف، واختار تل بسطة ليكون مدينته المفضلة، وقد اختلط فى تلك الأسرة والتى تلتها الحابل بالنابل. فدبت الفرقة والاضطرابات بين أفراد القصر، وطالب العديد من الأشخاص بالحكم، فكان منهم الكاهن والعمدة والقائد العسكرى. وقد اغتصب بعضهم الحكم من بعض. واستمرت فترة القلاقل هذه فى زمن حكم الأسرة الثالثة والعشرين، حيث حكم بعضهم متخذين مدنًا مختلفة كعواصم لحكمهم مثل «هيرا كليو بولس الكبرى»، و«هير موبوليس الكبرى» (بالمنيا) و«ليونتوبولس»، و«تانيس» واحتفظوا رغم هذه الحالة المضطربة بأسماء الملوك الذين جاءوا قبلهم، فقد تم الكشف عن أسماء الملك «شيشونق الرابع» و«أوسركون الثالث»، ولم يتعرف على آثار كبيرة أو مبهرة لهؤلاء الملوك، الشيء الذى يثبت حالة الضعف والوهن التى كانت البلاد عليه إبان فترة حكمهم.

وقد زاد الغضب الشعبى من هؤلاء الأجانب، ولكن كان هذا هو وقت القواد الليبيين، فقد أحكموا قبضتهم على مقاليد الأمور، ورغم أن بعضهم قد انضم إلى قائمة أشهر ملوك مصر الكبار مثل «شيشونق» المنتصر إلا أن حالة الضعف فى أوقات أخرى وصلت إلى حد أن الأسرة الرابعة والعشرين كان بها ملك واحد فقط، ولم يكن له أية أحقية فى اعتلاء العرش وحكم البلاد، وهو الحاكم «باك أن رن إف» والذى اعتلى عرش البلاد خلال فترة قلاقل استمرت من عام ٧٢٧ إلى ٧١٥ ق.م. وبنهاية حكم هذا الملك الغامض تنتهى تلك الفترة الغريبة من تاريخ الأسرات، وتبدأ أسرة جديدة وحقبة جديدة ألا وهى الفترة المتأخرة.

العصر المتأخر (٧٤٧ - ٣٣٢ ق.م)

الأسرة الخامسة والعشرون (٧٤٧ - ٦٥٦ ق.م)

مقدمة

حكم هذه الأسرة النوبية لمصر هو نتاج تلك العلاقة الوطيدة والمتباينة بين المصريين والنوبيين. كان هناك العديد من الحكام الذين حكموا في عصور بائنة أصولهم جنوبية، وقد تضاربت الأقاويل واختلف المؤرخون حول ما إذا كان حكام مثل «أمنمحات الثالث»، و«أمون حوتب الثانى»، والملكة «تى» والملكة «أحمس نفرتيرى» كانوا جميعًا من أصل نوبى أو جنوبى، ولكن علاقة النوبيين بجنوب مصر وشاهاها مؤكدة على الصعيد الملكى والشعبى أيضًا. فنجد في كتابات المصرى القديمة كلمة واسم «نحسى» بمعنى (النوبى) أو «الأسمر». وقد أطلق المصريون القدماء على النوبة اسم «تا-سيتى» أى «أرض القوس»؛ وذلك لتمييز النوبيين في استخدام القوس والسهم في الأعمال الحربية، وكان هناك دائمًا الفرق العسكرية والفيالق النوبية ضمن أفراد الجيوش المصرية لتمييزهم وشجاعتهم وإقدامهم ولقوة أجسادهم أيضًا. ومن أهم العلاقات بين المملكتين هى العلاقات التجارية، فقد ازدهرت وانتعشت التبادلات التجارية والتعاملات الاقتصادية بينهما. فاستوردت مصر من النوبة البخور والصبغ وجلود الحيوانات والذهب وعاج الفيل وريش النعام وبيضه. وقد اضطرت القوارب والمراكب من الطرفين أن تتعامل مع الجنادل والشلالات الستة (وهى جميعًا تقع شمال الخرطوم الآن) التى كانت تعترضهم خلال رحلتهم عبر نهر النيل من وإلى النوبة. وهى جنادل مكونة من الصخور الطبيعية التى تتخللها ممرات عشوائية وقنوات مائية غير منتظمة وبأعماق مختلفة. فكان على الملاحين الانتظار حتى وقت حدوث الفيضان فيرتفع منسوب المياه ليغضى كل تلك الصخور، وبذلك يتسنى لهم الإبحار عبر الجندول أو الشلال،



والجندول المصرى الوحيد موجود حتى الآن فى أسوان، وهو الذى شيد بجانبه سد أسوان القديم، وكانت هناك الممالك النوبية القوية والتى حكمت النوبة العليا فى الجنوب الأقصى والنوبة الوسطى والنوبة السفلى بشمال السودان، ومنها من حكمت جنوب مصر دون شهاها، ومنها من حكمت كل مصر، واتحد فى تلك الأزمنة الجيشان المصرى والنوبى؛ ليحاربا الآسيويين دفاعًا عن مملكتى مصر والنوبة.

وقد حكمت تلك الأسرات النوبية القوية مصر قرابة ثلاثة أرباع القرن، ولكن عمر الحضارة النوبية يصل إلى ٢٥٠٠ عام، وقد تميزت عن كل الحضارات والممالك والأسر النوبية الكوشية (كان اسمها مملكة كوش) والنباتية (نباتا هى أهم مركز سياسى لمملكة كوش) ثلاث فترات زمنية وصلت فيها الحضارة النوبية إلى أوج مراحلها. وهى حضارة «كيرما» (٢٠٠٠ - ١٥٠٠ ق.م)، وحضارة «نباتا» (٧٥٠ - ٢٧٠ ق.م)، وحضارة «المروى»، والتى استمرت حتى سقوط المملكة النوبية فى حوالى ٣٢٠م. وقد تم الكشف عن آثار تلك الحضارات العريقة، والكشف عن معابدها وأهراماتها العديدة على يد الأثرى الأمريكى «جورج ريزينير» بين عامى ١٩١٦ إلى ١٩٢٣م، والذى أكد وجود تسعة عشر مدفناً «نباتى» فى منطقة «نورى» بالنوبة العليا (حوالى ٢٥ كم جنوب غرب الجندول الرابع بالقرب من «نباتا»). أما فى منطقة «مروى» (على البر الشرقى لنهر النيل بإقليم بوتانا السودانى الآن) فقد تم اكتشاف معابد الأرباب المصرية بجانب الأهرامات النوبية. وفى منطقة «الكورو»، والتى تبعد حوالى كيلو ونصف الكيلو متر غرب نهر النيل، و١٦ كم من جبل بركل المقدس لدى النوبيين، تم الكشف والتنقيب فى ٣٦ مدفناً ملكيًا. «الكورو» كانت المكان المفضل للدفن لدى حكام الأسرة الخامسة والعشرين النوبية مثل «كاشتا» و«ببى» و«شاباكا»، و«شيبيتكو» و«تانوتامون» ومعهم مقابر ١٤ ملكة وعدد من الأشخاص المتميزين، ولكنهم غير معروفين بالاسم لدينا. ملك واحد فقط قرر عدم بناء مدفنه بـ «كورو». كانت أغلب أهرامات «كورو» تتميز بزوايا انحدار حادة (تصل إلى ٦٨ درجة أحيانًا) وتتفرد عن أهرامات مصر بأن كان لدى كل هرم معبد ومدخل مبنيان فى الناحية الغربية للهرم، ولكن كانت جبانة «نورى» تساوى ضعف جبانة «كورو» من حيث المساحة، وتحتوى على مدافن الملوك النوبيين فى الفترة ما بين حكم الملك «طهرقا» (صاحب أكبر أثر ملكى فى مملكة كوش كلها وهو هرمه بمنطقة نورى) إلى الملك «ناستاسين»، والتى وصلت إلى ثلاثة قرون ونصف القرن. ومن هنا يظهر جليًا تأثر النوبيين بالمعمار المصرى، وظهر أيضًا واضحًا تأثر المصريين بالأرباب



النوبية، بل وتسمية بعض الأرباب المصرية بأسماء نوبية كما حدث في معبدى أبى سُمبل. وكان هذا عكس ما حدث بالدلتا من قبل الحكام الليبيين الذين أهملوا المعابد و المقاصير المصرية، ولكن النوبيين كانوا حريصين على تكريس المعابد والأصروح، سواء داخل معابد الكرنك أو في جبل بركل المقدس بالنوبة. تم التزاوج بين المملكتين بمباركة الشعبين وحكامهم، فامتزج الدم المصرى والنوبى معًا؛ ليصبح دمًا واحدًا مكونًا من عنصرين متجاورين من نفس القارة والأصل الجغرافى، يربطهم نهر طويل عظيم، عاشوا على ضفافه ليسطروا فصولًا جديدة من تاريخ أمة عتيدة. ومن الممكن أن نقول مؤكدين إن حكم النوبيين لمصر في تلك الفترة، أرجع مصر القديمة - إلى حد كبير - إلى شكلها وشخصيتها القوية الأصلية. إذن، فقد تمصر النوبيون وتنوب المصريون (إذا جاز التعبير).

الملك بعنخى أو بيبى

رغم أنه كان للملك النوبى «كاشتا» السبق في الدخول إلى أسوان بجيوشه، حيث أبدى إعجابه بالأرباب المصرية الأسطورية، ولكن من الأصح أن نعتبر أن المؤسس الحقيقى لهذه الأسرة القوية هو الملك «أوسر - ماعت - رع بيبى - عنخ - إى مرى آمون». ويفضل أغلب المؤرخين أن يطلقوا عليه «ببى - Piye». وقد سار هذا الملك على درب الحضارة المصرية ودرس معايير الفكر الفرعونى، فبنى لنفسه هرمًا لكى يُدفن به بعد تحنيطه على الطريقة الملكية المصرية. وقد أكد العلماء أنه أول ملك بنى هرمًا في مملكة «كوش» النوبية، ورغم أنه الآن مُحطم، إلا أن بقاياها جعلت الدارسين يتعرفون على سماته والتي منها أنه كان لديه درج طويل مكون من ١٩ درجة في الجانب الشرقى للهرم يؤدي إلى غرفة الدفن. وكانت زاوية الانحدار ٦٨ درجة، وقد حكم هذا الملك القوى والجرىء مصر من عام ٧٤٧ إلى ٧١٦ ق.م. وهو حكم لم يخل من المغامرات العسكرية، فقد زحف تجاه الدلتا حتى وصل إلى مدينة «سايس»؛ ليقضى على تلك المحاولة الثورية التى قادها حاكم الدلتا «تيف - نخت»، وبالفعل تم له الفوز على الحاكم الدلتاوى الذى لم تنجح محاولته في الاستقلال بمملكة خاصة به، منفصلة عن الجنوب في الدلتا. ورجع «ببى» سالمًا من الشمال إلى جنوبه المفضل محملاً بالذهب والفضة والأخشاب، عاد سعيدًا مزهوًا بإنجازاته. ولما توفى «ببى» بعد حكم ملىء بالازدهار تم دفنه في هرمه وبجانبه أربعة من خيوله المفضلة التى أراد أن يتمتع باستخدامها والنظر إليها في الحياة الثانية.

أمندريس، الأخت والابنة الملكية النوبية

تعتبر الأميرة «أمندريس»^(١) النوبية من أهم الشخصيات النسائية التي عاصرت فترة التأسيس الحقيقية للأسرة الخامسة والعشرين الكوشية. كانت ابنة الملك «كاشتا» وأخت الملك «بيعنخي» أو «بى»، وقد حصلت على ألقاب ملكية عديدة مما يثبت أهميتها كشخصية دينية وسياسية، فقد كانت «الزوجة المقدسة» و«العابدة المقدسة آمون فى طيبة» و«محبوبة أوزوريس»، وقد شُيدت لها المعابد، ونُحتت لها التماثيل البديعة، ومن أهم معابدها هو معبدها بمدينة هابو بالبر الغربى بالأقصر، وهو مشيد على يسار الزائر لهذا المعبد الضخم: «معبد مدينة هابو»، والوصول إليه سهل، حيث من الممكن دخوله من الفناء الأول للمعبد الكبير بعد عبور البوابة الثانية، وقد اكتشف العالم الأثرى الشهير «أوجست مارييت» عام ١٨٥٨ م تماثلاً لـ «أمندريس» منحوت من الألباستر (الكالسيت) ويعتبر بحق من أجمل ما أفردته تلك الحقبة. ويعتبر من النتائج الإيجابية ومن المواليد الأصحاء الذين وُلدوا من رحم تلك الحضارة المتألفة والمتزاوجة فى سعادة، الحضارة المصرى-نوبية.

يبلغ ارتفاع التمثال حوالى ١٧٠ سم، وقد تم الكشف عنه فى معبد «مونتو» الرب الأسطورى بمعابد الكرنك، وقد تأثر المكتشف «مارييت» بشخصية «أمندريس» لدرجة أنه كتب سيناريو وصمم المناظر المسرحية لأشهر أوبرا مصرية قديمة ألا وهى «أوبرا عايدة» سارداً قصة حياة الأميرة «أمندريس» والتي أرادت أن تخلد ذكراها بوضع اسمها داخل خرطوش ملكى، فإذا بها تشتهر أيضاً عبر أشهر الأعمال الأوبرالية فى تاريخ الفن، ولكن ولصعوبة اسم «أمندريس» على المغنيين الأجانب، قرروا أن يغيروا اسمها فى الأوبرا إلى «عايدة» وهو اسم ليس له علاقة بحقيقة «أمندريس» أو تاريخها.

الملك شباكا

الملك «نفر - كا - رع شباكا» هو ثانى الملوك الكوشيين فى الأسرة النوبية الخامسة والعشرين، وقد حكم من عام ٧١٦ إلى ٧٠٢ ق.م، وقد كان لهذا الملك شخصية عسكرية قوية، حيث نجح فى القضاء على نفوذ الملك «باك إن رن إف» الصاوى (الأسرة الرابعة والعشرون) بالذلتا. وبدا واضحاً أنه رغم القوة العسكرية التى أظهرها النوبيون والمصريون فى هذه الفترة كانت هناك مملكة أخرى تتوسع وتتوغل فى آسيا متجهة إلى الغرب حيث أرض كنعان ومصر. هذه المملكة

(١) أسمها الأصلى ينطق هكذا: «إيمن - إر - دى. إس».



هى المملكة الآشورية، والتى نازلت الملوك النوبيين فى أكثر من موقعة تباينت فيها الانتصارات والانسكارات عند الطرفين.

وبدا جليًا الازدهار الأدبى فى عصر الملك «شباكا» والعودة إلى الأصول المصرية الفنية، حيث ترك لنا عصر هذا الملك التماثيل المنحوتة على الشاكلة الفرعونية والنصوص الدرامية والدينية التى لها علاقة بقصة الخلق، وكانت أيضًا هناك طفرة فى عملية بناء السدود لحماية وادى النيل من الفيضان. وقد استنبط الملك «شباكا» نفس الفكر الملكى المصرى القديم وسار على دربه، فلقب نفسه بنفس لقب الملك «ببى الثانى» الدولة القديمة - وجعل أخته «أمرديس» ذات سلطة دينية وسياسية، ووضع ابنه «حور - ما - آخت» ككاهن أعلى للرب «أمون» فى طيبة. وهذا الأمير تمثال من الحجر الأحمر بمتحف النوبة بأسوان الآن، وهو أعلى ما وصل إليه فن النحت فى هذه الفترة. ونشط «شباكا» فى بناء المعابد ووضع اسمه وألقابه الملكية على أغلب المعابد المهمة مثل: الكرنك، وأبيدوس، ومنف، وإسنا وغيرها. وقد دُفن فى هرم فى منطقة «كورو»، وكان لهذا الهرم غرفتان للدفن، تم تجميل جدرانها بالمقولات السحرية الدينية التى تضمن للمتوفى حياة ثانية كريمة، وهى نفس النصوص المصرية القديمة التى آمن بها ملوك الأسرات المصرية من قبل. سُيد هذا الهرم من الحجر الرملى. وفى جبانة الخيول الملكية تم الكشف عن بقايا جوادين للملك «شباكا» تم دفنها بعد أن تم تزيينها بالأحجار الشبه كريمة، ولكن يد اللصوص وصلت لتلك المدافن، فلم يبق منها إلا القليل. ورغم أن ابن الملك «شباكا»، الكاهن الأعلى «حور - آخت» كان أيضًا هو الأمير الوراثى والحاكم وحامل ختم الوجه البحرى والابن الأكبر للملك، لكنه لم يحكم بعد وفاة أبيه؛ لأن الحكم قد انتقل مباشرة إلى الملك «شبتاكا»، وهو ابن الملك المؤسس «ببى» واسمه بالكامل «جيد - كا - رع شبتاكا»، وقد حكم حوالى ١٦ عامًا، ولما توفى دُفن كالعادة فى هرمه بـ«كورو»، ويتولى العرش بعده الرجل الذى سوف يحضر اسمه فى سجلات التاريخ بحروف من الذهب النوبى، الرجل الذى سوف يعيد أجداد «رمسيس وتحتمس»، هو الملك النوبى «طهارقا».

الملك طهارقا

الملك «نفر - تم حور رع طهارقا» هو ثالث الملوك الكوشيين الذين حكموا من «نباتا» النوبية، وقد حكم من عام ٦٩٠ إلى ٦٦٤ ق.م، وقد قاد الجيوش النوبية المصرية فى معارك عديدة ضد الآشوريين الذين كانوا قد قوى نفوذهم فى الدلتا، وفى البداية كان الانتصار من نصيبه، ولكنه هُزم بعد ذلك بسنوات قليلة واضطر إلى الانسحاب إلى «نباتا» ليحكم من هناك. وقد عضد الآشوريون



الحكام الصاويين وشدوا من ساعدهم في الدلتا ليكونوا أسداً منيعاً ضد «طهارقا» وجيوشه وليضمنوا عدم عودته؛ لأنهم كانوا على دراية كبيرة بالأوضاع السياسية في الدلتا آنذاك. وكانوا على علم أن هناك الكثير من أمراء الأقاليم المواليين لـ «طهارقا» الكوشى، فتم التخلص منهم تاركين الحاكم الصاوى «نخاو» ليكون بمثابة الشوكة في حلق «طهارقا»، وقد وصلت عمليات التشييد والبناء في عصر «طهارقا» إلى أعلى الدرجات، حيث ترك لنا هذا الملك النشيط الكثير من التماثيل، والأعمدة، والمقاصير في معابد مصر رغم إصراره على ألا يقتصب أى أثر من أى ملك قبله، وهى عادة انتشرت في بعض الأزمنة لدى بعض الحكام. وبنى معبداً في جبل «برقل المقدس» بالنوبة وكرسه لعبادة الربة «موت» زوجة «آمون».. وتميز هذا المعبد بوجود عدد من الأعمدة ذات التيجان التى نُحِتت على شكل الوجه الكامل للربة «حاتحور» الجمال والموسيقى. أما أشهر آثاره فى الأقصر فهى ذلك العمود المشيد بالفناء الأول لمعبد الكرنك، والذي يصل ارتفاعه إلى ٦٢ قدمًا. وهو واحد من عشرة أعمدة كانت تكون فى الماضى مقصورة ضخمة كرسها «طهارقا» لعبادة الرب «آمون».



الكبش كان رمز آمون المقدس

وقد كرس العديد من الأبنية للأرباب مثل معبد «أوزوريس» رب الجبانة. ووجدت آثاره فى معبد مدينة هابو والحمامات ومنف وقفت وتانيس، وقد كان الملك «طهارقا» مزواجًا، وقد تزوج من خمس سيدات على الأقل. وتوفى «طهارقا» بعد ستة وعشرين عامًا من الحكم. وقد قرر أن



عمود الملك طهارقا - معبد الكرنك - الفناء المفتوح الأول خلف الصرح الأول للمعبد

يُدفن في منطقة غير «كورو» ألا وهي منطقة «نورى» في الجهة المقابلة من النهر. وقد شرح الأثرى «تيموثى كيندال» هذه الحركة الجديدة والغير تقليدية لـ«طهارقا» بأنه أراد أن يكون هرمة متعامداً مع شروق الشمس في أول يوم من العام المصرى الجديد، وهو ما يجعله على علاقة وثيقة بفكرة وعقيدة البعث والحياة الثانية عند المصريين القدماء، ومن أهم القطع الفنية التى تركها لنا هذا الملك الفنان هو تمثاله على هيئة أبى الهول. يصل ارتفاع التمثال إلى ٤٢ سم ويظهر جسد الأسد رابضاً فاردًا ذراعيه الأماميين. وهو رمز الحماية وقوة الشكيمة. وفكرة التمثال الفنية والدينية هى أن الملك نفسه هو ذلك الأسد الحامى. تم نحت التمثال من حجر واحد من الجرانيت الوردى، ويظهر شعر الأسد على جانبيه وجه الملك بطريقة مماثلة لنفس الطريقة التى ابتكرها النحات المصرى القديم إبان الدولة الوسطى، وتم نحت ثعبانى الكوبرا الحامية أعلى الجبهة الملكية. وعلى صدر الأسد الرابض تم نحت اسم الملك داخل خرطوش ملكى. يقبع هذا التمثال الفريد ذوالحالة الممتازة من الحفظ في المتحف البريطانى بلندن.

الملك تانوتامانى

كان الملك «با - كا - رع تانوتامانى» هو آخر ملوك تلك الأسرة العتيدة، وقد حكم من عام ٦٦٤ إلى ٦٥٦ ق.م. وكانت بدايته مشجعة وتتميز بالقوة والإقدام، حيث استطاع غزو الدلتا وهزيمة الحاكم الصاوى الذى عينه الآشوريون «نخاو الأول»، ولكنه لم ينجح أن يبقى ملك مصر والنوبة لإقراة العام فقط، إذ سرعان ما اضطر إلى مواجهة الآشوريين في معركة أخرى هُزم فيها هزيمة نكراء واضطر إلى سحب جيوشه إلى الجنوب مرة أخرى. ونجح الآشوريون في إعادة الكرة بتنصيب حاكم صاوى آخر بدلاً من «نخاو الأول» الذى هزمه وقتله «تانوتامانى». هذا الحاكم الجديد فى الدلتا هو ابن الحاكم المقتول واسمه «بسماتيك الأول» وخلال السنوات الأخيرة كشف «تشارلز بونيت» و«دومينيك فالبل» عن حفرة قطرهما حوالى ٣ أمتار تحتوى على سبعة تماثيل مهمة لخمسة ملوك هم: «طهارقا» و«تانوتامانى» و الثلاثة الباقون هم ملوك أصلهم نباتى، وقد حكموا المملكة النوبية النباتية بداية من الجندول الثانى وحتى الجندول السادس، واسمهم «سينك آمانى سكن» و«أنلامانى» و«أسيلتا». وقد تم ترميم تمثال «تانوتامانى» ليظهر لنا أن الملك كان حريصاً على اتباع طريقة وشكل التماثيل المصرية الفرعونية، فقد تم نحت ثعبانى الكوبرا على الجبهة، ويغطى الملك رأسه بخوذة محكمة، ويتدلى من رقبة منظر منحوت لدلاية تظهر الكبش الحيوان المقدس الذى كان يرمز للرب «آمون» المصرى الأسطورى، وهذا الكشف مهم للغاية لأنه يثبت



كيف أن أهم الملوك الكوشيين كانوا حريصين على اتباع التقليد المصرى فى السياسة والفن على حد سواء. ويعتقد بعض المؤرخين أن هذه التماثيل قد تم تدميرها على يد الملك «بسماتيك الثانى» الذى حارب الكوشيين والنوبيين وهزمهم، وبعدها قرر تحطيم تماثيلهم ووضعها فى حفرة لإنهاء ذكراهم ومحو تاريخهم بل وحياتهم الأبدية.

هذا الاكتشاف مكانه فى مدينة «بنابس» القديمة، وهى منطقة «دوكى جيل» الآن، شمال كرمة بـ«السودان»، وقد وضع هذا الكشف المذهل تلك المنطقة على خريطة الآثار فى العالم لأنه من المتوقع ازدياد الاهتمام بتلك الأماكن التى تظهر الربط بين حضارة مصرية تم دراستها باهتمام واستفاضة والحضارة النباتية المروية، الكوشية، النوبية السودانية، والتى لم تحظ حتى الآن بنفس الاهتمام العالمى من قبل الدارسين والباحثين. النوبة ما زالت تحمل العديد من الأسرار القديمة، ويُذكر للملك «تانوتامانى» أنه قد ترك بين آثاره ومقاصيره لوحة من الجرانيت الوردى يروى فيها حُلماً جاء فيه عدد من الرباب المقدسات ليؤكدوا له أنه سوف ينتصر ويتولى عرش القوة والعنفوان. وهذا بالطبع يذكرنا بنفس الفكرة المصرية القديمة، والتى اتبعتها الملك «أمونحوتب الثانى»، والملك «تحتمس الرابع» صاحب لوحة الحلم التى تقبع فى سكون بين أيدي تماثيل أبى الهول بالجيزة، وقد نقل الملك النوبى نفس فكرة ظهور الأرباب فى الأحلام والنبوءات التى ابتكرها هؤلاء الملوك المصريين للوصول إلى مآربهم، سواء كانت هذه الرغبات هى الوصول للعرش وإضفاء الشرعية عليهم أو الانتصار المدوح من الأرباب، وحرص الملك «تانوتامانى» على أن يُدفن فى هرم بمنطقة «كورو» بجوار مقبرتين لجوادين من جياده كعادة الحكام الكوشيين.

نهاية الأسرة الخامسة والعشرين

وبنهاية حكم آخر ملوك هذه الأسرة يُسدل الستار على واحدة من أقوى الأسر فى تلك الحقبة. زمن القوى الكوشية والعنفوان العسكرى النباتى، زمن الفن النوبى المتأثر بالمصرى، زمن انفصال قوى الحكم فى الدلتا الصاوية المعضدة من جانب الآشوريين بقيادة ملوكهم مثل «إسرحدون» و«آشور بنيبال»، عن قوى الجنوب الذى كان يديره الكوشيون بالاسم واللقب فقط، ولكن الحاكم الحقيقى الذى يدير دفة الأمور كان فى الحقيقة - كما ذكرنا آنفاً - مديرى بيوت العابدات المقدسات (كاهنات لهن نفوذ كبير داخل وخارج المعبد). لكن، وعلى الجانب الآخر عاشت واستمرت الكثير من العادات والتقاليد الموروثة من المصريين مثل بناء الأهرامات والتماثيل المصرية الشكل، فكانت النتيجة نصوحاً وفنوناً وديانة مصرية نوبية، فى خليط حضارى لم تستطع رياح الوقت أن تمحو سماتها.



خريطة
النوبة



خريطة
النوبة
القديمة

الأسرة الصاوية

الأسرة السادسة والعشرون

(٦٦٤ - ٥٢٥ ق.م)

هذه هي الأسرة التي طالما نافست الأسرة الكوشية النوبية ودارت بينهما الحروب، وقد كانت هي الأيدي الطويلة للأشوريين في منف والدلتا بصفة عامة. وهي أيضًا الأسرة التي وضعها الآشوريون كحائض منيف منيع لوقف أية محاولة للنوبيين للتقدم شمالاً. وقد تم أشورة بعض الصاويين (جعلهم يولون بالفضل والانتفاء لمملكة «أشور» رغم أنهم في البداية كانوا ألد أعدائها) مثل «نخاو الأول» و«بسماتيك الأول» والذي يُعتبر المؤسس الحقيقي لهذه الأسرة الصاوية، وقد حكم «بسماتيك الأول» من عام ٦٦٤ إلى ٦١٠ ق.م، وقد كان حكم هذا الرجل هو بداية ظهور الأجانب الإغريق في منطقة الدلتا، حيث استعان بهم كمرتزقة في فرض سطوته على الدلتا، وقد تزوج من «محيث - إن - وسخت» فأنجبت له الأميرة الكاهنة «نيتوكريس الأولى» و«ميريت - نيت» وملك المستقبل «نخاو الثاني»، ويعتبر الملك «واح - إم - إيب - رع نخاو الثاني» هو ثالث الملوك الصاويين، وقد حكم من عام ٦١٠ إلى ٥٩٥ ق.م، وقد كان هذا الملك العديد من الإنجازات، وعاصر العديد من الأحداث المهمة في المنطقة، وساعده في هذه أنه كان ملكًا مبتكرًا، مفكرًا ومبدعًا ولا يخشى أن يدخل في تجارب محسوبة، ومن هذه الأحداث والإنجازات:

١- شق قناة تصل الفرع البلوزي لدلتا نهر النيل بالطرف الشمالي للبحر الأحمر.

٢- بناء أسطول بحري كبير هو الأول والأقوى من حيث ضخامة وكثرة عدد المراكب والسفن وطريقة الأداء.



٣- انهيار الدولة الآشورية، الحدث الذي شجعه على غزو أرض كنعان وفرض سطوة المملكة المصرية مرة أخرى على تلك المناطق بعد فترة طويلة من الغياب .

٤- ظهور القوى البابلية في الأفق واحتلالها مكانة مرموقة على الخريطة الجغرافية والسياسية العالمية.

٥- عاصر عصر النهضة والازدهار اللذين أتت بهما هذه الأسرة. فانتشرت عمليات ترميم المعابد والآثار المصرية، وتمت عمليات نقل ونسخ الكثير من النصوص الأدبية والدينية من أصولها المهتدة بالضياح أو الدمار.

٦- عاصر ظهور الملك القوى «نبوخذ نصر» البابلي الشهير.

ويتوفى «نخاو الثانى» بعد حياة حافلة مليئة بالإبداعات ويدفن فى منطقة «سايس» بالدلتا، ولم تكن موميائه عند اكتشافها فى حالة جيدة.

ويتولى العرش من بعده ابنه «بسماتيك الثانى»، ورغم حروبه الكثيرة ضد النوبيين ومحاولاته الناجحة فى الحفاظ على الأراضى المصرية من الغزوات الخارجية إلا أنه سار على نفس درب والده من إنجازات معمارية وبنيات دينية، وقد حكم بعده ست سنوات تاركاً آثاراً له فى مناطق عديدة مثل «صا الحجر»، و«تل بسطا»، و«ليتوبوليس» (أوسيم)، و«أبو صير» بالجيزة، و«تانيس»، و«الأشمونيين» بالمنيا، و«هليوبوليس» والإسكندرية ودمنهور (الجدير بالذكر هنا أن الإسكندرية ودمنهور لم يكونا يميلان تلك التسمية بعد).

ثم يأتى إلى عرش مصر الملك «واح-إب-رع بريس»، ولكن ما زال الكثير من أمهات الكتب تفضل إطلاق اسمه الهيروغلىفى «واح-إب-رع» عليه غير عابئين بالتصحيف الإغريقى لاسمه المصرى. وهو رابع ملوك الأسرة الصاوية المجددة المرمة الداعية للأجانب من إغريق وفينيقيين، وقد حكم لمدة ١٩ عامًا، كانت مزيجاً من الاهتمام ببناء المعابد وإضافة المنشآت الدينية وبين حروبه ضد «نبوخذ نصر الثانى»، ومحاولاته لحماية حدود مصر الشمالية. وإبان عصر هذا الملك ظهرت شخصية قوية، ولكن لا يجرى فى عروقها الدم الملكى، أصل عائلته غامض، هو القائد العسكرى «خنم-إب-رع أحس سانيت»، أو «أحمس الثانى»، وقد استولى هذا القائد على الحكم بعد إزاحة الملك السابق عن طريق ثورة ليبية قامت ضده. وحكم البلاد من عام ٥٧٠ إلى ٥٢٦ ق.م، وهى مدة حكم طويلة وصلت إلى ٤٤ عامًا. وقد أطلق عليه الإغريق اسم «آماسيس»، وأطلق عليه

أيضاً اسم «أموسيس»، وقد نُحتت له التماثيل التي تُظهره بشكل فرعونى أصيل. وقد أكمل مسيرة أفراد الأسرة السادسة والعشرين في بناء المعابد بالدلتا وأبيدوس، وشيد لنفسه مقبرة في «سايس». وفي وقته بدأت قوة الفرس تظهر بشدة وبخطورة مهددة المملكة المصرية. فمن الخارج، كان هناك الأخطار الشمالية والغربية، ومن الداخل كان الإغريق الذين قطنوا بعض المدن المصرية وخصوصاً الشمالية منها، قد تحولوا من مجرد مرتزقة في الجيش المصرى إلى تجار. وكانوا هؤلاء هم النواة التي سوف تفرز فيما بعد إغريقاً ذوى مناصب عالية في القصر الملكى، بل وقواداً للجيش المصرى نفسه. وقد وصف «أحمد بدوى» عهد الملك «أماسيس» (أحمس الثانى) في كتابه «هيرودوت» وهو يتحدث عن مصر بأنه: «أشبه بصحوة الموت»، يقول: «فهى (يقصد مصر) قد بلغت بين يديه (يقصد أحمس الثانى) أقصى ما كان يمكن أن يُهبأ لها من مكان، فراجت تجارتها، وازدهرت ثروتها، ونشطت حركة البناء في عمارتها الدينية». ويشبه «أحمد بدوى» عصره (يقصد أحمس الثانى) بعصر الملك «أمونحوتب الثالث». حينها يقول: «يكاد عصر «أحمس الثانى» من هذه الناحية يشبه عصر «أمينوفيس الثالث» (يقصد هنا الملك المصرى «أمونحوتب الثالث» ملك الأسرة الثامنة عشرة) الذى عاشه المصريون قبل عصر «أماسيس» بثمانية قرون، وقد اتصف بالذكاء والحنكة السياسية والديبلوماسية الدولية التى وضحت جلياً عندما بعث بابنته إلى ملك بلاد فارس ليتزوجها، وبالتالي يأمن شره. وقد اتهمه بعض كتاب التاريخ بأنه كان أيضاً يحب اللهو ويهوى الشراب. وقد ورث ابنه «بسماتيك الثالث» عرش والده في عام ٥٢٦ ق.م، ولم يستمر عليه أكثر من ستة أشهر. وكانت نهايته محزنة، حيث تم إعدامه على يد الملك الفارسى «قمبيز» والد «قورش» والذى كان قد احتل العديد من الممالك الآسيوية مثل «ليديا» و«ميديا» و«بابل»، فترك لابنه من زوجته «كاسندانى» ميراثاً ضخماً ومملكة شاسعة مترامية الأطراف، وبمقتل «بسماتيك الثالث» أسدل الستار على الأسرة السادسة والعشرين التى أطلق عليها بعض المؤرخين أسرة النهضة..



المؤلف في كوم أوشتيم - طريق القاهرة - الفيوم

الفترة المتأخرة

الأسرة السابعة والعشرون

(٥٢٥ - ٤٠٤ ق.م)

الأسرة الفارسية

مؤسس هذه الأسرة الأجنبية هو الملك الفارسي الشديد البأس «قمبيز»، والذي حكم من عام ٥٢٥ إلى ٥٢٢ ق.م. وهو ابن الملك الغازي «قورش»، والذي توفي في أواخر عام ٥٢٩ ق.م بعد حياة مليئة بالغزوات والانتصارات، ولكنه لم يعيش حتى يرى نهر النيل. ولكن كان ابنه «قمبيز» أوفر حظًا، وقد حُكمت مصر في عصره من العاصمة «منف» (ممفيس - ميت رهينة بشبرامنت - الجيزة) ولكن لم يختلط الفرس مع المصريين كما فعل النوبيون الكوشيون والليبيون من قبلهم والمقدونيون واليونانيون من بعدهم. بل لقد اتهم بعض كتبة التاريخ الملك «قمبيز» بأنه ذبح عجل «أبيس» المقدس لدى المصريين القدماء متحدثًا بذلك الشعور الديني لدى كهنة المعابد، ومؤكدًا عدم احترامه للديانة المصرية القديمة. ومن الجدير بالذكر أن «قمبيز» كان واحدًا من ملكين فارسين كانا قد زارا مصر على مدار الحكم الفارسي للبلاد. بل إن الحد وصل إلى أن عددًا ليس بقليل من الملوك الفرس إبان الأسرة السابعة والعشرين لم يتخذوا ألقابًا فرعونية ملكية. ولشساعة المملكة الفارسية، كانت البلاد تحكم عن طريق «ساتراب»، وهو أشبه بالوالي العثماني الذي كان يوليه الباب العالي بالأستانة. وقد مات «قمبيز» بعد أن أصابته لوثة عقلية، ويعتلى عرش مصر بعده الملك «دارا الأول» الذي كان مهتمًا بالإنشاءات ودون اسمه في معابد الكرنك وهيبس بواحة الخارجة في الصحراء الغربية المصرية وبمدافن العجل المقدس «أبيس» بالسرابيوم بسقارة، وقد حكم من عام ٥٢٢ إلى ٤٨٦ ق.م توجهًا بمحاولة جادة مثمرة في شق



قناة مائية تصل بين شرق الدلتا والبحر الأحمر. وانغمست الإمبراطورية الفارسية في حروبها ضد اليونان. وتوالى الحكام الفرس على مصر مثل «زيركس الأول» (٤٨٦ - ٤٦٥ ق.م) ثم «أرتاكسير كسيس الأول» (٤٦٥ - ٤٢٤ ق.م) ثم «دارا الثاني» (٤٢٤ - ٤٠٥ ق.م) حتى «أرتاكسير كسيس الثاني» (٤٠٥ - ٣٥٩ ق.م) وهو آخر ملوك هذه الأسرة التي لم تضيف الكثير من الإنجازات المعمارية؛ لأنها لم تؤمن بالعقيدة المصرية القديمة، ولم تُظهر الاحترام الكافي لها. ولذلك اعتبرهم المصريون بحق من الغزاة المغيرين، فرفضوا النفوذ الفارسي. ولم يتخلص المصريون من الفرس إلا عندما هزمهم «الإسكندر الثالث» المقدوني ناهياً الأسرة الواحدة والثلاثين الفارسية، آخر الأسرات، ولكن قبل هذا الحدث الكبير حكمت مصر الأسرة الثامنة والعشرون بقيادة الصاوي «أميرتايوس» لمدة ست سنوات فقط، وبذلك تعتبر هذه الأسرة هي من أصغر الأسر من حيث مدة الحكم، وقد دونها ووثقها لنا المؤرخ «مانيتون السمنودي»، وقد حكم هذا الملك مصر مستغلاً فترة ضعف فارسية، ولم يترك «أميرتايوس» أى أثر نستدل به عن أسرته أو إنجازاته، ولكنها كانت فترة الضعف والوهن والاحتلال التي كانت تمر بمصر القديمة رغم المحاولات الفردية لإنقاذ الموقف. وقد جاء الملك «نفرتيس الأول» من بعده ليؤسس الأسرة التاسعة والعشرين. وتوالى الحكام مثل «باشير إن موت» و«هاجار» أو «هاكور»، والذي استمر حكمه للبلاد من عام ٣٩٣ حتى ٣٨٠ ق.م. استعاد هذا الملك زمام الأمور وأنجز بعض المنشآت وتحالف مع القبرصيين ليكون قوة عسكرية لا يستهان بها كانت جديدة بالاحترام، وقد استطاع من خلالها صد كل محاولات جيوش الفرس في دخول مصر واحتلالها مرة أخرى. وتنتهى هذه الأسرة بعد أن نجح الملك «نقتانبو الأول» في عزل آخر ملوكها «نفرتيس الثاني» بعد مدة حكم قصيرة.

الأسرة الثلاثون (٣٨٠ - ٣٤٢ ق.م)

حكم الملك المؤسس لهذه الأسرة واسمه «خبركا-رع نقتانبو الأول» من عام ٣٨٠ إلى ٣٦٢ ق.م. ونلاحظ من اسمه ولقبه عودة الأرباب المصرية القديمة للساحة الدينية في محاولة لاستعادة وضعها في القصر الملكي والمعبد على حد سواء. وقد بدا ذلك جلياً أيضاً في انتشار العبادات وتحنيط الحيوانات المقدسة، ورغم أن «نقتانبو الأول» كان من سمنود إلا أن إنجازاته المعمارية كانت ظاهرة في طول البلاد وعرضها، فتجده في الكرنك بالأقصر وفيلة بأسوان وغيرها من الأماكن، وقد نجحت هذه الفترة إلى حد كبير في تأكيد الهوية المصرية لمصر العليا والسفلى، وعدم الخضوع

السياسى والعسكرى، بل والفنى للغزاة الأجنب، وتلاه على عرش مصر بعد فترة من الهدوء والسلام الداخلى للبلاد الملك «تاخوس» أو «إر - ماعت - نى - رع زحر - ستب - ن - أنحور». ويحلوا لبعض المؤرخين تسميته «تيوس» و«تاوس» و«زخر»، ورغم قصر مدة حكمه (حكم لمدة عامين فقط، من ٣٦٢ إلى ٣٦٠ ق.م) إلا أنه كانت لديه الجرأة والشجاعة فى مهاجمة الفرس (أقوى جيش عسكرى فى العالم فى ذلك الوقت). وكما كان «تاخوس» قائداً عسكرياً ماهراً، كان كذلك فى عالم الديبلوماسية، فقد عقد الكثير من التحالفات مع ممالك اليونان مما جعل المرتزة اليونان يمثلون جوانب معسكراته المصرية، وقد اشتهر هؤلاء المرتزة بالقوة وهو ما ساعده على الإقدام على هذه الهجمات ضد جيوش بلاد فارس، وقد كاد أن يُمثل «تاخوس» شعاع الأمل البسيط فى فترة الكفاح ضد الفرس، ولكنه فاجأ الجميع بهروبه بعد فترة قلائل أثرت ضده لضجر العديد من المصريين من طريقته فى فرض الضرائب والتعسفات المالية، وهذا ما أعطى الضوء الأخضر للملك الشهير «نفتانبو الثانى» لاعتلاء العرش.

الملك نختانبو الثانى

الملك «سينجيم - إيب - رع نيختار رع حب الثانى» حكم من عام ٣٦٠ إلى ٣٤٣ ق.م، وقد سطر هذا الرجل أهم فصول هذه الحقبة؛ وذلك لأنه يُعتبر آخر الملوك المصريين الذين حكموا البلاد. فبعده تحكم الفرس مرة أخرى ولم يعتل عرش مصر أى حاكم مصرى لمدة طويلة جداً. وقد توج نختانبو (أو نفتانبو) حكمه بكثير من الإنشاءات والمباني الدينية مثل «بيت الولادة» أو «ماميسى» بمعبد الربة المصرية الأسطورية «حاتحور» بندنرة، وقد كان «نختانبو الأول» أيضاً مشهوراً بتكريس التماثيل للأرباب المصرية مثل تلك التى أضافها على مدخل معبد الأقصر فى شكل عدد كبير من تماثيل أبى الهول. وقد حاول هؤلاء الملوك المصريون المؤسسون هذه الأسرة المكافحة أن يصدوا الغزو الفارسى الجامح على البلاد. فتحالفوا مع الإغريق ضد الملوك الفرس ومنهم «أرتاكسير كسيس الثالث» الذى نجح فى استعادة مصر إلى المملكة الفارسية وانسحب «نختانبو الثانى» إلى الجنوب، ولم يستطع المصريون تحرير مصر من الفرس حتى دخول جيوش المقدونيين بقيادة «الإسكندر الثالث المقدونى»، والذى عرف بالإسكندر الأكبر عام ٣٣٢ ق.م. وبوفاة «نختانبو الثانى» آلت مصر العليا لحكم بعض الحكام النوبيين الذين حكموا لمدة قصيرة. وبذلك انتهى عصر الأسرات، وبدأ الفصل المقدونى فى كتاب التاريخ المصرى العتيده.



لوحة من الفسيفساء للإسكندر الثالث المقدوني



اسم نادر بالخير وغليفية للإسكندر الثالث - معبد الأقصر